Agatha Christie

النص الكامل

الطبعة القانونية الأولى والوحيدة باللغة العربية

أغاثا كريستي

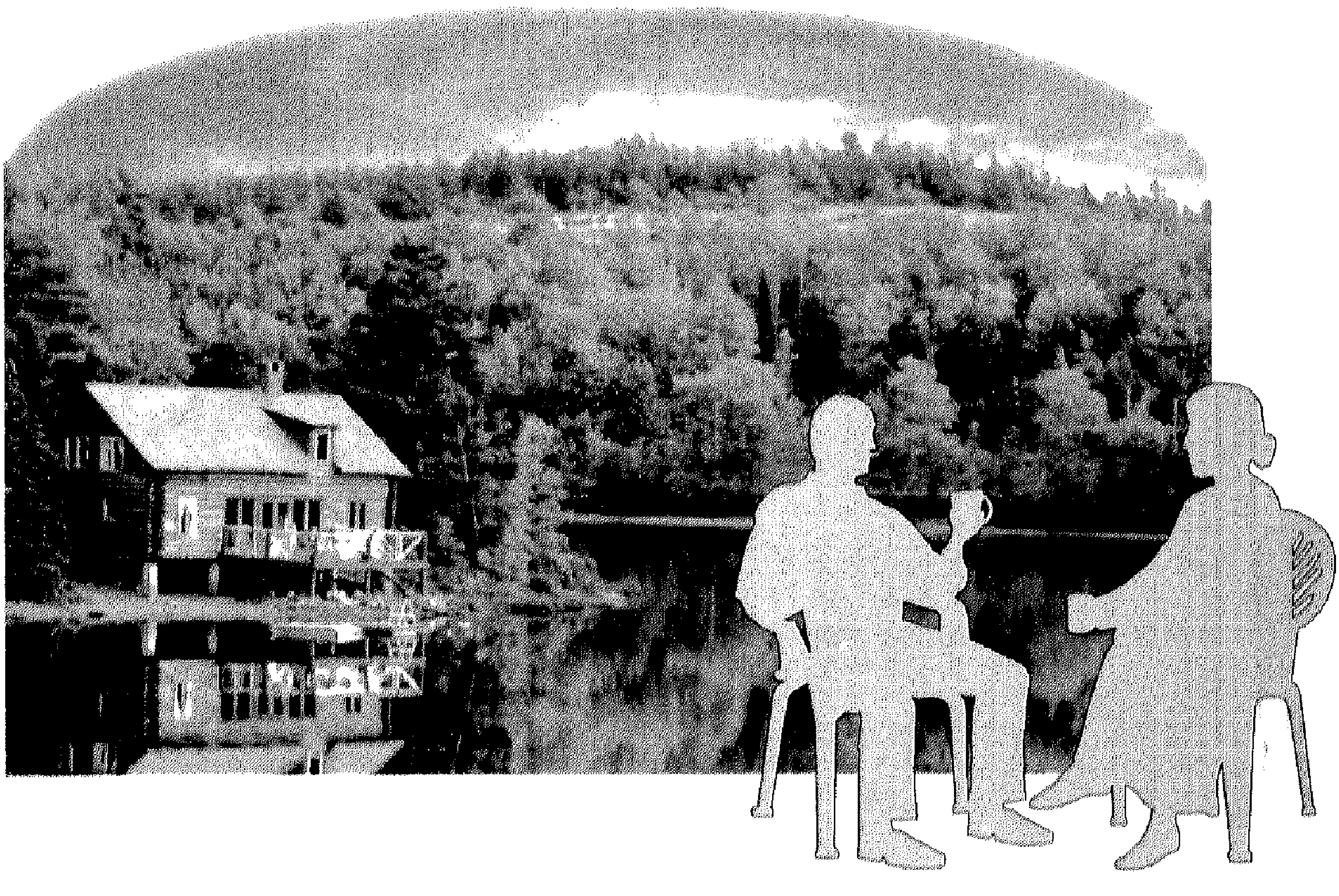

مَبنَى الرَّجل المَيّت

٥٧

الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

مَبنَى الرَّجل المَيّت

هذه هي الترجمة القانونية الوحيدة لهذا الكتاب
وهي تضم النص الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٥٦ بعنوان

Dead Man's Folly

Copyright Agatha Christie Mallowan 1956

جميع الحقوق محفوظة للناشر:

شركة الأجيال للتأليف والترجمة والنشر

بموجب الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين ممثّلي المؤلفة القانونيين.

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو ميكانيكية أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: agatha@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة

٢٠٠٤

أغاثا كريستي

مَبنَى الرَّجل المَيّت

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٥٦

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

تنفيذ الغلاف: عروة مؤمن ديرانية

الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الناشر

لماذا هذه الطبعة؟

عندما أعلنّا -في مؤسسة الأجيال للترجمة والنشر- عن عزمنا على تقديم ترجمة جديدة لأعمال الروائية الفذّة، أغاثا كريستي، تساءل كثيرون بدهشة واستغراب: "لماذا تُجهدون أنفسكم وتتكلفون كثيراً من الجهد والعناء وكثيراً من المال لإعادة ترجمة هذه الروايات التي تُرجمت إلى اللغة العربية من قديم وتداولها الناس لعشرات السنين؟".

ولكن الحقيقة (التي ربما بدت غريبة) أن الترجمة القديمة ذاتها هي الجواب عن هذا السؤال؛ إذ إن فيها من الأخطاء والنقائص ما لا يصلح معه الحال أو يستقيم بغير إعادة الترجمة وإعداد طبعة جديدة. وأول تلك النقائص، وإن بدت غيرَ ذات أهمية للقارئ العربي ظاهراً، أن أياً من الترجمات القديمة لم تكن «شرعية» بالمعنى القانوني؛ أي أن الذين نفّذوها ونشروها لم يحصلوا على الإذن بطباعتها ولم يدفعوا شيئاً مقابل حقوق النشر، وبالتالي لم يهتموا بتجويدها أو إتقانها بقدر ما اهتموا بالربح العاجل والكسب السريع.

من هنا جاءت تلك الطبعات القديمة حافلة بالعيوب، حتى لا يكاد يصحُّ لمن قرأها أن يقول إنه -فعلاً- قرأ شيئاً من كتابات أغاثا كريستي. وإليكم جملة من تلك العيوب:

(١) في الترجمة نقص واسع وحذف كثير، يكاد يذهب -في بعض الأحيان- بثلث النص الأصلي. وما ندري ما الذي حمل المترجمين الأوائل على اقتراف هذا الخطأ المتعمَّد: أهو لتقليص حجم الروايات وتوفير نفقات الطباعة على الناشر، أم لتيسير القراءة على القارئ حتى لا يملّ من قراءة رواية طويلة؟ ولكن مَن قال إن قراءة ما حُذف يبعث على الملل؟ الحقيقة أن ما وقع من حذف وتقليص واختصار قد أربك القارئ إذ غيّبَ عنه بعض التفصيلات الهامة، كما فوّتَ عليه الاستمتاع بكثيرٍ من «اللمسات الساحرة» من الأدب الفذّ لأغاثا كريستي.

(٢) في الترجمات القديمة أخطاء كثيرة لأنها -بجملتها- نتاج عمل فردي متسرع هدفه الربح العاجل كما أسلفنا، وهذه الأخطاء (وكثير منها ساذج مضحك) أفسدت استمتاع القارئ بمتابعة القصة وكانت -أحياناً- عقبةً في طريق فهمه لحَبْكَة الأحداث وعقدة الرواية.

(٣) فضلاً عن أخطاء الترجمة، حفلت تلك الطبعات القديمة بما لا يكاد يُحصى من الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية وجاءت على غير نَسَقٍ في طبيعة ترجمتها وأسلوب كتابتها، حتى لتجد أن اسمَي بَطَلَيْ أغاثا الشهيرين، هيركيول بوارو والكابتن هيسْتِنْغز، قد كُتبا بأشكال متنوعة وصور متباينة خلال الروايات،

وكأنهما مجموعة من الأشخاص المختلفين!

(٤) أما الطباعة فمأساة لا تقلّ حجماً عن مأساة الترجمة وتكاد تنافسها في السوء والرداءة! امتلأت الروايات بالأخطاء المطبعية التي لم يحفل بتصحيحها أحد، وصُفّت أسوأ صف ثم طُبعت على أسوأ ورق. وما زال أولئك «الناشرون...» يصوّرون طبعة عن طبعة حتى صارت مقاطعُ كاملةٌ منها مطموسةً مستعصيةً على القراءة لا تكاد تبين حروفها وألفاظها.

(٥) ثم اجتهد «الناشرون...» فوضعوا لهذه الروايات أغلفة يظنّ معها من يراها أنها ليست سوى قصص فاضحة ماجنة، فكان أن أعرض عنها كثير من الناس الذين ظنوا أن صور أغلفتها تعبير عن محتواها، وزهد في هذا الأدب الرفيع كثير من المتأدبين.

(٦) وأباح هؤلاء «المترجمون...» لأنفسهم أن يتدخلوا في عناوين الروايات وتبويبها وترتيبها؛ فمسخوا العناوين الأصلية واستبدلوا بها ما ظنّوه أكثر إثارة أو أدعى لجذب القرّاء واعتدوا على تبويب الروايات فأدخلوا بعض فصولها في بعض، وعلى ترتيب مجموعات القصص القصيرة فبعثروا ما كان منتظماً وشتتوا ما كان مجتمعاً. كل ذلك بغير سبب واضح ولا تعليل مفهوم.

(٧) وأخيراً، كان العدوان الأكبر على أغاثا كريستي بأن نحلوا لها ما ليس -أصلاً- من كتابتها. وذلك أن الناشرين لمّا رأوا إقبال الناس على ما حمل اسمها قد طمعوا في مزيد من البيع ومزيد من الربح، فجاؤوا بروايات لا يُعرف مؤلفوها فألحقوها بها ونسبوها إليها، حتى بلغ ما نُشر في السوق باسمها مئة وبضع

عشرة رواية، رغم أن كل ما كتبته من روايات بوليسية (وهي لها كتابات أخرى لم تُترجَم بعد إلى العربية، كما سيأتي في ترجمتها الموجزة) ليست سوى ثمانين رواية لا غير!

فما الذي فعلناه نحن؟

اتصلنا بأصحاب الحقوق (ورثة المؤلفة) فعقدنا معهم اتفاقاً ووقّعنا عقداً ينصّ على الحقّ الحصري لنا بالطبعة العربية عبر العالم، ودفعنا مبلغاً كبيراً من المال مقابل هذا الاتفاق. بعد ذلك بدأنا بمشوار الترجمة الطويل الذي استغرق نحواً من سبع سنوات من العمل الشاق الدؤوب، المتعب والممتع في آنٍ معاً، ونفذّنا العمل بالأسلوب التالي:

(١) الترجمة على مرحلتين: يُترجَم العمل -أولاً- بالكامل، ثم يُراجَع مراجعة كاملة شاملة وكأنه ترجمة جديدة يقوم بها مترجم آخر. وكلا العملين تولاه مترجمون محترفون أصحاب خبرة وكفاءة ودراية واسعة باللغتين، العربية والإنكليزية.

(٢) التحرير: وفي هذه المرحلة تمت المراجعة الكاملة والدقيقة لكل نص مترجَم؛ لغوياً، ونحوياً، وإملائياً. مع العناية بالتفقير والترقيم (وضع العلامات من نقطة وفاصلة وسواهما). وتولّى هذا العمل واحدٌ من أفضل المختصين في هذا المجال.

(٣) الصفّ والإخراج: وقد نُفّذ هذا العمل لدى أفضل مراكز الصف، وبُذل في الإخراج من الجهد غايته ليأتي على أفضل شكل ممكن. وكان أن وقع الاختيار على قَطْع الكتاب

بالشكل الذي يجده القارئ بين يديه بعد استقراءٍ لميول كثيرٍ من القرّاء وُجد فيه أن الغالبية منهم يفضّلون -للروايات- هذا الحجم مقابل الحجم الكبير للكتب العلمية وكتب التراث.

(٤) ثم كانت المراجَعة بعد المراجَعة للنصّ النهائي المصفوف للتأكد من سلامته من أي خطأ أو سهو. كل ذلك ابتغاءَ الوصول إلى غاية الاتقان والحصول على أفضل عملٍ ممكنٍ يطيقه الجهد البشري.

نعم، نحن لم نحقق كتباً عظيمة من كتب التراث أو نترجم أعظم روائع الأدب العالمي، ولكن المرء مطالَبٌ -إذا عمل- أن يتقن عمله؛ تلك واحدة من وصايا الشرع. ثم إن في أدبِ أغاثا كريستي من الجمال والرقيّ ما يستحق السعي إلى مثله -إذ يُترجَم- في النص المُعرَّب. وأخيراً، فإن القارئ العربي الذي سيدفع قيمة هذه الكتب مالاً من جيبه ثم يصرف لقراءتها ساعات من وقته جديرٌ بالحصول على الأفضل. وهذا هو -بالذات- ما سعينا إليه في نهاية المطاف. فهل وُفِّقنا؟

نرجو أن نكون، وأنت -عزيزنا القارئ- خير حَكَم.

الناشر

* * *

منهجنا في التحرير

أردنا لهذه الطبعة أن تخرج متميزةً في سلامة لغتها وصحة صياغتها وقوة أسلوبها، فبذلنا في تحريرها غاية الجهد وأقصى الاهتمام، واضطررنا -في سبيل ذلك- إلى مراجعة المادة المترجَمة مرةً بعد مرة، غيرَ عابئين بما نصرفه من وقت أو نبذله من طاقة، حتى وصلنا إلى ما نحسبه عملاً مقبولاً يرضى عنه القارئ ويُرضينا نحن عن أنفسنا.

وقد أحببنا أن نضع بين يدي القارئ هذه الملاحظات حول الأسلوب الذي اتبعناه في المراجعة والتحرير:

ففي اللغة: نَهَجنا اعتمادَ الفصاحة بلا تكلّف؛ فاعتمدنا من الألفاظ الدائرة على ألسنة الناس ما وافق العربية، وتجنبنا كل لفظ غريب. وفي هذا المقام كرّسنا ما اعتمده مجمع اللغة العربية ووافق عليه مما ورد في معجمه «الوسيط»، مثل «الشُّرْبة» (بضم الشين بلا واو بعدها اسماً للحساء) و«السَّلَطة» و«الكُشك»، ومثل قولهم: «سرَّحَ العامل» (بمعنى أخلاه وصرفه من عمله) و«أشَّرَ على الكتاب» (أي وضع عليه إشارة برأيه)، ومثل هذا كثير.

وقد تنبّهنا إلى بعض المفردات مما يُخلَط فيه بين المذكر

والمؤنث والمفرد والجمع، «فالمستشفى» مذكّر يُؤنَّث خطأً، و«الحماس» بالتذكير لفظ غير موجود في اللغة، بل هي «الحماسة» بالتأنيث، و«الشرطة» جمع مذكّر وليس مفرداً مؤنثاً كما يظن عامة الناس؛ في الوسيط: «الشرطة هم حَفَظَة الأمن في البلاد، الواحد شُرْطيٌّ وشُرَطيٌّ». ومثل هذا الخلط -فيما يجري على أقلام الكُتّاب وألسنة الناس- أيضاً كثير.

وكذلك تنبّهنا إلى بعض ما درَجَ على الألسنة والأقلام من مفردات غير صحيحة، فأبدلنا بها ما صحَّ وسُمِعَ عن العرب في هذا المقام؛ مثل قولهم: «خجول» والصواب «خَجِلٌ»، وقولهم: «مُندهش» والصواب «دَهِشٌ» أو «مَدْهوش»، وقولهم: «خصّيصاً» والصواب «خصوصاً»، و«الجِدّيّة» والصواب «الجِدّ»، ومنه: كان الأمر جِدّيّاً، وهو خطأ صوابه: كان الأمر جِدّاً، و«جاؤوا سويّةً» والصواب «جاؤوا معاً» لأن «سويّة» تعني الاستواء والعدل (كقولك: قسمت المال بينهم بالسوية)، و«المجوهرات»، وهو جمع غريب لم يُسمَع، والصحيح «الجواهر»، ومثل ذلك كثير.

<u>وفي الإملاء:</u> كتبنا «إذن» بالنون مطلقاً، عملت أو لم تعمل، وهو مذهب الأكثرين من أهل اللغة، وكان المبرّد يقول: "أشتهي أن أكوي يد مَن يكتب إذن بالألف؛ لأنها مثل أن ولن".

وفي بعض الألفاظ التي يجوز فيها الوصل والفصل (مثل: قلَّ ما) اخترنا الوصل مطلقاً فكتبناها: «قلّما» أسوةً بأمثالها؛ فقد اتفقوا على أن يكتبوا بالوصل «ممّا» (من ما) و«عمّا» (عن ما) و«إلاّ» (إن لا)، ومثلها: «إنّما» و«حيثما» و«كيفما»، إلخ.

واخترنا في لفظ «مئة» كتابتها من غير ألف، وهو رأيٌ لكثيرٍ من العلماء نقله السيوطي في «همع الهوامع» واعتمده عبد الغني الدقر في «معجم قواعد اللغة العربية»، قال: "وهو أقرب إلى الصواب". وفي عدد المئات (كثلاثمئة وخمسمئة، الخ) اخترنا كتابتها متصلةً غير منفصلة (لا كما يفعل بعضهم فيكتبونها: ثلاث مئة وخمس مئة، إلخ).

وحرصنا -في الطبع- على أن تُثبَت همزات القطع وتُحذَف همزات الوصل ،وهو الصحيح في الكتابة. وحرصنا على عدم الوقوع في الخطأ الذي يقع فيه كثيرٌ من الطابعين إذ يخلطون بين الألف المقصورة والياء المتطرفة في آخر الكلمة فينقطون الاثنتين أو يجردونهما كلتيهما من النقط، ومثل ذلك بالنسبة للتاء المربوطة والهاء المتطرفة. وحرصنا -أيضاً- على إثبات تنوين الفتح مطلقاً منعاً لالتباسه بالألف (كقولهم: "وجد مالا يفرح"، فهي بلا تنوين تفيد أنه لم يجد شيئاً يفرح، وبالتنوين تفيد أنه وجد من المال ما يفرح، فتأمّل الفرق!). وأثبتنا تنوين الضم والكسر في كل حالة خشينا فيها الالتباس.

وكذلك أثبتنا علامات الشَّكل الأصلية (الفتحة والضمة والكسرة والسكون) في كل حالة يُخشى فيها الالتباس؛ كالتفريق بين الفعل المبني للمجهول والمبني للمعلوم، وبين فعلَي المضارع والأمر، والمثنى وجمع المذكر السالم في حالَي النصب والجر، وغير ذلك. وحرصنا على إثبات الشَدّة -خصوصاً- في غير المواضع المدرَكة سليقةً؛ إذ هي دلالة على حرف محذوف.

أما علامات الترقيم (من نقطة وفاصلة وعلامة استفهام وغيرها)، فقد أوليناها كل عناية ممكنة؛ إذ هي -كما سمّاها بعض الأدباء- «علاماتُ للتفهيم»، بها يتم المعنى ويَضِحُ المقصود. واتّبعنا في تحديد العلامات ومواضعها الأصولَ التي اعتمدها أهل البحث واللغة، وعلى رأسهم العلامة أحمد زكي باشا في كتابه القيّم «الترقيم وعلاماته في اللغة العربية» مع بعض التصرف بما يوافق الأصول الحديثة المتّبعة في عالَم النشر في هذا العصر.

وأخيراً، نظرنا في كتابة الحروف الأجنبية التي ليس لأصواتها مقابل في لغتنا العربية، فوجدنا القوم قد اختلفوا فيها اختلافاً كبيراً. فأما الباء الشديدة (P) فقد كتبوها باء بثلاث نقاط، فاعتمدنا لها الباء العادية؛ إذ ليس من المتيسّر في الصف والطباعة توفير باء مثلثة، كما أن هذا الرسم غيرُ متفَقٍ عليه ولا هو معتمَد من جهة علمية ذات شأن كمجمع اللغة العربية. وكذلك فعلنا في الحرف (V) فكتبناه فاء عادية بنقطة واحدة. أما الحرف الذي أثار أكبر اضطراب فهو الحرف (G) الذي يسمّونه «جيماً مصرية». فلأجل نطق أهل مصر الجيم بهذا الصوت اعتمد له كثيرون صورة الجيم، ولكن لو تأمّلت مَخرَج هذا الحرف ومَخرَج الجيم لوجدتهما متباعدَين تباعداً بيّناً، ولوجدت أن ما يقاربه في لغتنا مَخرجاً (في النطق) هي الغين والقاف والكاف. وقد كان هذا الصوت يُكتَب -فيما نُقل قديماً عن الفارسية- كافاً فوقها خط، وهي صورة لم يُتّفَق عليها فماتت واندثرت. وأهل الخليج يكتبون -اليوم- هذا الصوت قافاً، ويكتبه آخرون غَيْناً، وهو ما اخترناه لما وجدنا من قوة الدليل عليه؛ وانظر كيف كتبوا أكثر ما عرّبوا من أسماء البلدان كذلك فقالوا: «البرتغال» و«غانا» و«الغابون» و«السنغال»

و«بلغاريا» و«غريتش»، وأمثال ذلك كثير كثير. وهكذا كتبنا اسم مؤلفة هذه القصص «أغاثا» خلافاً لما كان شائعاً من كتابتها بالجيم. (واستثنينا من الكتابة بالغين فقط كلمة «إنكلترا» والنسبةَ إليها: «إنكليز» و«إنكليزية»؛ لشيوع كتابتها بالكاف بين المتعلمين وطلبة المدارس ولمناسَبة المخرج، فأثبتناها بالكاف كما هي هنا).

أما أكثر ما يربك فهو كتابة الحروف الصوتية الطويلة في الأسماء الأجنبية. ففي العربية ثلاثة أصوات طويلة لا غير: الألِف والواو والياء، أما في الإنكليزية فتوجد ثمانية أصوات طويلة: الألف المرقّقة (كما في: cat)، والألف المفخّمة (كما في: car)، والألف الممالة (كما في: care)، والواو المشبعة (كما في: boot)، والواو الممالة المرقّقة (كما في: bone)، والواو الممالة المفخّمة (كما في: orange)، والياء المشبعة (كما في: me)، والياء الممالة (كما في: urgent). وقد قربنا -في الرسم العربي- كل أنواع الألف فكتبناها ألفاً، وكل أنواع الواو فكتبناها واواً، ونوعَي الياء فكتبناهما ياءً، ما عدا الألف الممالة التي اجتهدنا في كتابتها ياء (كما في Hastings، صاحب بوارو الشهير في كثير من الروايات، كتبناه هيستِنْغز).

هذا ما اجتهدنا فيه وذهبنا إليه، آملين أن يكون اجتهادنا صحيحاً وأن نكون قد هُدينا فيه إلى الصواب؛ فيكون العمل الذي نقدمه إلى قرائنا سليماً صحيحاً معافى من العيوب. والله المستعان.

المحرّر

* * *

المؤلّفة في سطور

تُعتبَر أغاثا كريستي أعظمَ مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَن كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبع منها بليونَيْ (ألفَيْ مليون) نسخة!

وُلدت أغاثا كريستي في بلدة توركي بجنوب إنكلترا عام ١٨٩٠، وتوفيت عام ١٩٧٦ وعمرها نحو خمسة وثمانين عاماً. لم تذهب أغاثا قطّ إلى المدرسة، بل تلقت تعليمها في البيت على يد أمها التي دفعتها إلى الكتابة وشجعتها عليها في وقت مبكر من حياتها، كما تخبرنا هي نفسها؛ فحينما كانت نزيلة فراشها تتعافى من مرضٍ ألمّ بها سألتها أمها: "لماذا لا تكتبين قصة؟". أجابت فوراً: "لا أظن أنني قادرة على ذلك"، فقالت أمها: "بلى، تستطيعين. جرّبي وسترَين". عندئذ كتبت أغاثا أول رواية لها وعنوانها «ثلوج على الصحراء»، وهي رواية رفضها الناشرون فلم تُنشر قط. أما الرواية الثانية «القضية الغامضة في ستايلز» (التي ظهر فيها بوارو للمرة الأولى) فقد أدخلتها إلى عالم الكتابة الرحيب،

وذلك حين نُشرت -أخيراً- بعدما رفضها ستة من الناشرين!

عاشت أغاثا طفولة سعيدة، إذ كانت صغرى ثلاثة أولاد لأبٍ مرِح مُحبٌ للحياة وأم ذكية طموحة، وقد ظلّت -حتى آخر حياتها- تذكر بيتها الذي وُلدت ونشأت فيه بكثير من الشوق والحنين. ولكن هذه السعادة لم تَدُم؛ فقد توفي والدها وهي في الحادية عشرة مخلّفاً لأسرته مشكلات مادية لم تلبث أن أدخلت أغاثا في عالم المسؤولية في ظروف صعبة.

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى تطوعت أغاثا للعمل في أحد المستشفيات ممرّضةً تساعد جرحى الحرب. وفي هذا المستشفى عملت بتحضير الأدوية وتركيبها وتعرفت إلى السموم المختلفة، وهو الأمر الذي كانت له فائدة عظيمة في كتاباتها اللاحقة عن الجرائم.

وفي تلك الفترة، في عام ١٩١٤، تزوجت طيّاراً شاباً اسمه آرشيبالد كريستي، ولكنها انفصلت عنه عام ١٩٢٨ بعد موت والدتها بقليل. ولم تلبث أن تزوجت -مرة أخرى- عام ١٩٣٠ عالم الآثار الشهير السير ماكس مالُوانْ، وهو الذي أمضت برفقته سنوات من عمرها في المشرق (في العراق وسوريا ومصر) فجاءت أحداث عدد من رواياتها لتقع في هذه البلاد، مثل: «موت على النيل»، و«لقاء في بغداد»، و«جريمة في العراق». وحينما سافرت على متن قطار الشرق السريع خرجت بواحدة من أشهر رواياتها: «جريمة في قطار الشرق».

تحدثت أغاثا كريستي عن نفسها فقالت: "لو سُئلت عن

ميولي لأجبت بأنني أحب كل طعام جيد، وأكره الكحول وكل ما يدخل في صنعه الكحول. حاولت التدخين فوجدته بغيضاً ولم أجد ما يغريني بالتعلق به. أحب الأزهار، وأعشق البحر، وأهوى السفر ولا سيما في بلدان الشرق الأدنى. أحب المسرح وأكره الأفلام الناطقة إذ أعجز عن متابعتها، وأكره الإذاعة وضوضاءها، وأبغض المدن وازدحامها".

أما قصصها فتتميز بدقة حَبْكتها وترابط أحداثها ومنطقية تسلسلها، تغور فيها في أعماق النفوس البشرية محلِّلةً كوامنَها باحثةً عن دوافعها بعبقرية فذة وبصيرة نافذة. وهي قصص «نظيفة» بريئة من إثارة المشاعر والغرائز وليس فيها ما يُخجِل أو يَسوء. وقد حرصت على أن تقول لنا فيها دائماً: «لا بدّ أن ينتصر الخير»، و«الجريمة لا تفيد».

أشهر أبطالها هيركيول (هرقل) بوارو، والآنسة ماربل. أما بوارو فقد «وُلد» عام ١٩٢٠ في «القضية الغامضة في ستايلز»، وهي أول رواية نُشِرت لها، ثم استمرّ بالظهور في روايات لاحقة لمدة خمس وخمسين سنة حتى «قُتل» أخيراً عام ١٩٧٥ في روايتها «الستارة». وهو محقق بلجيكي وشرطي متقاعد أهمّ ما يميّزه ذكاؤه الخارق (الناتج عن «الخلايا الرمادية الصغيرة» في دماغه!) وشارباه العظيمان اللذان ليس لهما مثيل في الدنيا! وغالباً ما يرافقه في تحقيقاته صاحبه الشهير، الضابط المتقاعد، الكابتن هيستِنغز، الذي يتميز بطبيعته الطيبة وذكائه المتواضع وحبه الكبير لبوارو.

وأما الآنسة ماربل فهي عانس عجوز ذات ذكاء بالغ وإدراك عجيب، وتتمتع بقدرة فذّة على الملاحظة والتحليل وفهمٍ عميقٍ للنفس البشرية بحيث تكشف أسرار الجرائم مستفيدةً من شبكةٍ واسعةٍ من الأصدقاء والمعارف والعلاقات الاجتماعية الناجحة.

كتبت أغاثا كريستي من روايات وقصص الجريمة سبعاً وستين رواية طويلة وعشرات من القصص القصيرة التي نُشرت في ثلاث عشرة مجموعة، وبذلك يكون عدد ما نُشر لها من الأعمال البوليسية ثمانين كتاباً. كما كتبت ستّ روايات طويلة رومَنسية باسم مستعار هو «ماري ويستماكوت»، وست عشرة مسرحية أشهرها «مصيدة الفئران» التي تُعتبر أطول المسرحيات عرضاً في التاريخ؛ إذ ما زالت تُعرض في لندن (دون انقطاع تقريباً) منذ عام ١٩٣٠، أي لنحو ثلاثة أرباع القرن! أما سيرة حياتها التي كتبتها قبيل وفاتها فقد نُشرت بعد موتها بعام واحد، وسوف نقدّم ترجمتها إلى قرائنا (مع كتاب ذكرياتها الآخر «تعالي أخبريني كيف تعيشين» الذي نشرته عام ١٩٤٦ وسردت فيه ذكرياتها عن رحلاتها مع زوجها)، حيث ستكون هذه هي المرة الأولى التي يُترجم فيها هذان الكتابان إلى اللغة العربية.

* * *

لمتابعة أخبار روايات أغاثا كريستي

ولمعرفة ما نُشر من عناوين حتى الآن
وما يجري طبعه حالياً وهو في طريقه إليكم

وللمشاركة في نادي معجبي أغاثا كريستي
وتبادل الآراء والتعليقات مع قرّاء آخرين

ولكل ما يهمكم بشأن هذه الكاتبة ومؤلفاتها

تفضلوا بزيارة موقعنا على الشبكة العالمية:

www.al-ajyal.com

مَبنَى الرَّجل المَيِّت

الفصل الأول

كانت الآنسة ليمون، سكرتيرة بوارو القديرة، هي التي ردت على المكالمة الهاتفية. وضعت دفتر الاختزال جانباً ورفعت السماعة وقالت بهمس دون تركيز: ترافلغار ٨١٣٧.

أسند هيركيول بوارو ظهره إلى كرسيه وأغمض عينيه. كان يربت على حافة الطاولة بأصابعه متأملاً فيما هو مشغول بتحضير الجمل البليغة للرسالة التي كان يمليها. سألته ليمون بصوت خافت وهي تضع يدها على سماعة الهاتف: هل تحب أن ترد على مكالمة شخصية من ناسكوم، مقاطعة ديفون؟

قطب بوارو جبينه لأن المكان لم يعنِ له شيئاً وسألها بحذر: ما اسم صاحب المكالمة؟

قربت ليمون السماعة إلى فمها وسألت متشككة: إيريا... لطفاً، ما هو اسم العائلة مرة ثانية؟ ثم عادت مرة أخرى تخاطب بوارو: السيدة إيريادن أوليفر.

رفع بوارو حاجبيه بدهشة، وبدأ يتذكر صاحبة هذا الاسم: شعر رمادي يتطاير مع الريح وصورة جانبية أشبه بالنسر. نهض وتناول

السماعة من الآنسة ليمون وأعلن بأبهة: هيركيول بوارو يتكلم!

سألته عاملة المقسم بصوت متشكك: هل أنت السيد هيركيول بوارو نفسه يتكلم شخصياً؟

أكد لها بوارو أنه هو الذي يتكلم بنفسه، فقالت عاملة المقسم تخاطب الطرف الآخر: السيد بوارو معك.

حلّ محل النبرة الناعمة المبحوحة لعاملة المقسم صوت رنان قوي جعل بوارو يبعد السماعة عن أذنه قليلاً. سألته السيدة أوليفر: سيد بوارو، أهذا أنت حقاً؟

- نعم أنا، بشحمي ولحمي يا سيدتي.

- أنا السيدة أوليفر، لا أدري إن كنت تتذكرني.

- بالطبع يا سيدتي، ومَنْذا يستطيع نسيانك؟

- الناس ينسون أحياناً، بل إنهم غالباً ما ينسون. لا أظن أن لديّ شخصية مميزة، أو ربما كان ذلك لأنني أقوم بتسريح شعري تسريحاً مختلفاً في كل مرة، ولكن كل هذا لا يهم. أرجو ألاّ أكون قد قطعت عليك عملاً مهماً.

- لا، لا. أنت لا تعطلينني، تفضلي.

- جميل! لا أريد أن أسبب لك القلق، ولكنني أحتاج إليك.

- تحتاجين إليّ؟

- نعم، حالاً. هل تستطيع أن تأتي بالطائرة؟

- أنا لا أركب الطائرات؛ إنها تصيبني بالغثيان.

- وهي تفعل بي الشيء نفسه. ثم إنها قد لا تكون أسرع من القطار في نهاية المطاف، فإن المطار الوحيد القريب من هنا هو مطار إكزيتر ويبعد عنا أميالاً. لا بأس أن تأتي بالقطار، قطار الساعة الثانية عشرة من بادنغتن إلى ناسكوم. وتستطيع أن تتدبر ذلك بسهولة، فلديك ثلاثة أرباع الساعة إن كانت ساعتي دقيقة.. رغم أنها ليست كذلك عادة.

- ولكن أين أنت يا سيدتي؟ ما المشكلة؟

- في البيت المسمى «ناسي» في ناسكوم... ستكون سيارة في انتظارك في محطة ناسكوم.

كرر بوارو كلامه بانفعال: لكن لماذا تريدينني؟ ما سبب كل هذا؟

- إنهم يضعون الهواتف في أماكن فظيعة. إن هاتفي هذا في الصالة، والناس يمرون من جانبه ويتحدثون.. لا أستطيع سماعك، ولكنني أنتظرك. سيستمتع الجميع بقدومك، وداعاً.

أغلقت السماعة مُصدرة صوتاً حاداً، ووضع بوارو السماعة بدوره وهو مرتبك؛ لقد كان في حيرة من أمره. ثم تمتم الكلمات كأنه يتحدث مع نفسه.

جلست الآنسة ليمون هادئة والقلم بيدها، وكررت بنبرات خفيفة العبارة الأخيرة التي كان يمليها بوارو عليها قبل المقاطعة: "اسمح لي ياسيدي العزيز أن أؤكد أن الفرضية التي طرحتَها...".

نحّى بوارو بإشارة من يده الفرضيات المطّروحة وقال: كانت تلك السيدة أوليفر، إيريادن أوليفر، كاتبة الروايات البوليسية. ربما قرأتِ...

ولكنه سكت إذ تذكر أن ليمون لا تقرأ سوى الكتب المفيدة، وأنها تنظر بازدراء إلى صغائر من قبيل الروايات البوليسية. قال: إنها تريد مني الذهاب إلى ديفونشير اليوم، بل حالاً.

نظر في ساعته وقال: خلال خمس وثلاثين دقيقة!

رفعت ليمون حاجبين معترضين وقالت: هذا ما لا يدع لك مجالاً واسعاً! لكن لماذا تريد ذلك؟

- لم تخبرني بشيء.

- إنه أمر غريب جداً! ولِمَ لمْ تخبرك؟

قال بوارو متأملاً: لأنها كانت خائفة من أن يسمعها أحد. نعم، قالت ذلك صراحة.

قالت ليمون كأنها تدافع عن رئيسها: يا للأشياء التي يتوقعها الناس! كيف ينتظرون منك أن تهرع هكذا خلف أمر لا تعرف عنه شيئاً... وأنت من أنت! كنت ألاحظ دائما أن هؤلاء الفنانين والكتاب ذوو عقول مضطربة جداً، وليس عندهم حسن تقدير للأمور. هل أتصل لأرسل لها برقية تعتذر فيها عن مغادرة لندن؟

امتدت يدها الى الهاتف، ولكن بوارو أوقفها قائلاً: كلا، على العكس. بل أرجو أن تتلطفي وتطلبي لي سيارة فوراً.

ثم رفع صوته منادياً: جورج! ضع لوازمي الشخصية في حقيبتي الصغيرة. بسرعة، بسرعة؛ أريد أن ألحق القطار.

* * *

بعدما قطع القطار بأقصى سرعته ما يقارب مئة وثمانين ميلاً من رحلته التي يبلغ طولها مئتين واثني عشر ميلاً خفف سرعته وسار بطيئاً حتى ناسكوم. لم يخرج من القطار إلاّ رجل واحد هو هيركيول بوارو الذي قفز بحذر من عتبة القطار الى الرصيف ونظر حوله. كان أحد العمال مشغولاً في الطرف البعيد من القطار داخل مقطورة الأمتعة. وأخذ بوارو حقيبته وسار عائداً فوق الرصيف ناحية المخرج، وهناك سلَّم تذكرته وغادر مبنى المحطة.

توقفت سيارة من نوع «هامبر» في الساحة، وجاء إليه رجل في زي السائقين وسأله باحترام: السيد هيركيول بوارو؟

ثم تناول الحقيبة من يد بوارو وفتح باب السيارة. وانطلقت السيارة بهما بعيداً عن المحطة، وصعدت جسر السكة الحديدية ثم انعطفت على طريق ريفي يحيط بجانبيه سياج من الشجيرات العالية، وسرعان ما انحدرت الأرض ناحية اليمين لتتكشف عن منظر جميل لأحد الأنهار مع تلال من بعيد يغطيها ضباب أزرق.

أوقف السائق السيارة جانب السياج وقال: إنه نهر هيلم يا سيدي، وتبدو دارتمور عن بعد.

بدا واضحاً أن إبداء الإعجاب ضروري، وهكذا قام بوارو بإصدار الأصوات المطلوبة وهمهمات الإعجاب. والواقع أن الطبيعة

لم تكن تثير إعجابه كثيراً، بل كان من شأن حديقة خلفية صغيرة مرتبة ومنسقة جيداً أن تنتزع من بوارو كلمات الإعجاب أكثر من أي منظر طبيعي. مرت فتاتان من جانب السيارة وهما تصعدان أعلى التلة بمشقة وبطء وهما تحملان على الظهر حقيبتين ثقيلتين، وكل منهما تلبس بنطالاً وتربط فوق الرأس وشاحاً ذا ألوان براقة.

قال السائق الذي يبدو أنه نصّب نفسه مرشداً لبوارو لمنطقة ديفون: بجوارنا بيت للشباب يا سيدي اسمه هوداون بارك. كان بيتاً للسيد فليتشر، واشترته جمعية بيوت الشباب. وهو يكتظ بالزبائن أثناء الصيف، ويستقبل أكثر من مئة شاب في الليلة الواحدة. ولكن لا يسمح لهم بالإقامة فيه أكثر من ليلتين، وبعدها يجب أن يرحلوا. إنه مختلط، ومعظم رواده من الأجانب.

أومأ بوارو برأسه وهو شارد الذهن؛ فقد كان يفكر -كما فكر مراراً من قبل- بأن البنطلونات لا تليق كثيراً بالفتيات. أغمض عينيه متحسراً، إذ لماذا تلبس الفتيات هكذا؟ ثم تمتم قائلاً: يبدو أن حملهن ثقيل.

- نعم يا سيدي، وهي رحلة طويلة سواء من محطة القطار أو من موقف الحافلات. إن أفضل طريق يبعد ميلين اثنين عن هوداون بارك.

تردد السائق قليلاً ثم قال: إن لم تمانع يا سيدي فيمكننا أن نحملهما معنا في السيارة؟

قال بوارو بعطف: بالتأكيد، بالتأكيد.

ها هو في سيارة فارهة بمفرده، وفي الشارع فتاتان تلهثان من التعب، والعرق يتصبب منهما، مثقلتين من حقيبة الظهر دون أن تكون لديهما أية فكرة عن كيفية ارتداء ما يروق للجنس الآخر من ملابس. أدار السائق المحرك وتقدم ببطء ثم توقف بجانب الفتاتين فبدا السرور على وجهيهما المحمرين اللذين يتصببان عرقاً.

فتح بوارو الباب فدخلتا، وقالت إحداهما (وكانت شقراء ذات لكنة أجنبية وإنكليزية غير متقنة): هذا لطف كبير منك! إنها طرق أطول مما كنت أظن، نعم.

أما الفتاة الأخرى ذات الوجه الذي لوحته الشمس والشعر الكستنائي الذي كان يخرج خصلاً من تحت وشاحها فقد اكتفت بالإيماء برأسها عدة مرات والابتسام متمتمةً بكلمة الشكر باللغة الإيطالية: "غراتسيا".

مضت الفتاة الشقراء تتحدث بهذر: جئتُ من هولندا إلى إنكلترا لقضاء أسبوعين من العطلة؛ إنني أحب إنكلترا كثيراً. ذهبت إلى ستراتفورد آفون، مسرح شكسبير، وإلى قلعة وورويك، ثم ذهبت الى كلوفيلي، والآن رأيت كاتدرائية إكزيتر وتوركيه، وهي رائعة. ثم جئت إلى منطقة مشهورة في الجمال هنا، وغداً سوف أعبر النهر وأذهب إلى بلايموث حيث انطلقت حملة اكتشاف العالم الجديد.

التفت بوارو إلى الفتاة الاخرى وقال: وأنت يا سينيوريتا.

ولكنها اكتفت بأن ابتسمت وهزت خصلات شعرها، فقالت الفتاة الهولندية بلطف: إنها لا تتحدث الإنكليزية جيداً. نحن الاثنتان نعرف قليلاً من الفرنسية وكنا نتبادل الحديث بها في القطار. لقد

جاءت من نواحي ميلانو، ولها قريبة في انكلترا متزوجة برجل صاحب بقالة. جاءت أمس مع صديقة لها إلى إكزيتر، ولكن صديقتها أكلت فطيرة لحم عجل فاسدة من محل هناك وبقيت في إكزيتر مريضة. لحم العجل ليس جيداً في الجو الحار!

هنا أبطأ السائق السرعة ثم توقف بالسيارة أمام مفترق طرق حيث نزلت الفتاتان وأعربتا عن شكرهما بلغتين مختلفتين وصعدتا في الطريق الأيسر.

وضع السائق حياديته جانباً وقال لبوارو بحماسة: يجب ألاّ تحذر من فطائر لحم العجل فقط، بل من الفطائر عموماً، فإنهم يحشونها بأي شيء، وخاصة في مواسم الإجازات!

انطلق بالسيارة من جديد عبر الطريق الأيمن الذي ما لبث أن اخترق غابة كثيفة، ثم بدأ السائق بإصدار حكم نهائي على شاغلي بيت الشباب فقال: بعض الشابات في ذلك البيت لطيفات، ولكن يصعب حملهن على فهم ما يعنيه التجاوز على الأملاك الخاصة للناس. إن الطريقة التي ينتهكن بها الأملاك الخاصة تثير الصدمة تماماً؛ يبدو أنهن لايفهمن أن لبيوت الناس هنا حرمة، فهن يأتين دائماً من خلال غابتنا ويتظاهرن بأنهن لا يفهمن ما يُقال لهن.

ثم هز رأسه على نحو غامض، فيما واصلت السيارة طريقها، ونزلت منحدراً حرجياً ثم عبرت بوابة حديدية ضخمة وسارت فوق ممر لتلتف معه وتقف -أخيراً- أمام بيت أبيض كبير يعود الى العهد الجورجي ويطل على النهر.

فتح السائق باب السيارة بينما ظهر خادم طويل أسود الشعر على عتبة الباب وتمتم قائلاً: السيد هيروكيول بوارو؟

- نعم.

- السيدة أوليفر في انتظارك يا سيدي، سوف تجدها في الحصن. دعني أرشدك إلى الطريق.

تبع بوارو الخادم إلى طريق ملتوٍ يمر عبر الأشجار والنهر أسفل منهما. نزل الطريق تدريجياً حتى انتهى أخيراً الى ساحة دائرية مكشوفة محاطة بجدار منخفض على هيئة متاريس القلاع ذات الفتحات، وكانت السيدة أوليفر تجلس على ذلك الجدار.

نهضت للقائه، فسقطت من حجرها عدة حبات من التفاح وتدحرجت في كل اتجاه، ويبدو أن التفاح هو الموضوع الذي لا مفر منه عند لقاء السيدة أوليفر.

قالت السيدة أوليفر بلهجة غير واضحة لأن قضمة من التفاح تملأ فمها: لا أعرف لماذا تسقط مني الأشياء دائماً؟ كيف حالك يا سيد بوارو؟

أجابها بوارو بأدب: جيد يا مدام، وكيف حالك أنت؟

بدت السيدة أوليفر مختلفة قليلاً عن الشكل الذي رآها عليه آخر مرة، ويكمن السبب -كما ألمحت أثناء الحديث الهاتفي- في كونها جربت مرة أخرى تسريحة جديدة لشعرها. ففي آخر مرة رآها بوارو كان شعرها طليقاً، أما اليوم فشعرها الضارب إلى الزرقة كثيراً يرتفع فوق رأسها لفائف صناعية صغيرة مثل «تسريحة المركيزة»،

على أن صفات المركيزة تنتهي عند رقبتها، إذ أن سائر جسمها يدل على امرأة ريفية عملية، حيث كانت ترتدي معطفاً وتنورة صفراوين وسترة خردلية اللون توحي بالنكد.

قالت السيدة أوليفر مبتهجة: كنت أعرف أنك ستأتي.

قال بوارو بحدة: ربما ما كان لك أن تجزمي.

- بلى، كنت أعرف.

- ما زلت أسأل نفسي: لماذا أنا هنا؟

- حسناً، أنا أعرف الجواب: إنه الفضول!

نظر بوارو إليها وقد التمعت عيناه قليلاً، ثم قال: ربما لم تخدعك كثيراً هذه المرة غريزة الأنثى المشهورة.

- لا تسخر من غريزتي الأنثوية؛ ألم أكن دائماً أحدد القاتل مباشرة؟

سكت بوارو من باب اللباقة، وإلا لكان أجابها فقال: "ربما كان ذلك عند المحاولة الخامسة، وحتى عندها لم تنجحي دائماً!". لكنه قال يخاطبها وهو ينظر حوله: إن بيتك في الحقيقة جميل!

- هذا؟ لكنه ليس ملكاً لي يا سيد بوارو. هل كنت تظنه بيتي؟ لا، إنه ملك لعائلة تدعى عائلة ستبْس.

- ومن هؤلاء؟

- ليسوا بتلك الأهمية. كل ما في الأمر أنهم أغنياء وأنا هنا بصفتي المهنية، أقوم بعمل فقط.

- ها، أنت إذن تريدين لوناً محلياً لإحدى رواياتك الرائعة؟

- لا، لا. أنا كما قلتُ تماماً: أقوم بعمل. لقد استأجروني لترتيب جريمة قتل.

حدق بوارو إليها بذهول، فقالت له من باب التطمين: إنها ليست جريمة حقيقية. سينظَّم مهرجان كبير غداً، وسيكون فيه -من باب التجديد والإثارة- لعبة «البحث عن مجرم» التي أقوم أنا بترتيبها. إنها كلعبة البحث عن كنز، إلا أن البحث عن كنز لعبة استهلكت كثيراً بالتكرار فوجدوا أن لعبة البحث عن قاتل ستكون تجديداً؛ ولذلك فقد عرضوا عليّ مبلغاً كبيراً لكي آتي وأفكر لهم بلغز. إنها مجرد تسلية في الحقيقة، وهي تغيير للروتين الكئيب المعتاد.

- وكيف تتم هذه اللعبة؟

- سيكون في الأمر ضحية بالطبع، ومفاتيح تقود الى المجرم، ومشبوهون. كلها -في الواقع- أمور تقليدية: المرأة اللعوب، والمبتز، والعشاق الشباب، والخادم الشرير، وهكذا... تدفع نصف جنيه للدخول فترى أول مفتاح للجريمة، وعليك أن تجد الضحية والسلاح وتحدد من المجرم وما هو الدافع، وستوزَّع جوائز.

- هذا رائع!

قالت السيدة أوليفر باكتئاب: في الحقيقة إن ترتيب الأمور أصعب مما يظن المرء؛ لأن عليك أن تضع في حسبانك أن يكون

الناس الحقيقيون أذكياء تماماً، أما في رواياتي فلا حاجة لأن يكونوا كذلك.

- وهل أرسلت في طلبي كي أساعدك في ترتيب هذا الأمر؟

لم يحاول بوارو إخفاء علامات الاستياء وهو يتحدث. قالت أوليفر: آه، كلا، كلا بالطبع! لقد انتهيت من كل هذا. كل شيء جاهز لحفلة الغد، وإنما كنت أريدك لسبب آخر.

- وما هو؟

رفعت السيدة أوليفر يديها إلى رأسها. كانت توشك أن تُدخل أصابعها بانفعال خلال شعرها (وهي طريقتها القديمة المألوفة) ولكنها تذكرت تسريحة شعرها المعقدة فاكتفت بتهدئة مشاعرها بأن شدت شحمة أذنها ثم قالت: لعلي حمقاء، ولكني أظن أن في الأمر شيئاً غير طبيعي!

* * *

الفصل الثاني

حلّت لحظة صمت بينما كان بوارو يحدق إليها، ثم سألها بحدة: شيء غير طبيعي؟ كيف؟

- لا أعرف، وهذا ما أريدك أن تكشفه. ولكنني شعرت -أكثر فأكثر- بأنني كنت... آه! بأنني يتم توجيهي وأُساق منذ البداية! سمّني حمقاء إن شئت؛ كل ما أستطيع قوله هو أنه لو وقعت جريمة قتل حقيقية غداً بدلاً من الجريمة الزائفة فلن أُفاجأ بذلك!

حدق بوارو إليها ونظرت إليه بجرأة. قال: أمر مثير جداً!

قالت أوليفر تدافع عن نفسها: لعلك تظنني حمقاء تماماً؟

- لم أظنك يوماً حمقاء.

- كما أنني أعرف ما تقوله دائماً بشأن الحدس.

- الإنسان يسمي الأشياء بأسماء مختلفة. أنا أصدّق تماماً أنك لاحظت شيئاً أو سمعت شيئاً أثار قلقك، بل ربما كنت لا تعرفين ذلك الشيء الذي رأيتِه أو لاحظتِه أو سمعتِه. إنك تحسين نتيجة ذلك

فقط، وإذا صحّ التعبير فإنك لا تعرفين ما هو الشيء الذي تعرفينه، يمكنك أن تسمي ذلك حدساً إن أردت.

قالت أوليفر بحزن: إن عدم قدرة المرء على أن يكون دقيقاً محدداً تجعله يشعر أنه كالأبله.

قال بوارو مشجعاً: سوف نصل إلى الحقيقة. لقد قلت إن لديك إحساساً بأنك تساقين من البداية، أليس كذلك؟ هل يمكنك أن توضحي لي قليلاً معنى ذلك؟

- إنه لأمر صعب! دعنا نقُل إن هذه هي جريمتي أنا. لقد فكرت فيها وخططت لها، وأيقنت أن فيها انسجاماً. وإن كانت لك أدنى معرفة بالكتّاب فسوف تعرف أنهم لا يستطيعون تحمل الاقتراحات. يقول الناس: "رائع، ولكن ألم يكن من الأفضل لو أن فلاناً قام بكذا وكذا؟" أو يقولون: "ألن تكون فكرة رائعة لو كانت الضحية هذه بدل تلك؟ أو لو أن القاتل كان فلاناً بدلاً من فلان؟". وعندها يشعر المرء برغبة في القول: "لا بأس إذن، اكتبها أنت بنفسك إن كنت تريدها هكذا".

هز بوارو رأسه موافقاً وقال: وهذا ما كان يحدث معك في هذه الحالة؟

- ليس تماماً، لقد قبلت لي مثل هذه الاقتراحات السخيفة، ولما غضبتُ لذلك تخلوا عن كلامهم هذا، ولكنهم دسّوا اقتراحاً صغيراً تافهاً، ولأنني كنت قد أخذت موقفاً رافضاً من المقترح الأول فقد قبلت ذلك المقترح التافه دون أن ألحظ كثيراً.

- فهمت، نعم. هذا أسلوب يُتّبع عادة. يتم اقتراح شيء فج مستهجن... ولكنه لا يكون الهدف الحقيقي؛ بل يكون التبديل الصغير التافه هو الهدف الحقيقي، أهذا ما تقصدينه؟

- هذا -بالضبط- ما أقصده. وربما كنت أتخيل كل ذلك، لكني أكاد أكون واثقة أن الأمر لا خيال فيه. ولم يبدُ أن أحداً من تلك المقترحات يهم على أية حال، ولكن هذا أقلقني. هذا بالإضافة إلى... إلى جوٍّ معين.

- من الذي قدم لك اقترحات التبديل تلك؟

- أناس مختلفون. لو كان شخصاً واحداً فقط لتأكدت من شكوكي، لكنه ليس شخصاً واحداً... وإن كنت أظن أنه في الحقيقة شخص واحد. أعني أنه شخص يعمل من خلال أشخاص آخرين لا يعرفون عن نواياه شيئاً.

- هل لديك فكرة عن هوية ذلك الشخص؟

هزت أوليفر رأسها نافية وقالت: إنه شخص بالغ الذكاء والحذر. قد يكون أي شخص!

- من هم الحضور؟ لا بد أن يكون عدد المشاركين محدوداً.

- حسناً، أولهم السير جورج ستَبْس صاحب هذا البيت، وهو غني وجلف، وأظنه شديد البلاهة إلا في التجارة التي ربما كان شديد الذكاء فيها. وزوجته الليدي ستبس، واسمها هاتي، وهي تصغره بعشرين عاماً، جميلة بعض الشيء ولكنها في الحقيقة بلهاء

مملة، ورأيي أنها بليدة العقل بالتأكيد وقد تزوجته -بالطبع- من أجل المال، ولا تفكر إلا بالملابس والجواهر. ومايكل ويمان، مهندس معماري شاب، صغير ووسيم بملامح فنية خشنة. إنه يصمم قاعة التنس للسيد جورج ويرمم «الحماقة».

- الحماقة؟ ماذا تعنين بذلك؟

- آه، نسيت. إنه تعبير إنكليزي يطلق على كل مبنى باهظ التكاليف وافر الزينة بشكل لا يناسب الفائدة منه قد يبدأ صاحبه بنائه ثم يعجز عن إتمامه. وهو -في حالتنا هذه- بناء أشبه بالمعابد الصغيرة، أبيض ذو أعمدة، ولعلك شاهدت أمثالاً له من قبل.

ثم أكملت تعدد الحضور: وتوجد الآنسة برويس التي تعمل سكرتيرةً ومدبرة للمنزل فتدير الأمور وتكتب الرسائل، وهي دائمة التجهم ولكنها قديرة جداً. ويوجد الأشخاص الذين يعيشون قرب البيت ويأتون للمساعدة: زوجان شابان يسكنان كوخاً على ضفة النهر وهما أليك ليغ وزوجته سالي. والكابتن ووربيرتن، وهو وكيل عائلة ماسترتُن، وعائلة ماسترتُن بالطبع، والعجوز السيدة فوليات التي تعيش في البيت الصغير القريب من البوابة الذي كان سابقاً سكن البواب. كان أفراد عائلة زوجها يمتلكون هذا البيت في الأصل، لكنهم ماتوا أو قتلوا في الحروب، وترتب على البيت ضرائب إرث كثيرة، فباعه الوريث الأخير.

فكر بوارو في هذه القائمة من الشخصيات، ولكنها لم تكن تعني له في تلك اللحظة سوى أسماء مجردة. عاد إلى الموضوع

الأول وسألها: من كان صاحب تلك الفكرة... أعني لعبة البحث عن القاتل؟

- أظنها فكرة السيدة ماسترتن، وهي زوجة عضو البرلمان عن المنطقة. إنها رائعة في التنظيم، وكانت هي التي أقنعت السيد جورج بإقامة المهرجان هنا. لقد كان البيت فارغاً لسنوات عديدة، وهي تظن أن من شأن الناس أن يتحمسوا للدفع لكي يدخلوا ويروه.

- كل هذا يبدو واضحاً لا غبار عليه.

قالت أوليفر بعناد: إنه يبدو واضحاً، ولكنه ليس كذلك. لقد قلت لك يا سيد بوارو: إن في الأمر شيئاً غير طبيعي.

نظر بوارو إلى السيدة أوليفر وبادلته نظراته فسألها: وكيف برّرت للآخرين حضوري إلى هنا أو استدعاءك لي؟

- كان هذا سهلاً؛ أنت الذي ستمنح الجوائز للفائزين في مسابقة البحث عن المجرم، ولقد اهتز الجميع طرباً لذلك. قلت لهم إنني أعرفك وربما استطعتُ إقناعك بالمجيء، وإنني متأكدة أن اسمك سيشكل لفتة رائعة... وهو أمر صحيح بالطبع.

- وهل قُبل هذا الاقتراح دون اعتراض أحد؟

- قلت لك إن الجميع فرحوا لذلك.

لم تر السيدة أوليفر ضرورة للإشارة إلى أن واحداً أو اثنين من جيل الشباب قد سألاها: ومن يكون هيركيول بوارو؟

- الجميع؟ ألم يعارض أحد هذه الفكرة؟

هزت أوليفر رأسها بالنفي فقال بوارو: هذا أمر يدعو للأسف.

- أتعني أن ذلك -لو حدث- كان سيعطينا مؤشراً ما؟

- من الصعب أن نتوقع من مجرمٍ ما أن يرحب بحضوري.

قالت أوليفر بحزن: لعلك تظن أنني تخيلت كل هذا الأمر. يجب أن أعترف بأنني لم أدرك قلة مبرراتي ودلائلي إلاَّ عندما بدأت أحدثك في الأمر.

قال بوارو بلطف: هدئي من روعك؛ فأنا مهتم بالأمر ومتحمس له. من أين نبدأ؟

نظرت السيدة أوليفر إلى ساعتها وقالت: إنه وقت تناول الشاي، سنعود إلى البيت وهناك ستلتقي بالجميع.

سارت في طريق غير الطريق الذي جاء منه بوارو، وبدا أن هذا الطريق يؤدي إلى اتجاه معاكس. أوضحت أوليفر قائلة: إننا نمر بجانب سقيفة القوارب في هذا الطريق.

وبينما كانت تتحدث ظهرت سقيفة القوارب. كانت بارزة من داخل النهر ومسقوفة بالقش على نحو جميل. قالت: هناك ستكون الجثة... أقصد الجثة في مسابقة البحث عن القاتل.

- ومن الذي سيتم قتله؟

- فتاة جوّالة، وهي -في هذه المغامرة تمثّل دور الزوجة اليوغسلافية الأولى لعالم ذرة شاب.

طرفت عين بوارو فيما أكملت السيدة أوليفر: سيبدو الأمر وكأن عالم الذرة هو الذي قتلها.. لكن الأمر في الواقع ليس بمثل هذه البساطة.

- طبيعي؛ إذ أنك أنت من يخطط للجريمة.

سُرّت أوليفر من هذا الإطراء فلوحت بيدها وقالت: يقتلها الإقطاعي صاحب الأرض، والدافع في الحقيقة يدل على البراعة لا أظن كثيراً من الناس سيعرفونه، رغم أن في المفتاح الخامس للغز مؤشراً واضحاً تماماً عليه.

ترك بوارو الحديث في دقائق حبكة السيدة أوليفر ليسألها سؤالاً واقعياً: كيف سترتبين جثة مناسبة لهذا الأمر؟

- إنها فتاة مرشدة، كان يفترض أن تكون الجثةُ جثةَ سالي ليغ، ولكنهم يريدونها الآن أن تضع على رأسها ما يشبه العمامة وتقوم بقراءة الطالع؛ ولذلك ستقوم بهذا الدور مرشدة تدعى مارلين تاكر، وهي بلهاء قليلاً. إنه عمل سهل تماماً: تلبس أوشحة فلاحية، وتحمل حقيبة على ظهرها. وكل ما عليها أن تفعله هو أن ترتمي على الأرض وتلف الحبل حول عنقها عندما تسمع صوت اقتراب شخص من المكان. إنه أمر ممل للطفلة المسكينة، أن تبقى حبيسة سقيفة القوارب إلى أن يعثروا عليها.. ولكنني رتبت لها مجموعة

مجلات لتتسلى بها، وعلى واحدة منها تمت كتابة مفتاح لمعرفة القاتل. وهكذا فكل شيء مرتب بدقة.

- لقد سحرتني براعتك والأشياء التي تفكرين فيها!

- ليس التفكير في الأمور صعباً أبداً. المشكلة أنك تفكر في أشياء كثيرة جداً بحيث يصبح الأمر بالغ التعقيد، لذلك يجب عليك أن تتخلى عن بعضها، وهذا مؤلم بعض الشيء. لنصعد هذا الطريق الآن.

صعدا ممراً مرتفعاً متعرجاً أعادهما الى منطقة مرتفعة تطل على النهر، ثم سارا في منعطف يتخلل الأشجار وخرجا إلى فسحة من الأرض يعلوها معبد أبيض صغير ذو أعمدة. كان شاب يلبس بنطالاً صوفياً بالياً وقميصاً أخضر يقف أمام المعبد ويتأمله وهو مقطب الجبين، وحين رآهما دار سريعاً وجاء إليهما. قالت السيدة أوليفر على سبيل التعريف: هذا السيد مايكل ويمان... السيد بوارو.

ردّ الفتى على هذا التعارف بإيماءة فاترة من رأسه ثم قال بمرارة: غريبة جداً الأماكن التي يبني فيها الناس هذه الأشياء! هذا المبنى -مثلاً- أقيم منذ عام واحد فقط... مبنى جميل، وهو يلائم الفترة التي شيد فيها البيت، ولكن لماذا هنا؟ القصد من هذه الأشياء أن يراها الناس... أن «توضع فوق ربوة» كما يقال، مع طريق عشبي جميل يوصل إليها، وأزهار النرجس، إلخ. ولكن هذا المبنى البائس مختفي في منطقة بعيدة وسط الأشجار، ولا يمكن مشاهدته من أي مكان. عليك أن تقطع عشرين شجرة تقريباً قبل أن تتمكن من رؤيته من جهة النهر.

قالت السيدة أوليفر ربما لم يُعثر على أي مكان آخر لإقامته عليه.

تأفف مايكل ويمان وقال: هناك -في أعلى الهضبة العشبية بجانب البيت- موقع طبيعي جميل. إن هؤلاء الأثرياء متشابهون؛ فليس لديهم إحساس فني. لقد راق لصاحبه أن يبني مبنى فخماً فأمر ببنائه، ثم بحث له عن مكان يضعه فيه. وبعد ذلك فهمتُ أن شجرة بلوط كبيرة قد تحطمت نتيجة لعاصفة قوية فأحدثت أثراً غير جميل في المنطقة، فقال الرجل السخيف: "سوف نرتب المكان بوضع مبنى مبتكر هنا". هذا كل ما يفكر به أثرياء المدن هؤلاء... الترتيب! وإنني لأعجب كيف أنه لم يزرع مساكب ورود حمراء حول البيت. إن رجلاً كهذا يجب ألاّ يُسمَح له بامتلاك مثل هذا البيت!

كان يبدو غاضباً، وقال بوارو في نفسه: من المؤكد أن هذا الشاب لا يحب السير جورج ستَبْس.

قال ويمان: أساسه من الإسمنت وتحته تربة رخوة، لذلك فهو ينساح في الأرض. لقد تشقق المبنى كله، وسيكون خطيراً عما قريب. من الأفضل هدمه كله ثم بناؤه من جديد في أعلى الهضبة بجانب البيت... هذه نصيحتي، لكن العجوز الأحمق العنيد لا يقبل بذلك أبداً.

قالت أوليفر: ماذا عن صالة التنس؟

ازداد وجه الفتى عبوساً وقال متأففاً: إنه يريد تصميماً أشبه بتصميم معبد صيني، مع تماثيل تنين إن أمكن ذلك! لمجرد أن الليدي

ستبس تتخيل نفسها وهي تلبس قبعات صينية. متْذا يرغب بأنْ يكونْ مهندساً معمارياً؟ إن من يريدون بناء بيوت جميلة لا يملكون مالاً، وأولئك الذين يملكون المال يرغبون ببناء أشكال فظيعة جداً.

قال بوارو بجدية: تَقَبَّلْ عظيم تعاطفي.

قال ويمان بازدراء: من يظن جورج ستبس هذا نفسه؟ لقد وجد لنفسه وظيفة آمنة في قيادة القوات البحرية في أعماق ويلز أثناء الحرب، وأطلق لحيته لكي يوحي أنه قد خدم بنشاط في سلاح البحرية في القوات العاملة... هذا على الأقل ما يقولونه عنه. إنه غني غنى فاحشاً، عَفِنٌ في ثرائه!

علَّقت أوليفر بموضوعية قائلة: حسناً، لا بد لكم -معشر المهندسين- من وجود أغنياء ينفقون أموالهم، وإلاّ لم تجدوا ما تفعلونه.

ثم تحركت باتجاه البيت واستعد بوارو والمعماري المتشائم ليتبعاها، وقال الأخير بمرارة: ملوك المال هؤلاء لا يستطيعون فهم المبادئ الأولية... ثم ألقى نظرة غاضبة أخيرة على المبنى المتداعي وقال: إذا كان الأساس فاسداً فكل شيء فاسد!

قال بوارو: هذه حكمة عميقة. نعم، عميقة جداً.

انتهى الطريق الذي كانوا يسلكونه خارج الأشجار، وظهر البيت أمامهم أبيض جميلاً والأشجار الداكنة من ورائه. تمتم بوارو: يا له من جمال حقيقي! نعم.

قال ويمان بحقد: إنه يريد بناء صالة بليارد فوقه!

كانت سيدة صغيرة الحجم في أواسط عمرها مشغولة على ضفة النهر أسفل منهم بتشذيب الشجيرات بمقص تحمله. صعدت إليهم وقالت لاهثة: كل شيء مهمل منذ سنين، ومن الصعب في هذه الأيام جلب رجل يتقن العناية بالشجيرات. ينبغي لجانب التلة هذا أن يكون دائماً متوهجاً بألوان الأزاهير والورد في آذار ونيسان، ولكنه مخيب للآمال هذا العام. كان يجب قطع كل هذه الأشجار الميتة في الخريف الماضي.

قامت أوليفر بالتعريف: السيد هيركيول بوارو... السيدة فوليات.

انفرجت أسارير السيدة وهتفت: إذن فهذا هو السيد بوارو العظيم؟ جميل منك أن تأتي وتساعدنا غداً. لقد اخترعت هذه السيدة الذكية مشكلة محيرة جداً، وستكون تجربة جديدة رائعة.

تحير بوارو قليلاً لما رآه من لباقة أسلوب هذه المرأة، وأحسّ أنها تليق أن تكون هي مضيفته. قال بأدب: السيدة أوليفر صديقة قديمة، وقد سرني أني تمكنت من إجابة طلبها. إن هذا المكان جميل، وهذا قصر فخم مهيب.

أومأت السيدة فوليات برأسها تصديقاً لكلامه وقالت: نعم، لقد بناه الجد الأكبر لزوجي عام ١٧٩٠. كان لعائلتنا مكانَ هذا المبنى بيتٌ آخر مبني من العهد الإليزابيثي، لكنه احترق وتهدم عام ١٧٠٠، وقد عاشت عائلتنا هنا منذ عام ١٥٩٨.

كان صوتها هادئاً موضوعياً. نظر إليها بوارو بتمعن أكبر، فرأى امرأة ضئيلة جداً ذات بنية قوية تلبس ثوباً رثاً، وأكثر ما كان يلفت الانتباه إليها عيناها الزرقاوان الصافيتان. كان شعرها الرمادي مربوطاً ربطاً محكماً بشبكة من تلك التي تُستعمل للشعر. ورغم إهمالها الواضح لمظهرها إلا أنها كانت تتمتع بذلك السمت الذي يشي بالأهمية، والذي يصعب تفسيره وتحديده.

وبينما كانوا يسيرون معاً ناحية البيت قال بوارو بحياء: لا بد أنه صعب عليك وجود غرباء يعيشون هنا.

لم تجبه السيدة فوليات لحظة، ثم قالت بصوت واضح دقيق يخلو بشكل غريب من أية عاطفة: كثيرة هي الأشياء الصعبة يا سيد بوارو.

* * *

الفصل الثالث

كانت فوليات هي التي قادتهما إلى داخل البيت وتبعها بوارو. كان بيتاً مهيباً متناسب الأجزاء بصورة جميلة. دخلت فوليات أحد أبواب الجهة اليسرى إلى غرفة جلوس صغيرة أثاثها أنيق، ومنها إلى غرفة استقبال كبيرة كانت تغص بأناس بدا أنهم يتحدثون مع بعضهم في وقت واحد.

قالت فوليات: جورج، هذا هو السيد بوارو الذي تلطف وجاء لمساعدتنا... وهذا هو السير جورج ستبس.

التفت السير جورج الذي كان يتحدث بصوت مرتفع نحو بوارو. كان رجلاً ضخماً ذا وجه أحمر متورد ولحية صغيرة غريبة. كانت لحيته هذه تعطي انطباعاً مُرِبكاً عن ممثل لم يقرر بعد ما إذا كان دوره هو دور إقطاعي في الريف أم دور «ثري ساذج» قادم من المستعمرات البريطانية، ولم تكن -بالتأكيد- لتوحي بأنه رجل من سلاح البحرية رغم ملاحظة مايكل ويمان عن ذلك. كان أسلوبه وصوته مرحبين، ولكن عينيه كانتا صغيرتين ذكيتين بلونهما الأزرق الباهت ونظرتهما الثاقبة. وقد رحب ببوارو بحرارة قائلاً: نحن مسرورون جداً إذ استطاعت صديقتك السيدة أوليفر إقناعك بالمجيء... فكرة رائعة

منها؛ فأنت ستكون مصدر جذب هائلاً.

ونظر إلى زوجته بطريقة غامضة قليلاً ونادى: هاتي... ثم كرر الاسم بنبرة أكثر حدة: هاتي!

كانت الليدي ستَبْس معتكفة على كرسي كبير بعيدة عن الآخرين قليلاً. بدت وكأنها لا تلتفت إلى ما يجري حولها، بل كانت تبتسم وهي تنظر إلى يدها الممدودة فوق ذراع الكرسي وتقلبها من اليسار الى اليمين متأملة خاتم الزمرد الكبير في أصبعها الأوسط وهو يعكس ضوءاً أخضر.

رفعت بصرها الآن كطفل فوجئ قليلاً وقالت: تشرفنا بمعرفتك.

انحنى بوارو فيما استمر السير جورج في تعريف بوارو إلى الحضور: السيدة ماسترتن.

كانت ماسترتن امرأة جسيمة ذكّرت بوارو بالكلب الذي يستخدمه الشرطة في مطاردة المجرمين! كان لها فك سفلي ضخم متدلٍ وعينان كبيرتان حزينتان محتقنتان بالدم.

انحنت لبوارو وواصلت حديثها بصوت عميق جعل بوارو يتذكر مرة أخرى هدير نباح كلب المطاردة عندما يوشك أن يلحق بطريدته. قالت بقوة: يجب تسوية هذا النزاع السخيف حول خيمة الشاي يا جيم؛ عليهم أن يدركوا الصواب؛ لا يمكن أن يفشل المهرجان كله بسبب تلك الضغائن التافهة لهؤلاء النسوة الغبيات.

قال الرجل الذي كانت تخاطبه: ها، تماماً.

قال السير جورج: هذا هو الكابتن ووربيرتن.

ابتسم الكابتن ووربيرتن -الذي كان يلبس معطفاً رياضياً ذا مربعات- ابتسامة ذئبية ظهرت فيها أسنانه كلها ثم تابع حديثه قائلاً: لا تقلقي؛ سوف أسوي الأمر. سأذهب وأتحدث إليهم بحزم. ماذا عن خيمة قراءة الطالع؟ هل ستضعونها في الساحة الخالية بجانب أشجار الماغنوليا أم في الطرف البعيد من الطريق عند الورود؟

واصل السير جورج عملية تعريف بوارو بالحضور: السيد ليغ وزوجته.

كان السيد ليغ شاباً طويلاً ذا وجه لوحته الشمس، وقد ابتسم ابتسامة عريضة لبوارو، أما زوجته فكانت جذابة حمراء الشعر ذات نمش على وجهها، وقد أومأت برأسها بطريقة ودية ثم دخلت في جدال مع السيدة ماسترتن. وكان صوتها العالي المتناغم يشكل مع هدير صوت ماسترتن نوعاً من الانسجام بين طبقتين صوتيتين متعارضتين:

- ليس بجانب الماغنوليا... إنها فسحة ضيقة.

- ... لا بد من توزيع الخدمات، فإن كان هناك طابور...

- ... ذلك أبرد كثيراً. إن كانت أشعة الشمس تنصبّ فوق البيت مباشرة...

-... شجرة جوز الهند منعزلة، فلا تكون قريبة من البيت. إن الأولاد طائشون عندما يقذفون...

أكمل السير جورج التعريف قائلاً: وهذه هي الآنسة برويس التي تشرف علينا جميعاً.

كانت برويس تجلس وأمامها طبق شاي فضي كبير. كانت امرأة نحيفة ظاهرة الكفاءة تجاوزت الأربعين من عمرها، مرحة ورشيقة. قالت: تشرفنا يا سيد بوارو. أرجو أن تكون رحلتك مريحة، فالقطارات مزعجة جداً في هذا الوقت من السنة. دعني أقدم لك بعض الشاي. أتفضّله مع السكر والحليب؟

قال بوارو: قليلاً من الحليب يا آنسة وأربع قطع من السكر. ثم أضاف وهي تلبي طلبه: أراكم جميعاً في انشغال محموم؟

- نعم، هذا صحيح. تبقى دوماً أشياء كثيرة تحتاج إلى المتابعة في اللحظة الأخيرة، وفي هذه الأيام يخذل الناسُ المرءَ بطريقة غريبة. لدينا العمل بالسرادق والخيم والكراسي وإعداد الطعام... يجب على المرء أن يبقى فوق رؤوسهم، ولقد أمضيت نصف الوقت هذا الصباح بإجراء الاتصالات الهاتفية.

قال السير جورج: ماذا عن هذه الأوتاد ومضارب الغولف الإضافية يا أماندا؟

- كل هذا تم ترتيبه يا سير جورج؛ كان السيد بنسون من نادي الغولف كريماً جداً.

ثم قدمت الفنجان لبوارو قائلة: أتريد شطيرة يا سيد بوارو؟ هذه بالجبن، وهذه فطائر لحم... ثم استدركت وقد تذكرت قطع السكر الأربع: ولكن ربما كنتَ تفضل كعكة بالزبدة؟

وافقها بوارو، وأخذ لنفسه قطعة لذيذة وكبيرة من الكعكة، ثم ذهب -وهو يوازنها بحذر على صحن فنجانه- وجلس بجانب زوجة مضيفه التي كانت ما زالت منشغلة بتأمل بريق خاتمها. رفعت بصرها إليه بابتسامة طفل فرِح وقالت: انظر؛ إنه جميل، أليس كذلك؟

راح يتفحصها بإمعان. كانت تضع على رأسها قبعة صينية الطراز من القش الأحمر الزاهي، ومن تحت القبعة أظهر وجهها انعكاسه الوردي على سطح جلدها الذي بدا شاحباً شحوب الموتى. كانت تضع طبقة سميكة من المساحيق بأسلوب غريب بعيد عن النمط الإنكليزي فظهرت بجلد شاحب اللون وشفتين زاهيتين والكحل يغطي أجفانها، وكان شعرها الأسود الناعم يظهر من تحت قبعتها كأنه قلنسوة مخملية. كان في وجهها جمال ساكن جامد ليس كجمال الإنكليز. بدت أشبه بمخلوق ينتمي إلى المناطق الاستوائية عُثر عليه صدفة في غرفة إنكليزية، ولكن العينين هما اللتان أجفلتا بوارو؛ فقد كان تحديقهما طفولياً، بل يكاد يكون فارغاً بلا هدف.

كانت قد طرحت سؤالها بطريقة طفولية، فأجابها بوارو كأنه يجيب طفلاً: إنه خاتم جميل جداً!

بدت مسرورة جداً، ثم قالت وهي تخفض صوتها كأنها تفضي إليه بسرّ: أعطانيه جورج أمس. إنه يعطيني أشياء كثيرة؛ فهو في غاية اللطف.

نظر بوارو إلى الخاتم مرة أخرى وإلى اليد الممدودة على ذراع الكرسي، وتذكّر ذلك القول المأثور: «لا يكدحْنَ ولا يغْزلن». لا يمكنه -بالتأكيد- أن يتصور الليدي ستبس وهي تكدح وتغزل،

ومع ذلك فإنه لا يكاد يستطيع وصفها بأنها «زنبقة الحقل» كما يقول مقطع آخر من القصيدة، فقد كانت أكثر تصنعاً من أن توصف بهذا الوصف.

قال وهو ينظر حوله بإعجاب: ما أجمل هذه الغرفة!

قالت بغموض: نعم، أحسبها كذلك.

كان انتباهها ما يزال منصرفاً إلى خاتمها، وبينما كان رأسها يميل جانباً جعلت تراقب الضوء الأخضر الذي كان يظهر عندما تحرك يدها. قالت كمن يهمس بسر: هل ترى؟ إنه يغمزني!

ثم انفجرت ضاحكة. أما بوارو فقد أصابته صدمة مفاجئة؛ فقد كانت ضحكة عالية منفلتة. وقال السير جورج من الجانب الآخر في الغرفة: هاتي!

كان صوته لطيفاً تماماً لكنه يحمل أثراً من عتاب. سكتت الليدي ستبس عن الضحك، وقال بوارو بأسلوب رسمي: ديفونشير مقاطعة جميلة جداً، ألا تظنين ذلك؟

قالت: إنها جميلة في النهار حين لا يكون الجو ماطراً. ثم أضافت بحزن: ولكن ليس فيها أندية ليلية.

- ها، فهمت. هل تحبين الأندية الليلية؟

قالت بحماسة: آه، نعم.

- ولماذا تحبين الأندية الليلة إلى هذا الحد؟

- موسيقى وتسلية... وألبس فيها أجمل ثيابي وجواهري. النساء كلهن يلبسن ثياباً وجواهر جميلة، ولكنها ليست أجمل من ثيابي وجواهري.

ابتسمت ابتسامة رضا بالغ، فأحس بوارو بشيء من الشفقة عليها. قال: وكل هذا يسرك كثيراً؟

- نعم. وأحب أندية القمار أيضاً. لماذا لا توجد أندية قمار في إنكلترا؟

تنهد بوارو وقال: كنت أتساءل عن ذلك كثيراً. لا أظنها تنسجم مع الشخصية الإنكليزية.

نظرت إليه بشيء من عدم الفهم، ثم مالت ناحيته قليلاً وقالت: لقد ربحت ستين ألف فرنك في مونتي كارلو ذات مرة؛ وضعت رهاني على الرقم ٢٧ ففزت.

- لا بد أن ذلك كان مثيراً جداً يا سيدتي.

- آه، نعم، كان كذلك. جورج يعطيني مالاً لألهو، ولكني أخسره في العادة.

بدت مغمومة فقال بوارو: هذا محزن!

- هذا في الحقيقة لا يهم فجورج غني جداً. جميل أن يكون المرء غنياً، ألا تظن ذلك؟

- جميل جداً.

- لو لم أكن غنية فلربما رأيتني مثل أماندا.

نقلت بصرها صوب الآنسة برويس عند طاولة الشاي، وأمعنت النظر فيها دون اهتمام وقالت: إنها قبيحة جداً، ألا ترى ذلك؟

في تلك اللحظة رفعت الآنسة برويس بصرها ونظرت حيث كانا يجلسان. لم تكن الليدي ستبس قد تكلمت بصوت مرتفع ولكن بوارو تساءل إن كانت أماندا قد سمعت الحديث. وبينما كان يسحب نظراته قابلت عينُه عينَ الكابتن واربورتن، وكانت نظرة الأخير ساخرة مسرورة.

حاول بوارو أن يغير الموضوع وسألها: هل شغلك كثيراً التحضير للمهرجان؟

هزت هاتي ستبس رأسها بالنفي وقالت: آه، كلا. أنا أرى الأمر كله مملاً جداً... إنه عمل سخيف! لدينا خدم وبستانيون، لم لا يقومون هم بالتحضير اللازم؟

اقتربت السيدة فوليات وجلست على الأريكة القريبة قائلة: آه يا عزيزتي، هذه أفكار تربيتِ عليها في بلدك، ولكن الحياة في إنكلترا ليست على هذا الشكل هذه الأيام. ليتها كانت كذلك! على المرء في هذه الأيام أن يعمل كل شيء بنفسه!

رفعت الليدي ستبس كتفيها بلامبالاة وقالت: هذه سخافة. ما فائدة الغنى إذا توجب على المرء أن يعمل كل شيء بنفسه؟

ابتسمت فوليات لها وقالت: بعض الناس يجدون متعة في العمل. أنا في الحقيقة أجد متعة في ذلك، ليس في جميع الأشياء

بل في بعضها؛ فأنا أقوم بأعمال الحديقة بنفسي، وأحب التحضير لاحتفالاتٍ كاحتفالنا غداً.

سألتها الليدي ستبس بشيء من الرجاء: وهل سيكون ذلك شبيهاً بالحفلات؟

- كالحفلات تماماً، يحضرها أعداد كبيرة جداً من الناس.

- وستكون مثل حفلات نادي أسكوت، حيث القبعات الكبيرة والجميع متأنقون؟

- حسناً، لن تكون تماماً كحفلات أسكوت، ولكن عليك أن تحاولي الاستمتاع بالأشياء الريفية يا هاتي. كان يجب أن تساعدينا هذا الصباح بدلاً من بقائك نائمة حتى العصر.

عبست هاتي وقالت: كنت أعاني من الصداع!

وتغير مزاجها فجأة ثم ابتسمت ابتسامة ودّ للسيدة فوليات وقالت: ولكنني سأكون بخير غداً وسأفعل كل شيء تطلبينه مني.

- هذا جميل منك كثيراً يا عزيزتي.

- عندي ثوب جديد سألبسه غداً، وقد تسلمتُه صباح هذا اليوم. تعالي معي الى الطابق العلوي لأريك إياه.

ترددت الليدي فوليات، ولكن الليدي ستبس نهضت وقالت بإصرار: يجب أن تأتي، أرجوك. إنه ثوب جميل... هيا!

ضحكت فوليات ضحكة خفيفة ونهضت قائلة: حسناً!

وبينما كانت خارجة من الغرفة وجسدها الصغير يتبع جسد هاتي الطويل، رأى بوارو وجهها وجفل تماماً مما رآه عليه من سأم حلّ محل هدوئها الباسم. وبدا أنها -في تلك اللحظة من الاسترخاء والغفلة- لم تعد تهتم بوضع ذلك القناع الاجتماعي. ومع ذلك بدا أن في الأمر أكثر من هذا. ربما تعاني من مرض تخفيه ككثير من النساء، خاصة وقد رأى بوارو أنها ليست من ذلك النوع الذي يسعى لاستدرار الشفقة والتعاطف.

ألقى الكابتن واربورتن بنفسه على الكرسي الذي أخلته هاتي ستبس لتوها. نظر هو أيضاً إلى الباب الذي خرجت منه المرأتان ولكن حديثه لم يتناول المرأة الأكبر سناً، بل ابتسم ابتسامة خفيفة وقال: إنها امرأة جميلة، أليس كذلك؟

ثم نظر بطرف عينه إلى السير جورج وهو يخرج من الباب الزجاجي المفضي إلى الحديقة مع السيدة ماسترتن والسيدة أوليفر وقال: لقد فتنت السير جورج ستبس تماماً. إنها لا تقنع بشيء؛ الجواهر والفرو وكل هذه الاشياء. لم أعرف بعدُ إن كان يدرك أن عقلها في إجازة، بل ربما هو لا يرى هذا الأمر مهماً؛ فرجال المال هؤلاء لا يطلبون زوجات ذكيات على أية حال.

سأل بوارو بفضول: ومن أي البلاد هي؟

- لعلها من أمريكا الجنوبية. لكنني أظن أنها جاءت من جزر الهند الغربية، تلك الجزر المشهورة بالسكّر. إنها ابنة إحدى العائلات القديمة هناك... من الخلاسيين. لا أقصد أنها مولّدة، ولكني أظن

أن زواج الأقارب شائع في تلك الجزر، وهذا يفسر ضعف قدراتهم العقلية.

جاءت السيدة ليغ الشابة لتنضم إليهما. قالت: اسمعني يا جيم... لا بد أن تقف بجانبي. يجب وضع تلك الخيمة في المكان الذي قررناه جميعاً، في الجانب البعيد من المرجة العشبية عند نباتات الورد؛ إنه المكان الجيد الوحيد.

- ماسترتن لا ترى ذلك.

- حسناً، يجب أن تقنعها بالعدول عن فكرتها

ابتسم ابتسامة ماكرة وقال: السيدة ماسترتن رئيستي.

- بل ويلفريد ماسترتن هو رئيسك؛ فهو عضو البرلمان.

- ربما، ولكن كان ينبغي أن تكون هي رئيستي؛ فهي صاحبة الكلمة الأخيرة... وأنا أعرف ذلك.

عاد السير جورج عبر الباب الزجاجي وقال: آه! ها أنت هنا يا سالي؟ نحن محتاجون إليك. ليس بوسعك أن تتخيلي كيف ينفعل الناس حول أمور تافهة ويتشاجرون: مَن منهم يعد الحلوى، ومن يبيعها، ولماذا نُصب كشك الخضار محل مائدة بيع المنسوجات الصوفية؟ أين إيمي فوليات؟ إنها تستطيع أن تتعامل مع هؤلاء الناس، بل إنها الوحيدة التي تستطيع ذلك.

- لقد ذهبت إلى الطابق العلوي مع هاتي.

- آه، حقاً؟

نظر السير جورج حوله نظرة حزينة غامضة، ونهضت الآنسة بروِيس من مكانها حيث كانت تكتب التذاكر وقالت: سأذهب وأحضرها لك يا سير جورج.

- شكراً لك يا أماندا.

خرجت برويس من الغرفة، وتمتم السير جورج: يجب أن نحصل على مزيد من الأسلاك للسياج.

- من أجل المهرجان؟

- لا، لا، بل حتى نرسم حدودنا مع بيت الشباب المسمّى هوداون بارك داخل الغابة. السياج القديم أصبح تالفاً، وهم يدخلون إلينا من ذلك المكان.

- من الذي يدخل؟

- الذين يتعدون على حرمة أراضينا.

قالت سالي مازحة: إنك تبدو مثل بتسي تروتوود الذي شن حملة على الحمير!

- بتسي تروتوودا من يكون هذا؟

- إحدى شخصيات تشارلز ديكنز.

- ها، ديكنز. قرأت مرة قصة «أوراق بيكويك». لا بأس بها، بل لقد أدهشتني. لكن الذين يتعدون على حرمة أرضنا باتوا يزعجوننا منذ فُتح بيت الشباب السخيف هذا. إنهم يخرجون إليك من كل مكان وهم يلبسون القمصان الغريبة. أحد الأولاد كان يلبس هذا

الصباح قميصاً مغطّىً كله برسومات السلاحف، بحيث لم أكد أصدق عيني. كنت أصرخ فيهم وأطردهم إلى حيث أتوا ولكنهم يحدقون بي ولا يفهمون؛ فنصفهم لا يتحدثون الإنكليزية. أظن أنهم من جميع الجنسيات: إيطاليون ويوغسلاف وهولنديون وفنلنديون، ولن أُفاجأ إن كان بعضهم من الأسكيمو! بل ولن يدهشني أن يكون نصفهم من الشيوعيين!

قالت السيدة ليغ: هيا يا جورج، دعك من الشيوعيين! سآتي وأساعدك في التعامل مع أولئك النسوة الفظيعات.

أخذته وخرجا من الباب الزجاجي ونادت وهي تدير رأسها للوراء: هيا يا جيم، تعال اتعبْ معنا في سبيل قضية جيدة.

- حسناً، لكنني أريد شرح مسابقة البحث عن المجرم للسيد بوارو لأنه هو الذي سيقدم الجوائز.

- يمكنك فعل ذلك بعد قليل.

قال بوارو بلطف: سوف أنتظركَ هنا.

وفي لحظة الصمت التي تلت ذلك تمطى أليك ليغ على كرسيه وتنهد قائلاً: يا للنساء! إنهن كسرب النحل... ثم التفت لينظر خارج النافذة وقال: ولم كل هذا؟ من أجل مهرجان سخيف في الحديقة لا يهم أحداً؟

قال بوارو: لكن من الواضح أن البعض يهمهم الأمر.

- لم لا يَعقل الناس ولا يستطيعون التفكير؟ فليفكروا في

المأزق الذي يعيشه العالم. ألا يفهمون أن سكان العالم مشغولون بقتل أنفسهم؟

أحسّ بوارو بأن أليك لم يكن ينتظر منه جواباً على هذا السؤال، ولذلك اكتفى بهزّ رأسه متشككاً. وما لبث أليك ليغ أن انفجر قائلاً: إلا إذا استطعنا أن نعمل شيئاً قبل فوات الأوان..

ثم بدت عليه مسحة من الغضب وتابع: آه! نعم، أعرف ما تفكر فيه. أنت تظنني عُصابياً، مهووساً. مثل أولئك الأطباء الحمقى الذين ينصحونك بالراحة وتغيير الجو وهواء البحر. حسناً، جئت أنا وسالي هنا واستأجرنا منزل «ميل كوتيج» لمدة ثلاثة أشهر، وقد اتبعتُ وصفتهم الطبية؛ اصطدتُ السمك وسبحت ومشيت مسافات طويلة وأخذت حمامات شمسية.

قال بوارو بأدب: لقد لاحظت أنك أخذت حمامات شمسية، نعم.

رفع أليك يده إلى وجهه الذي لوحته الشمس وقال: أتعني هذا؟ هذا نتيجة لصيف إنكليزي جميل لا يأتي إلاّ نادراً. ولكن ما فائدة هذا كله؟ لا يمكنك تجنب مواجهة الحقيقة بمجرد الهروب منها.

- لا، إن الهروب لا ينفع أبداً.

- إن وجودك في بيئة ريفية كهذه يجعلك تدرك الأمور بطريقة أكثر حدة، هذا بالإضافة إلى ما يبديه أهل هذه البلاد من لامبالاة فظيعة. حتى سالي -وهي الذكية جداً- صارت كذلك؛ فهي تقول

لي: "لماذا تهتم؟". وهذه الكلمة تجعلني مجنوناً!

- أسألك من باب الفضول: لماذا تهتم؟

- يا إلهي، حتى أنت؟!

- لا، إنها ليست نصيحة أُسديها. أريد فقط أن أعرف جوابك.

- ألا ترى؟ لا بد لأحدٍ أن يفعل شيئاً.

- وهذا الأحد هو أنت؟

- لا، لا؛ ليس أنا شخصياً. لا يسع المرء أن يكون ذاتياً في أوقات كهذه.

- لا أرى سبباً يمنع المرء من ذلك. حتى في «أوقات كهذه» -كما تسميها- يبقى الإنسان إنساناً.

- لكن على المرء ألاّ يكون ذاتياً! ففي أوقات الشدة حين يصبح الأمر مسألة حياة أو موت لا يسعُ المرء أن يفكر في أمراضه ومشاغله الخاصة التافهة.

- أؤكد لك أنك مخطئ تماماً؛ ففي أثناء غارة جوية شديدة في الحرب الأخيرة لم تشغلني فكرة الموت بقدر ما شغلني الألم الناتج عن مسمار في أصبع قدمي الصغير. لقد أدهشني ذلك حينها وقلت لنفسي: "فكّرْ، فقد يأتي الموت في أية لحظة!"، ومع ذلك بقيت واعياً لألم ذلك المسمار، بل إنني شعرت بالسخط إذ تعيّن عليّ أن أعاني من ذلك الألم فوق ما أعانيه من خشية الموت. ولأنني

كنت معرضاً للموت اكتسبتْ كلُّ مسألة صغيرة تافهة في حياتي أهميةً مضاعفة. ولقد رأيت مرة امرأة صدمتها سيارة فكسرت ساقها لكنها انفجرت تبكي لأنها رأت نَسْلاً في جوربها!

- وهذا يبيّن لك حماقة النساء!

- بل هذا يبين طبيعة الناس. ربما يكون استغراق الإنسان في حياته الشخصية هو الذي مكّن العنصر البشري من البقاء.

ضحك أليك ليغ ضحكة ازدراء وقال: أحسب أحياناً أن تمكن ذلك العنصر من البقاء أمر مؤسف.

أصرّ بوارو قائلاً: إن في الأمر شكلاً من أشكال التواضع، والتواضع أمر قيّم. أذكرُ شعاراً كان مكتوباً في محطات السكة الحديدية هنا أثناء الحرب: «كل شيء يعتمد عليك أنت». ولعله شعار وضعه سياسي ما، ولكن هذا في رأيي كان اعتقاداً خطيراً كريهاً، لأنه ليس صحيحاً؛ فليس كل شيء يعتمد عليك. إذ لا يعتمد كل شيء، مثلاً، على امرأة ريفية من عامة الناس. ولو جعلنا تلك المرأة تؤمن أن كل شيء يعتمد عليها لما كان ذلك مفيداً لشخصيتها، وهي -في غمرة تفكيرها بالدور الذي ستلعبه على المستوى الدولي- ستجد أن ابنها سكب إبريق الشاي على نفسه.

- أرى أن أفكارك رجعية، هل لنا أن نعرف ما هو شعارك؟

- لا حاجة لأن أصوغ شعاراً خاصاً بي، ففي هذا البلد شعار قديم يقنعني تماماً.

- وما هو؟

- «ضع ثقتك، بالله مع إبقاء بندقيتك جاهزة».

بدا أليك ليغ مسروراً: حسناً، حسناً. هذا كلام غير متوقع أبداً منك. أتدري ما الذي أحب أن يجري لهذا البلد؟

ابتسم بوارو وقال: لا شك أنه شيء عنيف وكريه.

ظل أليك ليغ جاداً: أحب إزالة كل ضعيفي العقول... إزالة تامة، بحيث لا أدعهم يتكاثرون! لو سمحنا للأذكياء فقط بالتناسل لجيل واحد فتصور ماذا ستكون النتيجة.

قال بوارو ببرود: ربما تكون النتيجة زيادة كبيرة جداً في عدد المرضى في مستشفيات الأمراض النفسية. المرء يحتاج من النبتة جذورها تماماً كما يحتاج أزهارها يا سيد ليغ، فمهما تكن الأزهار كبيرة وجميلة فسوف تموت إذا فسدت الجذور. هل ترى في الليدي ستبس مرشحة مناسبة للإعدام ضمن حملتك هذه؟

- نعم، فما فائدة امرأة من هذا النوع؟ ما الخدمة التي أدتها للمجتمع؟ هل سبق أن راودت ذهنها فكرة غير الملابس والفراء والجواهر؟ كما قلت: ما هي فائدتها؟

قال بوارو بلطف: نحن كلانا أكثر ذكاء من الليدي ستبس، ولكنني أخشى ألاّ نكون -أنا أو أنت- زينة لهذا العالم مثلها.

بدأ أليك كلامه متأففاً: زينة...

ولكنه سكت عندما دخلت السيدة أوليفر والكابتن ووربيرتن من الباب الزجاجي مرة أخرى.

* * *

الفصل الرابع

قالت السيدة أوليفر وهي تلهث: يجب أن تأتي يا سيد بوارو وترى مفاتيح اللغز والأشياء التي تتعلق بمسابقة البحث عن المجرم.

نهض بوارو وتبعهما طائعاً، وسار الثلاثة عبر الصالة ودخلوا غرفة صغيرة أثاثها بسيط كأنها مكتب عمل. وقال الكابتن ووربيرتن وهو يلوح بيده تجاه طاولة مغطاة بقماش أخضر: الأسلحة الفتّاكة عن يسارك.

كان على الطاولة مسدس صغير، وقضيب معدني مخيف عليه بقعة من الصدأ، وزجاجة زرقاء مكتوب عليها «سمّ»، وحبل دقيق طويل، وحقنة طبية. أوضحت أوليفر: هذه هي الأسلحة، وهؤلاء هم المشبوهون.

قدمت إليه بطاقة مطبوعة قرأها باهتمام:

<u>المشبوهون</u>:

إيستيل غلين: شابة جميلة غامضة تحل ضيفة عند:

الكولونيل بلانت: ملاّك الأراضي المحلي ولديه ابنة تُدعى:

جوان: وهي زوجة:

بيتر غيي: وهو عالم ذرّة شاب.

الآنسة ويلينغ: مدبرة منزل.

كوايت: خادم.

مايا ستافسكي: سائحة.

إستيبان لويولا: ضيف جاء دون دعوة."

طرفت عين بوارو ونظر صوب السيدة أوليفر حائراً، وقال بأدب: مجموعة رائعة من الشخصيات! لكن اسمحي لي أن أسألك يا مدام: ماذا يفعل المتسابق؟

قال ووربيرتن: اقلب البطاقة.

قلب بوارو البطاقة فكان على ظهرها:

الاسم والعنوان:________________________

الحل: القاتل:________________________

السلاح: ________________________

الدافع: ________________________

الوقت والمكان: ________________________

الأسباب التي دعتك إلى هذا الاستنباط: ________

____

أوضح ووربيرتن بسرعة: كلُّ من يدخل يحصل على بطاقة كهذه، ويأخذ دفتر ملاحظات وقلم رصاص أيضاً لكتابة مفاتيح

الحل. سيكون للحل ستة مفاتيح بحيث ينتقل المَرء من مفتاح لآخر مثل مسابقة «البحث عن كنز»، كما أن الأسلحة مخفية في أماكن تثير الشبهة. ها هو المفتاح الأول... صورة. سيبدأ كل متسابق ومعه واحدة من هذه.

أخذ بوارو الصورة الصغيرة منه وتمعن فيها وهو عابس ثم قلبها وما زال حائراً. ضحك ووربيرتن وقال مسروراً: حيلة بارعة من حيَل التصوير، أليس كذلك؟ حين تعرف ما هي سترى أنها بسيطة جداً.

شعر بوارو -الذي لم يكن يعرف ما هي- بالانزعاج. قال: أراها أشبه بنافذة عليها قضبان.

- أعترف أنها تشبه ذلك قليلاً. ولكن، لا... إنها مقطع من شبكة تنس.

نظر بوارو في الصورة مرة أخرى: ها! نعم، إنها كما تقول. تصبح واضحة تماماً عندما يخبرك أحد ما هي.

ضحك ووربيرتن وقال: إن الكثير يعتمد على طريقة المرء في النظر إلى الأمور.

- هذه حقيقة عميقة جداً.

- سيتم العثور على المفتاح الثاني في علبة تحت مركز شبكة التنس، وفي هذه العلبة زجاجة السم الفارغة، وسدادة من الفلين.

قالت أوليفر بسرعة: إلاّ أن لِفوّهة الزجاجة سدادة من النوع اللولبي، ولذلك فإن الفلينة هي المفتاح الحقيقي.

- أعرف يا مدام أنك بارعة دائماً، لكني لا أفهم تماماً.

قاطعته أوليفر: ولكن يوجد بالطبع تعريف مختصر بالقصة، ملخص كذلك الذي تضعه المجلات في مطلع الحلقات المتسلسلة لقصة أو رواية.

ثم التفتت إلى الكابتن ووربيرتن وسألته: هل أحضرت النشرات؟

- لم تصل من المطبعة بعد.

- ولكنهم وعدوا!

- أعرف، أعرف؛ الكل دائماً يعدون. ستكون جاهزة في السادسة مساء، وسأذهب بالسيارة لإحضارها.

- جيد.

تنهدت أوليفر والتفتت إلى بوارو: حسناً، لا بد لي إذن من أن أحكيها لك، إلاّ انني لست بارعة في سرد قصصي. فعندما أكتب أشياء فإنني أكتبها بطريقة واضحة تماماً، أما إن تحدثت بها مشافهةً فإنّ حديثي يبدو مشوشاً جداً، ولذلك فإنني لا أناقش حبكات رواياتي مع أحد أبداً. تعلمت ألاّ أتحدث بها؛ لأنني إن فعلت ذلك تراهم ينظرون إليّ ذاهلين ويقولون: "نـ... نعم، لكننا لا نفهم ماذا حدث، وهذا بالتأكيد لا يشكل رواية!". وهو أمر يثبط الهمة كثيراً، وهو ليس صحيحاً لأنني حين أكتبه كتابة تراه يشكل رواية.

سكتت أوليفر لتأخذ نفساً ثم مضت قائلة: إن القصة على النحو

التالي: بيتر غبي عالم ذرة شاب يُشتبَه بأنه مأجور للشيوعيين، وهو متزوج من هذه الفتاة، جوان بلانت. زوجته الأولى اليوغسلافية توفيت، ولكنها في الحقيقة غير ميتة، وهي تعود إلى الظهور لأنها عميلة سرية، وربما ليست عميلة، فلعلها تكون سائحة حقاً. وتقيم الزوجة علاقة غرامية بشخص. وهذا الرجل، لويولا، يظهر إما ليقابل مايا أو ليتجسس عليها. وهناك رسالة ابتزاز ربما تكون من مدبرة المنزل، أو ربما تكون من كبير الخدم، ويكون المسدس مفقوداً، وبما أنك لا تعرف الشخص الذي أُرسلت إليه رسالة الابتزاز، وتظهر الإبرة الطبية على العشاء ثم بعد ذلك تختفي.

توقفت أوليفر وقد قدّرت بحق رد فعل بوارو ثم قالت بتفهُّم: أعلم أنها تبدو قصة بالغة التعقيد، ولكنها في الحقيقة ليست كذلك؛ ليست معقدة في رأسي، وحين ترى الكراسة المختصرة فسوف تجد أنها واضحة تماماً. وعلى أية حال فالقصة لا تهم، أقصد أنها لا تهمك أنت، فكل ما عليك فعله هو تقديم الجوائز، وهي جوائز جميلة جداً. الجائزة الأولى علبة من الفضة على شكل مسدس تدل على ذكاء الشخص الذي سيكشف الحل.

فكر بوارو في أن من شأن كاشف الحل أن يكون ذكياً حقاً، بل إنه شك كثيراً في إمكانية وجود من يكشف هذا اللغز. فكل الحبكة ومسابقة البحث عن المجرم عنده يكتنفها الغموض.

قال الكابتن ووربيرتن مبتهجاً وهو ينظر إلى ساعته: حسناً، الأفضل أن أذهب إلى المطبعة لأحضر الكراسات.

علّقت أوليفر: إذا لم تكن جاهزة و...

- بل هي جاهزة دون ريب؛ لقد هاتفتهم وداعا

ثم غادر الغرفة، فأمسكت أوليفر بذراع بوارو وهمست: ما رأيك؟

- رأيي... فيمَ؟

- هل وجدت شيئاً أو حددت أحداً؟

أجابها بوارو وفي نبرة صوته شيء من العتب: بل إن كل شخص وكل شيء يبدو لي طبيعياً تماماً.

- طبيعياً؟

- لعل هذه ليست هي الكلمة المناسبة تماماً؛ فالليدي ستبس -كما تقولين- أقلّ من طبيعية دون شك، ويبدو لي السيد ليغ فوق الطبيعي إلى حد الشذوذ.

قالت السيدة أوليفر بنفاد صبر: إنه على ما يرام، غير أنه مصاب بانهيار عصبي!

لم يستفهم بوارو عن تناقض الصياغة في عبارتها تلك بل قبِلَها كما هي وقال: يبدو الجميع في حالة متوقَّعة من التوتر العصبي والانفعال والإرهاق، وهي حالات ترافق عادة الاستعداد لمثل هذا الشكل من الترفيه. لو استطعتِ فقط أن تشيري...

أمسكت أوليفر ذراعه بقوة: صه! شخص قادم.

أحس بوارو -وقد بدأ انزعاجه يتزايد- بأن الأمر أشبه بميلودراما

سيئة، ثم ظهر وجه الآنسة برويس الهادئ السار من وراء الباب: ها، أنت هنا يا سيد بوارو؟ كنت أبحث عنك لأريك غرفتك.

صعدت به الدرج إلى ممر ثم إلى غرفة كبيرة تطل على النهر وقالت: يوجد حمام في الجهة المقابلة تماماً. السير جورج يتحدث عن إضافة مزيد من الحمامات ولكن عمل ذلك سيفسد تناسق الغرف. أرجو أن تجد كل شيء مريحاً.

قال بوارو وهو ينظر بإعجاب إلى رفّ صغير للكتب وإلى مصباح وعلبة كُتب عليها «بسكويت» بجانب السرير: يبدو أنكم في هذا البيت قد نظمتم كل شيء إلى حدّ الكمال. هل أهنئك أنت على ذلك أم أهنئ مضيفتي؟

قالت برويس بنبرة فيها أثر من حدة: وقت الليدي ستبس كله مشغول بزينتها.

- إنها شابة متأنقة كثيراً.

- كما تقول.

- ولكنها من نواحٍ أخرى ليست، ربما...

ثم توقف قليلاً وعاد ليقول: أرجو عفوك! إنني طائش؛ أعلّق على أشياء لا ينبغي أن أذكرها.

نظرت برويس إليه نظرة ثابتة ثم قالت بجفاء: الليدي ستبس تعرف ما تصنعه تماماً، وهي تتمتع -مع تأنقها البالغ الذي ذكرتَه- بذكاء بالغ أيضاً.

ثم دارت وغادرت الغرفة قبل أن يرتفع حاجبا بوارو من الدهشة. هذا هو -إذن- رأي برويس القديرة، أليس كذلك؟ أم أنها لم تقل ذلك إلاّ لسبب خاص بها؟ ولماذا قالت ذلك له وهو ضيف جديد؟ ألأنه ضيف جديد؟ ربما، بالإضافة إلى كونه أجنبياً. لقد اكتشف بوارو -بالتجربة- بأن كثيراً من الإنكليز لا يعتبرون ما يقولونه للأجانب مهماً!

قطب جبينه في حيرة وهو ينظر شارد الذهن إلى الباب الذي خرجت منه برويس ثم سار ناحية النافذة ووقف ينظر إلى الخارج. وبينما كان ينظر رأى الليدي ستبس تخرج من البيت مع فوليات، وقفتا لحظة تتحدثان بجانب شجرة المغنوليا الكبيرة، ثم أومأت فوليات برأسها مودعة وأخذت سلتها وقفازيها ومضت نزولاً في الطريق. وقفت الليدي ستبس تراقبها لحظة ثم قطفت -بشرود- زهرة من شجرة الماغنوليا وشمّتها، وأخذت تسير ببطء في الممشى الذي يخترق الأشجار وصولاً إلى النهر. التفتت إلى الخلف مرة واحدة لتنظر قبل أن تتوارى عن الأنظار. وظهر مايكل ويمان من وراء شجرة الماغنوليا بهدوء، وتوقف لحظة متردداً ثم تبع صاحبة الجسد الطويل النحيل داخل الأشجار. رأى فيه بوارو شاباً وسيماً ونشيطاً ذا شخصية أكثر جاذبية -دون شك- من شخصية السير جورج ستبس.

فإن كان الأمر كذلك فما هي الغرابة فيه؟ إن مثل هذه الأنماط من العلاقات تتكرر في الحياة باستمرار. زوج غني غير جذاب في أواسط العمر، وزوجة شابة جميلة ذات قدرات عقلية كبيرة أو صغيرة، وشاب جذاب ضعيف أمام الإغراء. ما المثير في ذلك

الأمر حتى تعمد السيدة أوليفر إلى هذا الاستدعاء العاجل بالهاتف؟ إن لها -دون شك- خيالاً قوياً خصباً، ولكن...

تمتم بوارو قائلاً لنفسه: ولكنني -في نهاية المطاف- لست مستشاراً في الشؤون الغرامية.

أيمكن أن يكون ثَم أساس لفكرة السيدة أوليفر الغريبة تلك؟ لقد كانت السيدة أوليفر امرأة مشوشة الذهن إلى حد بعيد، ولم يفهم بوارو كيف نجحت -بطريقة أو بأخرى- في صياغة قصص مترابطة من قصص الجريمة. ولكن بالرغم من كل تشوش ذهنها فإنها كانت تفاجئه في أحيان كثيرة بإدراكها المفاجئ للحقيقة.

تمتم مع نفسه مرة أخرى: الوقت قصير قصير، فهل في الأمر شيء غير طبيعي كما تظن السيدة أوليفر؟ أنا أميل للاعتقاد بوجود شيء، ولكن ما هو؟ مَن يمكن أن ينير لي طريقي؟ أحتاجُ لمعرفة المزيد عن الناس في هذا البيت. من يمكن أن يخبرني بذلك؟

وبعد لحظة تفكير أمسك بقبعته (إذ لم يكن ليغامر أبداً بالخروج إلى هواء المساء برأس حاسر) وأسرع مغادِراً غرفته ونزل الدرج. سمع عن بُعد الصراخ المستبد للسيدة ماسترتن بصوتها العميق، فيما جاءه من مسافة أقرب صوت السير جورج متغزلاً: هذا الخمار الذي تضعينه رائع جداً يا سالي. سآتي لكي تقرئي لي طالعي غداً، بِمَ ستخبرينني؟

تعالى صوت شجار بسيط، وقال صوت سالي باستنكار: جورج، ينبغي ألاّ تفعل ذلك.

رفع بوارو حاجبيه وتسلل من باب جانبي قريب حيث انطلق بأقصى سرعته فوق ممر خلفي مكّنه حدسه من أن يتوقع التقاءه مع الممر الأمامي الآخر. ونجحت مناورته فاستطاع -وهو يلهث قليلاً- الوصول إلى جانب فوليات ليريحها بشهامة من عبء سلة الحديقة التي تحملها.

- هل تسمحين لي يا مدام؟

- آه، شكراً لك يا سيد بوارو. هذا لطف منك، لكنها ليست ثقيلة.

- اسمحي لي بأن أحملها عنك إلى بيتك. أنت تعيشين قريباً من هنا، أليس كذلك؟

- في الحقيقة أعيش في البيت الصغير عند البوابة الأمامية. لقد تكرم السير جورج وأجّرني إياه.

البيت الصغير عند البوابة الأمامية لبيتها السابق... تساءل بوارو: كيف تراها تشعر إزاء ذلك؟ كانت هادئة ورابطة الجأش بحيث لا يمكن للمرء أن يستنتج شيئاً عن حقيقة مشاعرها. غيّر مجرى الحديث قائلاً: إن الليدي ستبس أصغر بكثير من زوجها، أليس كذلك؟

- أصغر منه بثلاث وعشرين سنة!

- تبدو شابة وجذابة جداً.

قالت فوليات بهدوء: هاتي طفلة طيبة.

لم يكن هذا الجوابَ الذي توقعه بوارو. وأكملت فوليات حديثها: أنا أعرفها جيداً؛ فقد كانت تحت رعايتي لفترة قصيرة من الزمن.

- لم أكن أعلم بذلك.

- وكيف لك أن تعلم؟ إنها قصة محزنة على نحو ما. كان أهلها يملكون أراضي لإنتاج السكر في جزر الهند الغربية، ونتيجة هزة أرضية احترق بيتهم وتهدم ومات والداها وسائر إخوتها وأخواتها. وكانت هاتي وقتها في أحد الأديرة في باريس، وهكذا وجدت نفسها فجأة دون أقرباء. وقد نصح منفّذو الوصية بتعيين وصيفة لهاتي أكبر منها سناً لتشرف على شؤونها بعد أن قضت فترة من الزمن في الخارج، ورضيت أن أتولى مسؤوليتها.

ثم أضافت السيدة فوليات بابتسامة جافة: أستطيع أن أتأنق في المناسبات، كما أنني أملك العلاقات والاتصالات الضرورية. والحقيقة أن الحاكم الراحل كان صديقاً مقرباً لنا.

- طبيعي يا مدام، أفهم كل هذا.

- لقد ناسبني ذلك الترتيب تماماً؛ إذ كنت أمر في أوقات عصيبة. كان زوجي قد توفي قبل اندلاع الحرب بوقت قصير، وغرق ابني الأكبر الذي كان يعمل في سلاح البحرية مع سفينته، وعاد ابني الأصغر الذي كان في كينيا وانضم إلى القوات الخاصة وقُتل في إيطاليا، وهذا يعني تحمل ضرائب التركات ثلاث مرات، فلم أجد بداً من عرض هذا البيت للبيع. كنت في حاجة ماسة للمال،

وكنت سعيدة لما يتيحه الاعتناء بفتاة صغيرة والسفر معها من سيان لأحزاني. وقد أصبحتُ مولعةً بهاتي، وربما ازداد تعلقي بها لأنني أدركت في الحال أنها كانت عاجزة عن حماية نفسها. ولكن أرجو أن تفهمني يا سيد بوارو، هاتي ليست قاصرة عقلياً، ولكنها كما يقول أهل الريف: «ساذجة». فمن السهل فرض الآراء عليها، وهي مطيعة جداً وتتأثر كثيراً بالإيحاءات. وأنا -شخصياً- أظن أن عدم وجود إرث لها قد كان رحمة من الله، فلو أنها ورثت مالاً كثيراً لكان موقفها أشد صعوبة. كانت جذابة للرجال، وبما أن طبيعتها رقيقة عاطفية فقد كان من السهل جذبها والتأثير فيها... كانت تحتاج -دون شك- إلى العناية. وعندما تمت تصفية أملاك والديها ظهر أن الزروع قد تلفت وأن الديون أكثر من الموجودات، وإنني لأشكر الله لأن رجلاً مثل جورج ستبس قد وقع في حبها وأراد الزواج بها.

- نعم، كان ذلك حلاً جيداً.

- ورغم أن السير جورج رجل عصامي (ولنقل بصراحة إنه جلف تماماً) إلا أنه لطيف وشريف في جوهره، إلى جانب كونه واسع الثراء. لا أظنه كان يريد من زوجته مسألة الرفقة العقلية، والحمد لله على ذلك. لدى هاتي كل ما يتمناه؛ فهي تبدو كاملة الجمال في ملبسها وجواهرها، وهي عاطفية تستجيب له، كما أنها سعيدة تماماً معه. أعترفُ بأنني سعيدة جداً لأن الأمر كذلك، كما أعترف بأنني أثرت فيها عامدة لترضى به، ولو أن الزواج قد فشل لكانت تلك غلطتي لأنني أقنعتها بالزواج برجل أكبر منها كثيراً. كما قلت لك: هاتي إنسانة تتأثر كثيراً بالإيحاء، فأي شخص تجالسه يسيطر عليها.

وافقها بوارو وقال باستحسان: يبدو لي أن ترتيبك هذا كان حكيماً جداً. أنا لست رومانسياً مثل الإنكليز، فحتى يرتب المرء زواجاً ناجحاً عليه أن يأخذ في الاعتبار أشياء أكثر أهمية من الرومانسية. وسكت قليلاً ثم قال: بيتكم هذا المُسمّى «ناسي» في موقع جميل جداً، كأنه خارج هذا الكون!

قالت فوليات وفي صوتها رعشة خفيفة: بما أنه قد تعين عليّ بيع هذا البيت فقد سُررتُ لأن السير جورج هو الذي اشتراه. لقد صادره الجيش في الحرب، وربما كان بالإمكان شراؤه بعد ذلك وتحويله إلى بيت ضيافة أو مدرسة، فقد تم تقطيع الغرف وتشويهها حتى فقدت جمالها الأصلي. أما جيراننا، عائلة فليتشر في بيت هوداون، فقد اضطروا إلى بيع بيتهم، وهو الآن بيت للشباب. إن من سعادة المرء أن يرى الشباب يستمتعون. ولحسن الحظ فإن هوداون مبني على طراز العصر الفيكتوري المتأخر وليست له ميزة معمارية كبيرة، ولذلك فلا أهمية للتغييرات التي أُجريت عليه. إن بعض الشباب يتجاوزون ويدخلون أرضنا، وهذا ما يثير غضب السير جورج كثيراً. والحقيقة أنهم يتلفون أحياناً الشجيرات النادرة بتقطيعها وهم يشقون طريقهم خلالها، إنهم يعبرون أرضنا في محاولة لاختصار الطريق إلى العبّارة التي تقطع بهم النهر.

كان الاثنان يقفان الآن قرب البوابة الأمامية للمنزل بجوار البيت الصغير ذي الطابق الواحد، وكان مطلياً باللون الأبيض ويقع إلى الخلف قليلاً من الممر الذي يقطع الحديقة، وحول ذلك البيت الصغير حديقة صغيرة مسيجة.

أخذت فوليات سلتها من بوارو وهي تشكره، ثم قالت وهي تنظر إلى البيت الصغير بحب: كنت دائماً أحب هذا البيت، وقد عاش فيه من قبل ميرديل كبير البستانيين الذي عمل عندنا ثلاثين عاماً. إنني أفضله كثيراً على البيت الصغير الآخر، رغم أن السير جورج قد وسّع ذلك البيت وجدّده. كان لا بد من عملية التحديث تلك؛ فالبستاني الآن شاب صغير ومعه زوجة شابة، ولا بد لهؤلاء الشابات من المكواة الكهربائية والأفران الحديثة والتلفاز وكل هذه الأشياء... يجب على المرء أن يساير الزمن.

ثم تنهدت واختتمت حديثها بالقول: لا تكاد ترى في البيت الآن أحداً ممن كانوا فيه في الأيام الخوالي. كلها وجوه جديدة!

- أنا مسرور يا سيدتي لأنك وجدت ملاذاً على الأقل.

- أتعرف تلك الأسطر التي قالها سبنسر: «النوم بعد الكدح، والميناء بعد البحر الهائج، والراحة بعد الحرب، والموت بعد الحياة، كل هذا يملأ القلب سروراً»؟

سكتت هنيهة ثم قالت دون أي تغيير في نبرة صوتها: إنه عالم شرير جداً يا سيد بوارو، وفي هذا العالم أناس تمكن الشر من قلوبهم، ولعلك تعرف هذا كما أعرفه. أنا لا أقول ذلك أمام الشباب؛ فربما يثبط عزائمهم، لكنه حقيقة. نعم، عالم شرير جداً!

أومأت إليه برأسها تحية ثم دارت ودخلت البيت الصغير، فيما وقف بوارو ساكناً وهو يحدق إلى الباب المغلق.

* * *

الفصل الخامس

عبر بوارو البوابة الأمامية تدفعه رغبة في الاستكشاف، ونزل الطريق المتعرج المنحدر الذي ما لبث أن انتهى إلى رصيف صغير على النهر. وكان هناك جرس ضخم وسلسلة عليها لوحة تقول: «اقرع الجرس إذا أردت عبّارة». كانت قوارب عدة ترسو بجانب الرصيف، وجاء عجوز دامع العينين كان يتكئ على أحد أعمدة المركب نحو بوارو متثاقلاً وقال: أتريد قارباً يا سيدي؟

- أشكرك، لا. جئت من بيت «ناسي» لكي أمشي قليلاً.

- آه، أنت في ناسي إذن؟ لقد عملتُ هناك حين كنت ولداً، وابني أيضاً كان كبير البستانيين هناك، أما أنا فكنت معتاداً على العناية بالقوارب. العجوز سكواير فوليات كان مولعاً بالقوارب وكان يبحر في جميع أحوال الطقس، أما ابنه الميجور فلم يكن يهتم بركوب القوارب بل كان اهتمامه كله منصباً على الخيول التي كان ينفق عليها أموالاً طائلة... الخيول والشراب... وزوجته كانت تواجه أزمات عصبية معه. لعلك رأيتها، إنها تعيش الآن في البيت الصغير عند البوابة.

- نعم، تركتها هناك لتوي.

- لقد كانت هي أيضاً من عائلة فوليات قبل زواجها، من أقارب السيد فوليات من تيفرتون. إنها تتقن تماماً أعمال الحديقة، وهي التي زرعت كل الشجيرات المزهرة هناك، وحتى حين استولى الجيش على البيت أيام الحرب وذهب ولداها إلى القتال ظلت تعتني بالأشجار وتحميها من عبث الجنود.

- لا بد أن مقتل ولديها الاثنين كان صعباً عليها.

- نعم، لقد عاشت حياة قاسية لأسباب عديدة؛ متاعب من زوجها ومتاعب من ولديها الشابين أيضاً. لم يكن السيد هنري هو سبب المتاعب، فقد كان فتى لطيفاً كما يتمناه المرء، وهو حذا حذو جده في حب الإبحار ودخل سلاح البحرية. ولكن السيد جيمس هو الذي كان يسبب لها متاعب كثيرة... ديون ونساء، ومزاج ناري شديد الغضب. كان ممن تتعذر عليهم الاستقامة بالفطرة، ولكن الحرب أفادته، فقد أعطته الفرصة. آه، كثيرون لا يستطيعون الاستقامة في سلوكهم أثناء السلم ولكنهم يموتون في الحرب بشجاعة!

- لم يتبقَّ إذن أحد من عائلة فوليات في «ناسي» الآن.

خمدت حماسة العجوز في الحديث فجأة وقال: الأمر كما تقول يا سيدي.

نظر بوارو بفضول إلى العجوز وقال: وحلّ السير جورج مكانهم الآن، ما رأي أهل المنطقة فيه؟

قال العجوز بنبرة بدت جافة تكاد تشي بالسرور: نحن نعلم أنه رجل غني جداً.

- وزوجته؟

- آه، سيدة جميلة من لندن. لا شأن لها بعمل الحدائق أبداً، ويقال أيضاً إن ثمة علة في طابقها الأخير هنا.

وأشار إلى صدغه بإشارة ذات دلالة ثم مضى قائلاً: هذا لا يعني أنها فظة في الحديث أو غير لطيفة. لقد مضى عليها وزوجها هنا أكثر من عام، فهما اشتريا البيت وأصلحاه حتى عاد كالجديد. أذكر وصولهما إلى هذا البيت وكأنه حدث بالأمس فقط... وصلا في المساء بعد أسوأ عاصفة شهدناها، فقد سقطت الأشجار ذات اليمين وذات الشمال، وسقطت شجرة على الممر في الحديقة وتعين علينا أن ننشرها بالمنشار لنبعدها عن الممر بحيث تمر السيارة. وشجرة البلوط الكبيرة التي سقطت هي الأخرى أسقطت معها كثيراً من الأشجار مسببة فوضى لم تحدث من قبل.

- آه، نعم. كانت في نفس موضع مبنى «الحماقة» المقام حالياً، أليس كذلك؟

التفت العجوز جانباً ويصق باشمئزاز وقال: إنه عمل أحمق، مبنى حديث لكنه سخيف. لم يكن في زمن عائلة فوليات مثل هذه الحماقات. كان هذا المبنى فكرة السيدة، وقد بدأت العمل فيه بعد ثلاثة أسابيع من وصولها فقط، ولا أشك أنها هي التي أقنعت السير جورج به. يبدو بناء سخيفاً، يقف هناك بين الأشجار كأنه معبد وثني،

ولو أنه كان بيتاً صيفياً جميلاً بني على طراز تلك البيوت الريفية ذات الزجاج الملون لما كان عندي اعتراض عليه.

تبسم بوارو بسمة خفيفة ثم قال: لا بد لنساء لندن من تحقيق نزواتهن. من المؤسف أن أيام عائلة فوليات قد ولت إلى غير رجعة.

ضحك العجوز ضحكة خفيفة وقال: لا تصدق ذلك أبداً يا سيدي؛ عائلة فوليات موجودة دائماً في بيت ناسي.

- لكن البيت ملك للسير جورج ستبس.

- ربما، ولكن ما يزال فيه عرق من عائلة فوليات. آه! إن عائلة فوليات عائلة فذة وماكرة.

- ماذا تقصد؟

نظر العجوز إليه نظرة ماكرة بطرف عينه وسأله: ألا تعيش السيدة فوليات في البيت الصغير عند البوابة؟

قال بوارو ببطء: بلى؛ السيدة فوليات تعيش في البيت الصغير، والعالم شرير جداً، وكل من فيه شريرون جداً.

حدق العجوز به وقال: آه، ربما كان في كلامك هذا شيء من الصحة.

ثم مضى العجوز متثاقلاً، وسأل بوارو نفسه بانفعال وهو يصعد التلة ببطء عائداً إلى البيت: ولكن ما الذي استفدته أنا؟

* * *

زين هيركيول بوارو شاربيه حتى أدق التفصيلات، فوضع عليهما مرهماً عطرياً وبرمهما حتى انتصبت نهايتاهما حادتين، ثم وقف أمام المرآة فسرّه ما رأى.

دوّى رنين الجرس في أرجاء البيت فنزل إلى الطابق الأسفل. كان الخادم يعيد عصا الجرس إلى موضعها بعد أن أنهى مقطوعته الموسيقية والمتعة بادية على وجهه الكئيب. وفكّر بوارو: "رسالة ابتزاز من مدبرة المنزل، أو ربما تكون من الخادم...". يبدو هذا الخادم وكأن رسائل الابتزاز يمكن أن تصدر عنه. وتساءل بوارو إن كانت أوليفر تأخذ شخصياتها من الحياة.

عبرت الآنسة برويس القاعة بثوب غير متناسق الشكل من الشيفون المشجّر، فتبعها بوارو وسألها: ألديكم مدبرة للمنزل هنا؟

- آه، كلا يا سيد بوارو، فالمرء لا يسعى للحصول على كماليات كهذه في هذه الأيام إلا في بيت ضخم جداً. لا، إنني أنا مدبرة المنزل... أعمل بهذه الصفة أحياناً أكثر من عملي سكرتيرة في هذا البيت.

ثم ضحكت ضحكة قصيرة لاذعة. وتمعن بوارو فيها متأملاً وقال: إذن فأنت مدبرة المنزل؟

لم يستطع بوارو أن يرى برويس في دور كاتبة رسائل ابتزاز، ولكن ماذا عن احتمال كتابتها لرسالة مغفلة من التوقيع؟ هنا يمكن أن يختلف الأمر. لقد مرت عليه رسائل مُغْفَلة من التوقيع كتبتها نساء كالآنسة برويس، نساء حازمات يُعتمد عليهن ولا يَشُكّ فيهن مَن حولهن. سألها: ما اسم خادمكم؟

بدت برويس مدهوشة قليلاً وقالت: هيندن.

جمع بوارو أفكاره وأوضح بسرعة: أسألك عنه لأنني تخيلت أنني رأيته في مكان ما من قبل.

- ربما، فلا أحد من هؤلاء يثبت في أي مكان أكثر من أربعة أشهر. لا بد أنهم يدورون في وقت قصير كل أماكن العمل في إنكلترا، إذ لم يعد بمقدور الكثير من الناس تحمل نفقات الخدم والطهاة هذه الأيام.

دخلا غرفة الاستقبال حيث كان السير جورج يرتدي بدلة السهرة ويرحب بضيوفه وإن بدا غير طبيعي إلى حد ما، وكانت أوليفر في ثوب رمادي من الساتان، فيما انكبت الليدي ستبس برأسها الأسود الأملس لتتفحص مجلة «فوغ» للأزياء.

وكان أليك وسالي يتناولان العشاء، وكذلك جيم ووربيرتن، وحذرهم السير جورج قائلاً: أمامنا ليلة مثقلة بالأعباء. لن نلعب البريدج الليلة، فعلى الجميع أن يشاركوا في العمل؛ كمية من الإعلانات تجب طباعتها، والبطاقة الكبيرة لقراءة الطالع. ما هو الاسم الذي سنستخدمه؟ زليخة، إزميرالدا، أَم رومَني لي، ملكة الغجر؟

قالت سالي: دعونا نختَرْ شيئاً فيه مسحة الشرق؛ فالجميع في المناطق الزراعية يكرهون الغجر. زليخة اسم يبدو لا بأس به. لقد أحضرت معي علبة الألوان، ولعل مايكل يستطيع أن يرسم لنا أفعى ملتفة لتزيين الإعلان.

- إذن فكليوباترا أفضل من زليخة؟

ظهر هيندن عند الباب وقال: العشاء جاهز يا سيدتي.

دخلوا غرفة الطعام. كان على الطاولة شموع طويلة وكانت الغرفة مليئة بالظلال. جلس وورببرتن وأليك ليغ عن جانبي مضيفتهما، وكان بوارو يجلس بين السيدة أوليفر والآنسة برويس التي كانت مشغولة في حديث سريع عام في تفصيلات الاستعداد لمهرجان الغد.

جلست أوليفر ساهمة تفكر ولا تكاد تتكلم، وحين قطعت صمتها أخيراً قطعته بكلمة توضيحية لا تخلو من تناقض، إذ قالت تخاطب بوارو: لا تقلق بشأني؛ إنني أتذكر فقط إن كنت قد نسيت شيئاً.

ضحك السير جورج من قلبه وقال: تفكرين في النقص أو الخلل القاتل، أليس كذلك؟

- هذا ما أفكر فيه تماماً. يوجد دائماً خلل قاتل، والكاتب لا يدرك ذلك أحياناً إلا بعد أن يكون قد أرسل الرواية إلى المطبعة. وعندها يكون ذلك مؤلماً!

ظهر ذلك الألم على وجهها وتنهدت ثم تابعت: الغريب أن معظم الناس لا يلاحظون ذلك أبداً. أقول لنفسي: "ولكن كان من شأن الطاهية بالطبع أن تلاحظ أن قطعتين من اللحم لم تؤكلا". ولكن أحداً غيري لا يفكر بذلك على الإطلاق.

مال مايكل ويمان فوق الطاولة وقال: لقد أثرتِ اهتمامي؛ «اللغز

شريحة اللحم الثابتة». أرجوك ألاّ تشرحي أبداً، سوف أفكر في هذا الأمر أثناء استحمامي.

ابتسمت أوليفر ابتسامة مجردة وعادت تفكر. كانت الليدي ستبس صامتة هي الأخرى، وكانت تتثاءب من وقت لآخر. أما ووربيرتن وأليك ليغ وبرويس فقد كانوا يتحدثون مع بعضهم.

وبينما كانوا خارجين من قاعة الطعام توقفت الليدي ستبس عند الدرج وقالت: أنا ذاهبة إلى النوم؛ أشعر بنعاس شديد.

صاحت برويس: آه يا ليدي ستبس، عندنا أشياء كثيرة ينبغي عملها وكنا نعتمد عليك لمساعدتنا.

- نعم، أعرف ذلك، ولكنني ذاهبة إلى النوم.

كانت تتكلم بقناعة طفل صغير. والتفتت برأسها عندما خرج السير جورج من قاعة الطعام وقالت: إنني متعبة يا جورج وسوف أذهب للنوم. هل تمانع في ذلك؟

صعد إليها وربت على كتفها بمحبة وقال: اذهبي وغُطّي في نومك الهنيء يا هاتي، استعدي للغد.

ثم قبّلها قبلة خفيفة وارتقت الدرج وهي تلوح بيدها قائلة: طابت ليلتكم جميعاً.

ابتسم لها السير جورج، وسحبت برويس نفساً عميقاً والتفتت بسرعة وهي تقول متكلفة الابتهاج: هيا بنا جميعاً؛ إلى العمل.

وانطلق كل واحد إلى عمله. وبما أن الآنسة برويس كانت

عاجزة عن الوجود في كل مكان في نفس الوقت، فسرعان ما بدأ البعض ينسحب. قام مايكل ويمان بزخرفة الإعلان فرسم أفعى ضخمة جداً وكتب عبارة: «مدام زليخة سوف تقرأ طالعك»، ثم توارى عن الأنظار دون أن يحس به أحد. قام أليك ليغ بعمل بعض المهام الروتينية ثم خرج بحجة تنظيم ملعب رمي الحلقات ولم يظهر ثانية. أما النساء فقد عملن -كعادتهن- بنشاط وإخلاص، فيما حذا هيركيول بوارو حذو مضيفته وذهب إلى النوم مبكراً.

* * *

نزل بوارو في صباح اليوم التالي لتناول الإفطار في الساعة التاسعة والنصف. وقُدّم الإفطار بالطريقة التي كانت متبعة قبل الحرب؛ صف من الأطباق المُسخّنة على موقد كهربائي. كان السير جورج يتناول الإفطار الكامل الذي يتناوله الرجل الإنكليزي ويتكون من لحم وبيض مقليّ، وتناولت السيدة أوليفر وبرويس الطعام نفسه مع بعض التغيير، وكان مايكل ويمان يأكل طبقاً من اللحم البارد. الليدي ستبس كانت وحدها التي لم تبالِ بأطباق اللحم وهي تقضم الخبز المحمص وتحتسي القهوة السادة، وكانت تلبس قبعة كبيرة وردية اللون بدت غريبة وقت الإفطار.

كان البريد قد وصل لتوه. وكانت أمام الآنسة برويس كومة كبيرة من الرسائل راحت تفرزها بسرعة إلى مجموعات، وكلما وجدت رسالة للسيد جورج كُتب عليها «شخصي» مررتها له.

كان للّيدي ستبس ثلاث رسائل. فتحت منهما اثنتين كان

واضحاً أنهما فاتورتان وقذفتهما جانباً، ثم فتحت الرسالة الثالثة وقالت فجأة وبوضوح: آه!

كان في هتافها من المفاجأة ما جعل كل الرؤوس تلتفت إليها. قالت: إنها من إتيان، ابن عمي إتيان. إنه قادم إلى هنا على ظهر يخته الخاص.

مد السير جورج يده وقال: أريني يا هاتي.

مررت الرسالة عبر الطاولة، فمسّد الورقة وقرأها ثم قال: ومن هو إتيان دي سوزا؟ أقلتِ إنه ابن عمك؟

- أظن ذلك... أو ابن ابن عمي. لا أتذكره جيداً، بل لا أكاد أتذكره أبداً. لقد كان...

- ماذا كان يا عزيزتي؟

رفعت كتفيها حيرة وقالت: لا يهم. كان ذلك منذ وقت طويل، وكنت –وقتها– فتاة صغيرة.

قال لها السير جورج: أحسب أنك لن تتذكريه جيداً، ولكن علينا أن نرحب به بالطبع. لعله من المؤسف أن يصادف المهرجان اليوم، ولكننا سندعوه إلى العشاء، وربما استضفناه عندنا ليلة أو ليلتين، بل ربما أريناه شيئاً من الريف؟

كان السير جورج يظهر أريحيةَ مُلاّكِ الأراضي الريفيين، ولم تقل الليدي ستبس شيئاً بل حدقت في فنجان قهوتها.

أصبح الحديث الحتمي حول موضوع المهرجان حديثاً عاماً. وحده بوارو هو الذي بقي في معزل عن ذلك الحديث وهو يراقب ذلك الجسد النحيل الغريب على رأس الطاولة. تساءل عمّا كان يجول في ذهنها بالضبط، وفي تلك اللحظة نفسها رفعت بصرها وألقت عليه نظرة سريعة، وكانت نظرتها حادة سابرة بحيث جعلته يجفل. وعندما التقت نظراتهما تلاشى التعبير الحاد في عينيها وعاد الفراغ إليهما، ولكن بقيت هناك تلك النظرة الأخرى باردة تحسب وتراقب.

أم أن ذلك كان مجرد خيال منه؟ أليس صحيحاً على أية حال أن الناس الذين يعانون من قصور عقلي بسيط يتمتعون غالباً بنوع من المكر الفطري الذي يفاجئ أحياناً حتى الأشخاص الذين يعرفونهم أكثر من غيرهم؟

أحسّ أن الليدي ستبس كانت بالتأكيد لغزاً محيراً. ويبدو أن الناس يحملون أفكاراً متضاربة تماماً عنها؛ فقد صرحت الآنسة برويس بأن الليدي ستبس تعرف جيداً ما تفعله، ومع ذلك فإن السيدة أوليفر ترى فيها امرأة بنصف عقل، أما فوليات التي خبرتها عن كثب ولفترة طويلة فكانت تتحدث عنها كشخصية ليست طبيعية تماماً وتحتاج إلى عناية ومراقبة.

ربما كانت برويس متحاملة عليها، فقد كرهتها بسبب كسلها وعدم اهتمامها. وتساءل بوارو إن كانت برويس سكرتيرة للسير جورج قبل زواجه؟ لو كانت كذلك لكان من السهل أن تستاء من مجيء النظام الجديد.

كان من شأن بوارو نفسه أن يتفق تماماً مع السيدة فوليات

وأوليفر [illegible] هذا الصباح. لكن هل كان بوسعه الاعتماد حقاً على رأي لا يعدو أن يكون انطباعاً سريعاً؟

نهضت الليدي ستبس عن الطاولة فجأة وقالت: أصابني الصداع؛ سوف أذهب وأستلقي في غرفتي.

قفز السير جورج عن مقعده قلقاً: هل أنت بخير يا عزيزتي؟

- إنه مجرد صداع.

- هل ستكونين بخير عندما يحين المهرجان هذا المساء؟

- نعم، أظنني سأكون بخير.

قالت الآنسة برويس بسرعة: خذي بعض حبوب الأسبرين، هل عندك منها أم أحضرها لك؟

- لديّ بعضها.

تحركت ناحية الباب، وأسقطت وهي ذاهبة المنديل الذي كانت تعصره بين أصابعها فالتقطه بوارو بهدوء.

كان السير جورج على وشك اللحاق بزوجته عندما أوقفته برويس قائلة: أنا ذاهبة لأعطي ميشيل التعليمات بخصوص مواقف السيارات هذا المساء يا سير جورج. هل تظن أن أفضل خطة هي كما قلت... ؟

لم يسمع بوارو المزيد بعد أن خرج من الغرفة. لحق بمضيفته على الدرج وقال: سيدتي، لقد أسقطتِ هذا.

قدم لها المنديل وهو ينحني، فأخذته دون اكتراث قائلة: حقاً؟ شكراً لك.

- أنا حزين جداً يا سيدتي لمعاناتك، لا سيما في هذا الوقت الذي سيأتي فيه ابن عمك.

أجابته بسرعة وعنف: لا أريد أن أرى إتيان لأني لا أحبه. إنه سيء، وقد كان دوماً كذلك. أنا خائفة منه؛ فهو يقوم بأشياء سيئة.

فُتح باب قاعة الطعام وجاء السير جورج عبر الصالة وصعد الدرج قائلاً: هاتي، حبيبتي المسكينة! دعيني آتي معك.

صعدا معاً وذراعه يحيط بها برفق ووجهه قلق منشغل. نظر بوارو إليهما ثم التفت ليقابل برويس وهي تتحرك بسرعة وتثبت الأوراق، وبدأ يقول: إن وجع رأس الليدي ستبس...

قالت برويس غاضبة: وجع رأسها؟ هراء في هراء.

ثم اختفت في مكتبها وأغلقت الباب وراءها. تنهد بوارو وخرج من الباب الأمامي إلى المصطبة. كانت السيدة ماسترتن قد وصلت لتوها بسيارتها الصغيرة، وكانت توجه عملية رفع سرادق الشاي وتعطي الأوامر بنبرة قوية، ثم التفتت لتحية بوارو وقالت: هذه الأمور مزعجة وسوف يضعون كل شيء في المكان الخطأ. لا يا روجرز! إلى اليسار أكثر... إلى اليسار... اليسار وليس اليمين! ما رأيك في الطقس اليوم يا سيد بوارو؟ يبدو لي أنه لا يحث على الاطمئنان. من شأن المطر طبعاً أن يفسد كل شيء. لقد كان الصيف جميلاً هذا

العام على غير عادته. أين السير جورج؟ أريد أن أتحدث معه في شأن موقف السيارات.

- زوجته تعاني من الصداع، وقد ذهبت لتستلقي.

قالت السيدة ماسترتن واثقة: ستكون بخير عصر اليوم؛ إنها تحب الحفلات الاجتماعية. ستزين نفسها تزييناً رهيباً، وتُسر بذلك سرور الطفلة. هل لك أن تعطيني حزمة من تلك الأوتاد هناك؟ أريد أن أحدد أماكن رمي أرقام الغولف.

وهكذا أُجبر بوارو على العمل تحت رحمة السيدة ماسترتن كأجير مفيد، وكانت تتنازل فتتحدث معه في أوقات الاستراحة بعد العمل الشاق: وجدتُ أن على المرء أن يفعل كل شيء بنفسه، فهي الطريقة الوحيدة... على فكرة، أظنك صديق عائلة إليوت، أليس كذلك؟

وقد فهم بوارو عبارتها هذه -نتيجة طول إقامته في إنكلترا- على أنها توحي بالتميز الاجتماعي، فقد كانت السيدة ماسترتن تقول له في الواقع: "رغم أنك أجنبي فإنني فهمتُ أنك أصبحتَ واحداً منا".

مضت في حديثها بأسلوب حميم: جميل أن ترى «ناسي» مأهولاً مرة أخرى. كنا جميعاً خائفين من أن يصبح فندقاً. تعرف الفنادق هذه الأيام، فما أن يقود المرء سيارته في البلد هذه الأيام حتى يمر على العديد من البيوت التي كُتبت عليها عبارات من قبيل «بيت ضيافة» أو «فندق خاص»، وهي نفس البيوت التي كنت أقيم فيها عندما كنت فتاة، أو تلك التي كنت أذهب إلى حفلات فيها. أمر محزن جداً. نعم، إنني مسرورة بخصوص بيت ناسي وكذلك

المسكينة العزيزة إيمي فوليات. لقد عاشت حياة قاسية ولكنها لم تكن تشكو أبداً، لقد عمل السير جورج العجائب في هذا البيت ولم يجعل منه مكاناً سوقياً. لا أعرف إن كان هذا نتيجة لتأثير إيمي فوليات أم أن هذا هو ذوقه الطبيعي؟ إن له ذوقاً رائعاً، وهذا يثير الدهشة كثيراً في رجل كهذا.

قال بوارو بحذر: لقد فهمت أنه ليس من الطبقة العليا من مُلاّك الأراضي، أليس كذلك؟

- بل إنه لم يكن يحمل لقب سير في الحقيقة؛ بل فهمتُ أنه مُنح هذا اللقب لاحقاً. إننا بالطبع لا نفشي سره أبداً؛ فينبغي أن يُسمح للأغنياء بأن يفرحوا قليلاً بلذة الادعاء بكريم محتدهم، أليس كذلك؟ الغريب أن جورج ستبس كان سيلقى قبولاً حسناً في أي مكان رغم أصله، وقد عاد لتمثُّلِ صفات أسلافه. إنه المثال الحي لملاّك الأراضي في القرن الثامن عشر. أحسب أن دماء جيدة تسري في عروقه، وأغلب ظني أن أباه كان من إقطاعيي الريف.

قاطعت السيدة ماسترتن نفسها لتنادي بستانياً: ليس جنب الورود تلك، يجب أن تترك مجالاً للعبة القناني الخشبية ناحية اليمين. يميناً. . . وليس يساراً!

ثم استمرت في حديثها: من الغريب أنهم لا يعرفون اليمين من الشمال... الآنسة برويس قديرة، رغم أنها لا تحب المسكينة هاتي، وهي تنظر إليها أحياناً وكأنها تود قتلها... إن كثيراً من هؤلاء السكرتيرات يعشقن رؤساءهن. والآن، أتظن أن جيم ووربيرتن قد ذهب؟ سخيفة تلك الطريقة التي يسمي بها نفسه «كابتن». إنه ليس

عسكرياً نظامياً ولم يرَ في حياته جندياً ألمانياً ولو على بعد أميال. على المرء أن يتدبر أمره بما يستطيع الحصول عليه هذه الأيام... وهو رجل مجتهد، ولكني أشعر أن فيه شيئاً مريباً. آه! ها هما ليغ وزوجته.

قالت سالي ليغ وقد جاءت مرتدية بنطالاً واسعاً وسترة صفراء: جئنا للمساعدة.

صاحت ماسترتن: لدينا عمل كثير. والآن...

استغل بوارو غفلتها وانسل بعيداً، وعندما وصل إلى زاوية البيت وصعد إلى المصطبة الأمامية أصبح مشاهداً لدراما جديدة: كانت فتاتان تلبسان بنطالين وبلوزتين براقتين قد خرجتا من الغابة ووقفتا تنظران إلى البيت مترددتين، وقد خُيِّل لبوارو أن إحداهما كانت الفتاة الإيطالية التي أركبها معه في السيارة في اليوم السابق. أطل السير جورج برأسه من نافذة غرفة نوم الليدي ستبس وخاطبهما غاضباً: إنكما تتجاوزان على أرضنا.

قالت الشابة التي تضع المنديل الأخضر: عفواً؟

- لا يمكنكما المرور من هنا؛ إنها أملاك خاصة.

قالت الشابة الأخرى التي كانت تضع منديلاً أزرق كبيراً بمرح: عفواً، هل رصيف ناسكوم في هذا الاتجاه؟ أرجوك!

لفظت اسم الرصيف بحذر. وصاح السير جورج مرة أخرى: أنتما تتجاوزان على أرضنا.

- عفواً؟

- تتجاوزان! لا طريق من هنا. عليكما أن تعودا، تعودا من حيث جئتما.

حدقتا إليه وهو يومئ بيده، ثم تباحثتا معاً بلغة أجنبية سريعة. وأخيراً قالت صاحبة المنديل الأزرق بارتياب: نعود؟ إلى بيت الشباب؟

- أجل، ومن هناك تأخذان الطريق... في ذلك الاتجاه.

رجعتا كارهتين. مسح السير جورج حاجبه ونظر إلى بوارو أسفل منه قائلاً: إنني أقضي وقتي في إعادة الناس من حيث جاؤوا. لقد كانوا يدخلون من البوابة العلوية، وقد أقفلتها، فتراهم الآن يأتون من خلال الغابة بعد أن يقفزوا فوق السياج. يظنون أنهم يستطيعون أن ينزلوا بسهولة إلى الشاطئ والرصيف بهذه الطريقة. وهم يستطيعون طبعاً الوصول بسرعة أكبر من خلال هذا التجاوز، ولكن لا يوجد حقُّ مرور من هنا، ولم يسبق أبداً أن استُخدم هذا الطريق طريقاً عاماً. وجميعهم عملياً من الأجانب... لا يفهمون ما تقوله، بل يرطنون لك بالألمانية أو بغيرها.

- أظن أن إحداهما ألمانية والأخرى إيطالية؛ فقد رأيت الفتاة الإيطالية عندما كانت قادمة أمس من المحطة.

- إنهم يتحدثون كل أنواع اللغات. نعم يا هاتي، ماذا قلت؟

ثم انسحب إلى داخل الغرفة. والتفت بوارو ليجد وراءه السيدة أوليفر مع فتاة في نحو الرابعة عشرة من عمرها تلبس زي المدرسة. قالت السيدة أوليفر: هذه مارلين.

ضحكت مارلين وقالت: أنا الجثة الرهيبة. ثم أضافت بنبرة تشي بخيبة الأمل: ولكن لن توجد أية دماء على جسمي.

- حقاً؟

- نعم، مجرد خنق بالحبل؛ هذا كل ما في الأمر! كنت أحب الموت طعناً مع وضع الكثير من الدهان الأحمر على ثيابي.

قالت السيدة أوليفر: يرى الكابتن ووربيرتن بأن ذلك قد يبدو واقعياً أكثر من المطلوب.

قالت مارلين بنكد: في جريمة القتل يجب أن توجد دماء. ثم نظرت إلى بوارو باهتمام شديد وقالت: لقد شاهدتَ الكثير من جرائم القتل، أليس كذلك؟ هذا ما قالته هي.

قال بوارو بتواضع: جريمة أو جريمتين.

لاحظ بوارو بشيء من الذعر أن السيدة أوليفر كانت تبتعد عنهما لتتركه فريسة لفضول الفتاة. وسألت مارلين بشغف: هل كان في تلك الجرائم مهووسون جنسياً؟

- قطعاً لا.

قالت مارلين بانفعال: أنا أحب قراءة قصص المهووسين.

- لن يعجبك الالتقاء بواحد منهم.

- آه، لا أعرف. أتدري؟ أظن أن لدينا مهووساً جنسياً هنا. لقد شاهد جدي جثة في الغابة ذات مرة فخاف وهرب، وعندما عاد إلى

مكان الجثة وجد أنها اختفت. كانت جثة امرأة، ولكن جدي معتوه، ولذلك لم يُصغِ أحد إلى ما قاله.

نجح بوارو في الهروب وعاد إلى البيت من طريق غير مباشر ليلجأ إلى غرفة نومه؛ فقد أحس أنه بحاجة إلى السكينة.

* * *

الفصل السادس

كان الغداء مبكراً وتألف من وجبة سريعة باردة، وكان المخطط أن تقوم نجمة سينمائية من الدرجة الثانية بافتتاح المهرجان الساعة الثانية والنصف. وبعد أن كان الجو يوحي بنذر المطر أخذ يتحسن، وما أن حلت الساعة الثالثة حتى كان المهرجان في حركة نشيطة. جاء الناس بأعداد ضخمة ودفعوا رسم الدخول، وكانت السيارات تقف على جانب الطريق الطويل. كما وصل الطلبة من بيت الشباب في مجموعات كبيرة وهم يتحدثون بلغات أجنبية وأصوات مرتفعة. وكما توقعت السيدة ماسترتن فقد خرجت الليدي ستبس من غرفة نومها قبل الثانية والنصف تماماً وهي تلبس ثوباً أحمر وعلى رأسها قبعة ضخمة عريضة من القش الأسود، وكانت تتزين بكثير من الألماس.

تمتمت الآنسة برويس ساخرة: "يبدو أنها تحسبه مهرجان أسكوت الملكي!"، ولكن بوارو امتدحها بوقار: ما تلبسينه إبداع جميل يا سيدتي.

قالت هاتي بفرح: جميل، أليس كذلك؟ لقد لبسته في مهرجان أسكوت.

كانت النجمة السينمائية قد وصلت فتقدمت هاتي لتحيتها، فيما تراجع بوارو إلى الوراء وراح يتجول في المكان مغموماً؛ فقد بدا أن كل شيء يسير بالطريقة العادية للمهرجانات. انهمك بعضهم في لعبة قذف ثمرة جوز الهند بالكرات لإبعادها عن مكانها، وكان يرأس هذا العرض السير جورج بطريقته الحماسية، كما أجريت لعبة إيقاع الأوتاد بالكرات، ولعبة رمي الحلقات. وكانت ثمة أكشاك تعرض المنتجات المحلية من فواكه وخضروات ومربى وكعك، وأكشاك أخرى تعرض التحفيات، وبيع للكعك وسلال الفواكه باليانصيب. ولعبة «غمس اليد» في الماء للأطفال بحثاً عن هدايا مقابل بنسين.

أصبح هناك الآن حشد كبير من الناس، وبدأ عرض لرقص الأطفال. ولم يرَ بوارو السيدة أوليفر، لكن الليدي ستبس ظهرت بلباسها الأحمر وهي تنتقل بين جموع الناس على غير هدى. ومع ذلك فقد بدا أن السيدة فوليات كانت هي محطّ الأنظار، فقد تغير شكلها تماماً إذ ارتدت رداء حريرياً أزرق وقبعة رمادية أنيقة بدت معها وكأنها تشرف على سير المهرجان، فتحيي القادمين الجدد وتوجه الناس إلى العروض المختلفة.

كان بوارو يتسكع بالقرب منها ويستمع لبعض الأحاديث:

- عزيزتي إيمي، كيف حالك؟

- آه، باميلا. كم هو جميل منك أن تأتي أنت وإدوارد! إنه طريق طويل مع تيفيرتن.

- لقد استمر الجو لطيفاً لحسن حظكم، هل تذكرين السنة

التي سبقت الحرب؟ نزل مطر غزير في الساعة الرابعة تقريباً وأفسد العرض كله!

- ولكنه كان صيفاً رائعاً هذا العام. دوروثي! إنني لم أرك منذ فترة طويلة.

- شعرنا أن من واجبنا أن نأتي ونرى ناسي في رونقه. أرى أنك قد قلَّمتِ شجيرات العُلّيق عند ضفة النهر.

- نعم، ألا تظنين أنها تتيح لبقية الأزهار الآن أن تظهر بصورة أفضل؟

- كم هي رائعة، يا له من لون أزرق رائع! لكنك فعلت العجائب يا عزيزتي في العام الماضي. لقد بدأ ناسي يعود إلى سابق عهده.

صاح زوج دوروثي بصوت عميق: جئنا مرة هنا لنرى قائد الموقع أثناء الحرب، وكاد قلبي ينفطر على حال البيت.

التفتت فوليات لتحية زائرة متواضعة: سيدة نابر، إنني مسرورة برؤيتك. هل هذه لوسي؟ لقد كبرت كثيراً!

- ستترك المدرسة السنة القادمة. يسرني جداً أن أراك على هذه الحال الجيدة يا سيدتي.

- أنا بخير، شكراً لك. يجب أن تذهبي وتجربي حظك في رمي الحلقات يا لوسي. أراك في خيمة الشاي فيما بعد يا سيدة نابر، فسوف أساعدهم هناك في تقديم الشاي.

تقدم رجل عجوز يُفترَض أنه السيد نابرَ وقال بحياء: يسرنا أن نراك ثانية في ناسي يا سيدتي؛ يبدو الحال كما كان في الأيام الخوالي.

اختفت إجابة السيدة فوليات باندفاع امرأتين ورجل ضخم بدين نحوها: إيمي، عزيزتي، مضت دهور لم أركِ فيها. هذا يبدو أعظم نجاح! أخبريني، ماذا فعلت بحديقة الورود؟ أخبرني موريل أنك تعيدين زراعتها بجميع أصناف الورود الجديدة.

تدخل الرجل البدين: أين مارلين غيل؟

- إن ريجي متلهف للقائها؛ لقد شاهد آخر أفلامها.

- أهي تلك ذات القبعة الكبيرة؟ يا إلهي، هذا حقاً زي رائع.

- لا تكن غبياً يا حبيبي، تلك هي هاتي ستبس. أتعرفين يا إيمي، ما كان عليك أن تتركيها تتجول هكذا كأنها عارضة أزياء.

صاحت صديقة أخرى: إيمي، هذا روجر، بن إدوارد. رائع أن نراك يا عزيزتي وقد عدت إلى ناسي.

ابتعد بوارو ببطء ودفع شلناً وهو شارد الذهن ثمن تذكرة ربما أربحته العجل الذي كان يباع عن طريق اليانصيب. كان لا يزال يسمع خلفه ديباجة «كم هو جميل منك أن تأتي»، وتساءل إن كانت السيدة فوليات تلبّست تماماً دور المضيفة أم أن ذلك كان أمراً لاشعورياً منها، فقد كانت عصرَ هذا اليوم -بكل تأكيد- السيدة فوليات صاحبة منزل «ناسي»!

كان بوارو يقف بجانب الخيمة التي كُتب عليها: «مدام زليخة

تقرأ لك طالعك مقابل شلنين». كان تقديم الشاي قد بدأ تواً واختفى طابور الزوار من أمام خيمة قراءة الطالع. أحنى بوارو رأسه ودخل الخيمة دافعاً -عن طيب خاطر- نصف شلن ليحظى بميزة الجلوس على كرسي مريح وإراحة قدميه المتألمتين.

كانت مدام زليخة تلبس أردية سوداء فضفاضة وتلفُّ وشاحاً مزخرفاً بالخيوط الذهبية حول رأسها وتضع خماراً تغطي به النصف الأسفل من وجهها، مما جعل كلامها يختلط قليلاً على مستمعيها. ومع صليلِ عقدٍ ذهبي مُزيَّن بتعاويذ الحظ، أخذت كفَّ بوارو لتنهمك في قراءة سريعة بشَّرته فيها بأن مالاً كثيراً سيأتيه، وأن علاقة مع حسناء سمراء تنتظره، وأنه سينجو بأعجوبة من حادث سيحدث له.

- كل ما تقولينه رائع يا مدام ليغ. أتمنى فقط أن يتحقق!

- آه، فأنت تعرفني إذن، أليس كذلك؟

- عندي معلومات مسبقة... أخبرتني السيدة أوليفر أنك كنت ستمثلين دور «الضحية» أصلاً، ولكنهم انتزعوك منها للقيام بالتنجيم.

- كنت أتمنى أن أكون «الجثة»؛ فهو دور أكثر هدوءاً! كل هذا بسبب جيم ووربيرتن. ألم تحن الساعة الرابعة؟ أريد أن أشرب الشاي، فلدي استراحة من الرابعة حتى الرابعة والنصف.

نظر بوارو إلى ساعة جيبه الكبيرة القديمة وقال: بقيت عشر دقائق. هل أحضر لك كوباً من الشاي إلى هنا؟

- لا، لا. أريد الاستراحة؛ هذه الخيمة خانقة. أما يزال في الخارج كثير من الناس ينتظرون؟

- كلا، أظن أنهم يصطفّون الآن من أجل الشاي.

- جيد.

خرج بوارو من الخيمة يتمشّى، ووصل إلى كشك مخصص للعبة رمي الحلقات تشرف عليه امرأة بدينة بادية الطيبة فشعر برغبة في تجربة حظه، وكان مما أثار انزعاجه البالغ أنه ربح على الفور دمية كبيرة. وفيما هو يمشي بخنوع حاملاً تلك الدمية التقى بمايكل ويمان الذي كان يقف عابساً في طرف الحديقة قريباً من نهاية الممشى الذي يؤدي نزولاً إلى الرصيف النهري. قال مايكل وهو يضحك ساخراً: يبدو أنك كنت تستمتع بوقتك يا سيد بوارو.

تأمل بوارو جائزته وقال بحزن: إنها فظيعة، أليس كذلك؟

أخذ طفل صغير بجانبه يبكي فجأة فانحنى بوارو بخفة وناول الطفل الدمية قائلاً: خذها، إنها لك. توقفت الدموع مباشرة وصاح الصبي: انظري يا فيوليت، أليس هذا الرجل لطيفاً؟

صاح الكابتن ووربيرتن بالبوق: استعراض ملابس الأطفال التنكرية. الصف الأول: من الثالثة حتى الخامسة. يرجى الاصطفاف

تحرك بوارو ناحية البيت فارتطم به شاب كان يرجع للوراء لكي يصوّب على ثمرة جوز الهند من مكان أفضل. قطب الفتى جبينه واعتذر بوارو، وعلى الفور انبهرت عيناه من الرسومات التي تزين قميص الشاب. وأدرك بوارو أن هذا هو قميص «السلاحف» الذي وصفه السير جورج، فقد بدا أن جميع أنواع السلاحف البرية والبحرية تتلوى وتزحف على ذلك القميص.

طرفت عينا بوارو فيما جاءته الفتاة الهولندية التي أركبها معه في السيارة في اليوم السابق فقال لها: إذن فقد جئت إلى المهرجان. وأين صديقتك؟

- هي أيضاً جاءت لحضور المهرجان. لم أرها بعد، لكننا سنغادر معاً في الحافلة التي تتحرك من أمام البوابة الساعة الخامسة والربع. سنذهب إلى توركيه، وهناك أركب حافلة أخرى إلى بلايموث. إنه ترتيب مريح.

لقد فسرت إشارتُها إلى الترتيب المريح الأمرَ الذي حير بوارو وهو تصبَّبُ الفتاة الهولندية عرقاً بسبب حقيبة الظهر الثقيلة التي كانت تحملها. قال: لقد رأيت صديقتك هذا الصباح.

- آه، نعم، إلسا. إنها فتاة ألمانية، وقد أخبرتْني أنها وصديقتها حاولتا الذهاب إلى رصيف النهر من خلال الغابة وأن الرجل الذي يملك البيت كان غاضباً جداً وأعادهما من حيث جاءتا.

ثم أضافت وهي تلتفت إلى السير جورج وهو يحثّ المتسابقين للمشاركة في لعبة ثمار جوز الهند: لكنه هذا المساء مهذب جداً.

فكر بوارو في أن يشرح لها عن الفرق بين فتيات يتجاوزن على البيت دون إذن وبين نفس الفتيات عندما يدفعن شلنين وست بنسات رسم دخول، فيصبح من حقهن قانوناً رؤية الأشياء المبهجة في بيت ناسي والأراضي التابعة له. ولكن الكابتن ووربيرتن اندفع نحوه حاملاً بوقه وعلامات الغضب والانزعاج بادية عليه، وقال: هل رأيت الليدي ستبس يا بوارو؟ هل رأى أحد الليدي ستبس؟

كان ينبغي أن تُحكّم عرض الملابس التنكرية هذا، ولكنني لم أعثر عليها في أي مكان.

- لقد رأيتها، دعني أتذكر... آه! قبل نحو نصف ساعة، ولكني ذهبت بعدها لقراءة كفي.

قال ووربيرتن بغضب: تباً لهذه المرأة! أين تراها اختفت؟ الأطفال ينتظرون وقد تأخر البرنامج كثيراً.

ثم نظر حوله وقال: أين أماندا برويس؟

لم تكن برويس بادية للعيان هي الأخرى، فقال ووربيرتن: هذا فعلاً سيء جداً. على المرء أن يبدي بعض التعاون إن أراد تقديم عرض ناجح. أين يمكن أن تكون هاتي؟ ربما ذهبت إلى البيت.

انطلق ووربيرتن مسرعاً. وشق بوارو طريقه ناحية الساحة المسيجة بالحبال حيث كان الشاي يقدَّم في سرداق ضخم، ولكنه غيّر رأيه حين وجد صفاً طويلاً من الناس ينتظرون. مضى فعاين كشك التحفيات حيث كادت امرأة عجوز شديدة التصميم أن تبيعه علبة بلاستيكية لحفظ الياقات، وأخيراً شق طريقه عند طرف الحديقة بحيث يستطيع تأمل الأنشطة من مكان آمن بعيد.

تساءل: أين هي السيدة أوليفر؟

سمع وقع خطوات وراءه فالتفت برأسه. كان على الطريق شاب قادم من جهة رصيف النهر، شاب شديد السمرة، يلبس زي البحارة كاملاً. توقف كأنه قد ارتبك من المنظر الذي رآه أمامه ثم تكلم مع بوارو متردداً: اسمح لي، هل هذا هو بيت السير جورج ستبس؟

- إنه البيت حقاً.

سكت بوارو ثم جازف مخمناً: لعلك ابن عم الليدي ستبس، أليس كذلك؟

- أنا إتيان دي سوزا.

- وأنا هيركيول بوارو.

انحنى كلٌّ للآخر احتراماً، وشرح له بوارو ظروف المهرجان، وعندما انتهى من ذلك جاء السير جورج نحوهما قادماً من لعبة جوز الهند وقال: دي سوزا؟ أنا مسرور لرؤيتك. لقد استلمت هاتي رسالتك هذا الصباح. أين يختك؟

- أرسيته في هيلْماوث، وعبرت النهر إلى الرصيف بالزورق.

- يجب أن نجد هاتي؛ إنها في مكان ما هنا. أرجو أن تتناول العشاء معنا هذا المساء.

- هذا كرم كبير منك.

- هل لك أن تكون ضيفنا الليلة؟

- هذا أيضاً كرم منك، لكني سأنام في يختي؛ فهو يريحني أكثر.

- هل ستبقى هنا لفترة طويلة؟

- قد أمكث يومين أو ثلاثة أيام... حسب الظروف.

ثم رفع كتفيه حيرة، فقال السير جورج بأدب: أنا متأكد أن هاتي ستكون مسرورة. أين هي؟ لقد رأيتها قبل وقت قصير.

نظر حوله بارتباك وقال: كان يجب أن تُحَكِّم في عرض ملابس الأطفال التنكرية. لا أفهم ذلك... لحظة من فضلك، سأسأل الآنسة برويس.

أسرع ذاهباً ودي سوزا ينظر إليه، فيما نظر بوارو إلى دي سوزا وقال: لقد مضت عليك فترة طويلة لم ترَ فيها ابنة عمك، أليس كذلك؟

رفع دي سوزا كتفيه قائلاً:لم أرها منذ كانت في الخامسة عشرة من عمرها. وبعدها أُرسلت إلى الخارج؛ إلى مدرسة في أحد الأديرة بفرنسا. عندما كانت طفلة كان منظرها يدل على أنها ستكون جميلة.

ثم نظر إلى بوارو متسائلاً، فقال بوارو: إنها امرأة جميلة.

- هل ذاك هو زوجها؟ يبدو أنه «رجل طيب» كما يصف الناس أمثاله، ولكن لعله ليس راقياً تماماً؟ ومع ذلك، ربما كان من الصعب على هاتي أن تجد زوجاً مناسباً أكثر منه.

بقي بوارو محتفظاً بتعبير تساؤل مؤدب على وجهه. ضحك الآخر وقال: آه، هذا ليس سراً؛ فعندما كانت هاتي في الخامسة عشرة من عمرها كانت متخلفة عقلياً. هل تسمونها ضعيفة العقل؟ أما تزال كما هي؟

قال بوارو بحذر: يبدو الأمر كذلك... نعم.

رفع دي سوزا كتفيه بلامبالاة وقال: حسناً! لماذا يطلب المرء من النساء أن يكن ذكيات؟ هذا ليس ضرورياً.

عاد السير جورج وهو يستشيط غضباً ومعه الآنسة برويس تتحدث لاهثة إلى حد ما: ليست عندي فكرة يا سير جورج عن مكانها. لقد رأيتها آخر مرة قرب خيمة قارئة الكف، لكن هذا كان قبل عشرين دقيقة أو نصف ساعة... وهي ليست في البيت.

سأل بوارو: ألا يمكن أن تكون قد ذهبت لترى كيف تتطور مسابقة السيدة أوليفر الخاصة بالبحث عن المجرم؟

هدأ غضب السير جورج: ربما كان الأمر كذلك. اسمعني يا بوارو، إنني لا أستطيع ترك العروض هنا، فأنا المسؤول عنها، كما أن أماندا مشغولة جداً. هل تستطيع أن تبحث عنها بنفسك؟ أنت تعرف الطريق.

ولكن بوارو لم يكن يعرف الطريق، ولذا فقد استفسر من الآنسة برويس وحصل على بعض الإرشادات العامة. تولت الآنسة برويس الاهتمام بأمر دي سوزا وانطلق بوارو وهو يحدث نفسه: ملعب التنس، حديقة الكاميليا، الحماقة (مبنى المعبد)، المشتل العلوي، سقيفة القوارب...

وبينما كان يمر من أمام ساحة لعبة جوز الهند سرّه أن يرى السير جورج وهو يقدم الكرات الخشبية بابتسامة ترحيب باهرة للفتاة الإيطالية نفسها التي طردها في ذلك الصباح، وكان من الواضح أنها متحيرة كثيراً من تغير موقفه.

واصل بوارو طريقه إلى ملعب التنس، فلم يكن هناك أحد سوى رجل عجوز له مظهر الرجل العسكري وكان يغط في نوم عميق

على كرسي خشبي وقبعته تغطي عينيه. عاد بوارو تجاه البيت ليواصل من هناك طريقه إلى حديقة الكاميليا.

وجد بوارو السيدة أوليفر في حديقة الكاميليا وهي تلبس ملابس أرجوانية رائعة وتجلس على كرسي حديقة في حالة تفكير عميق. أشارت إليه بالجلوس إلى جانبها وهمست إليه: هذا هو المفتاح الثاني للّغز فحسب. أظن أنني جعلت المفاتيح صعبة جداً؛ إذ لم يأت أحد حتى الآن.

في تلك اللحظة دخل الحديقةَ شابٌ يلبس بنطالاً قصيراً، ويصيحة تدل على الرضا أسرع إلى شجرة في إحدى الزوايا، وأعلن بصيحة أخرى كشفه للمفتاح التالي. أحس وهو يمر من أمامهما بحاجة للبوح برضاه، فقال بصوت خافت يوحي بالسرية: كثير من الناس لا يعرفون عن أشجار الفلين. المفتاح الأول صورة الْتُقطت بذكاء، وقد اكتشفت ما هي... مقطع من شبكة تنس. كانت هناك زجاجة سم فارغة وسدادة من الفلين. إن معظمهم سيصبون كل جهودهم على الزجاجة، وقد خمنتُ أنها وضعت لصرف الانتباه. إن أشجار الفلين شديدة الرقة والتأثر، ولكنها في هذه المنطقة من العالم فقط شديدة القدرة على الاحتمال. إنني مهتم بالأشجار والنباتات النادرة، والآن، تُرى أين أذهب؟ وقطب جبينه وهو يقرأ في دفتر الملاحظات الذي كان يحمله وقال: لقد نسخت المفتاح التالي الذي يساعد على الحل، ولكن لا يبدو له معنى. ثم نظر إليهما بارتياب وقال: هل أنتما متسابقان؟

قالت أوليفر: آه، كلا. نحن مجرد مُشاهدَيْن.

- حسناً، لنقرأ ماذا يقول المفتاح التالي: «عندما تطأطئ المرأة الجميلة رأسها للحمق»... أشعر بأنني سمعت ذلك في مكان ما.

قال بوارو: هذا اقتباس مشهور.

قالت السيدة أوليفر تساعده: كلمة «الحمق» التي قلتَها قد تعني أيضاً مبنى... مبنى أبيض له أعمدة.

-هذه فكرة رائعة! أشكرك كثيراً. يقولون إن السيدة أيريادن أوليفر هنا في مكان قريب. كنت أحب الحصول على توقيعها، ألم ترياها في هذا المكان؟

قالت السيدة أوليفر بثبات: كلا.

- بودي أن أقابلها، فهي تكتب روايات رائعة. ثم خفض صوته وقال: ولكنهم يقولون إنها تكثر من المشروبات الكحولية.

وانطلق بسرعة فقالت أوليفر ساخطة: هذا حقاً ظلم شديد، وأنا التي لا أحب إلاّ عصير الليمون!

- ألم ترتكبي لتوّك أفدح الظلم بمساعدة ذلك الشاب في معرفة المفتاح التالي؟

- بما أنه الشخص الوحيد الذي وصل هنا حتى الآن فقد رأيت أنه يجب تشجيعه.

- لكنك لن توقّعي له على الأوتوغراف.

- هذا أمر مختلف. صه! ها قد جاء غيره.

ولكن القادمتين لم تكونا من الباحثين عن مفاتيح اللغز، بل كانتا امرأتين دفعتا رسم دخول وصممتا على الاستفادة إلى أبعد حدٍ مما دفعتاه، وذلك برؤية حدائق البيت كلها عن كثب.

كانت المرأتان غاضبتين مستاءتين، وقالت إحداهما لصاحبتها: لقد ظننا أن لديهم بعض مساكب الزهور الجميلة، لكن لا شيء هنا غير الأشجار. ليس هذا ما أسميه حديقة!

وكزت أوليفر بوارو وانسلّ الاثنان مبتعدين بهدوء. قالت أوليفر وهي شاردة الذهن: ماذا لو لم يعثر أحد أبداً على الجثة؟

أجابها بوارو: اصبري يا سيدتي وتشجعي. ما زال اليوم في أوله.

ابتهجت السيدة أوليفر وقالت: هذا صحيح، كما أن الدخول بعد الساعة الرابعة والنصف سيكون بنصف سعر التذكرة الأصلية، فيحتمل أن تتدفق جموع غفيرة من الناس إلى المكان. دعنا نذهب لنرى ماذا تفعل الطفلة مارلين. إنني لا أثق حقاً بتلك الفتاة؛ فليس عندها أي إحساس بالمسؤولية. لن أستغرب منها أن تنسلّ من مخبئها بهدوء لتذهب وتشرب الشاي بدلاً من بقائها في مكانها تمثل دور الجثة. أنت تعرف ولع الناس بالشاي.

تابعا سيرهما فوق ممر في الغابة، وعلق بوارو على جغرافية المكان قائلاً: إنني أجدها مربكة جداً؛ ممرات كثيرة لا يستطيع المرء أن يجزم بشأن اتجاه كل منها، والأشجار في كل مكان!

- أنت تبدو مثل تلك المرأة المتذمرة التي تركناها قبل قليل.

مرّا أمام مبنى الحماقة وسارا في الطريق المتعرج إلى أن وصلا إلى النهر بحيث صارت معالم سقيفة القوارب واضحة تحتهما. علّق بوارو قائلاً إنه سيكون أمراً محرجاً أن يأتي الباحثون عن الجريمة بلا قصد إلى سقيفة القوارب ويجدوا الجثة بمحض الصدفة.

- أتعني على سبيل اختصار الطريق؟ لقد فكرت في ذلك، ولذا جعلتُ آخر دليل مفتاحاً فقط، فلا تستطيع أن تفتح الباب دونه.

كان طريقٌ منحدِرٌ صغير يؤدي إلى سقيفة القوارب التي بنيت فوق النهر، وتحتها رصيف صغير ومكان لحفظ القوارب. أخذت السيدة أوليفر مفتاحاً من محفظة تخفيها داخل ثنايا ملابسها الأرجوانية وفتحت الباب. قالت بمرح وهي تدخل: لقد جئنا لنروّح عنك يا مارلين.

أحست قليلاً بالندم بسبب شكوكها المجحفة في إخلاص مارلين، لأن مارلين (التي تم ترتيبها بشكل فني «كجثة») كانت تؤدي دورها بشرف متمددةً على الأرض بجانب النافذة.

لم تجب مارلين، فقد كانت تتمدد دون حركة تماماً. كانت الريح تهب بلطف من خلال النافذة المفتوحة مصدرة صوت حفيفٍ من كومة المجلات الكوميدية المنشورة على الطاولة. قالت السيدة أوليفر بنفاد صبر: لا بأس، إنني أنا والسيد بوارو فقط. لم يقترب أحد بعد من معرفة الأدلة.

كان بوارو مقطباً جبينه، ولم يلبث أن قام بتنحية السيدة أوليفر جانباً بلطف شديد وذهب فانحنى فوق الفتاة الممددة على الأرض.

أفلتت من شفتيه صيحة مكتومة، ثم رفع بصره إلى السيدة أوليفر وقال: هذا ما توقعتِه قد حدث!

اتسعت عينا السيدة أوليفر من الذعر: لا أظنك تقصد... ثم أمسكت بأحد كراسي القش وجلست عليه قائلة: لا يمكن أن تقصد... إنها ليست ميتة، أليس كذلك؟

أومأ بوارو برأسه وقال: بلى، إنها ميتة، ولكنها لم تمت منذ فترة طويلة.

صاحت بانفعال: ولكن كيف... ؟

رفع حافة الوشاح ذي الألوان الزاهية المربوط حول رأس الفتاة حتى تستطيع السيدة أوليفر رؤية طرفَيْ حبل الغسيل.

قالت أوليفر مضطربة: تماماً مثل جريمتي. ولكن مَنْ؟ ولماذا؟

- هذا هو السؤال.

أمسك بوارو عن أن يضيف بأن تلك كانت أيضاً نفس الأسئلة التي طرحتها في لعبتها، وبأن الإجابات عنها لا يمكن أن تكون نفس إجاباتها، حيث أن الضحية لم تكن الزوجة اليوغسلافية الأولى لعالم الذرة، بل هي مارلين تاكر؛ فتاة ريفية في الرابعة عشرة من عمرها ليس لها -كما هو معروف- عدو واحد في هذا العالم.

* * *

الفصل السابع

جلس المفتش بلاند وراء طاولة في المكتب. كان السير جورج قد قابله عند وصوله وأخذه إلى سقيفة القوارب ثم عاد معه الآن إلى البيت. وكانت وحدة التصوير مشغولة في سقيفة القوارب، وقد وصل فنيو البصمات والطبيب الشرعي لتوهم. سأل السير جورج: هل يناسبك هذا المكان؟

- يناسبني تماماً، شكراً لك يا سيدي.

- ماذا أفعل بهذا العرض الذي يجري؟ أأخبرهم بالأمر؟ هل أوقفه أم ماذا؟

فكر المفتش بلاند بعض الوقت ثم سأل: ماذا فعلت حتى الآن يا سير جورج؟

- لم أقل شيئاً. بين الناس فكرة بأن حادثاً قد وقع، لا شيء أكثر من ذلك. لا أحد سيظن أن جريمة قتل قد حصلت.

ردّ بلاند قائلاً: إذن اترك الأمور كما هي عليه مؤقتاً. ثم أضاف ساخراً: أظن أن الأمر سينتشر بسرعة كافية.

وفكر ثانية قبل أن يسأله: كم عدد الحاضرين للمهرجان حسب ظنك؟

- أظنهم مئتي شخص، والعدد يزيد في كل لحظة. يبدو أن الناس جاؤوا من أماكن بعيدة، والحقيقة أن المهرجان يحقق نجاحاً منقطع النظير. يا له من سوء طالع!

استنتج المفتش بلاند بأن ما يشير إليه السير جورج بإشارته لسوء الطالع هو جريمة القتل وليس المهرجان. قال متأملاً: مئتا شخص، وأحسب أنه كان بوسع أيٍ منهم أن يرتكب الجريمة.

ثم تنهد فقال السيرجورج متعاطفاً: مسألة شائكة. ولكني لا أرى سبباً لأي منهم لفعل ذلك. الأمر كله يبدو غريباً تماماً. لا أفهم من عساه يريد قتل فتاة كهذه؟

- ماذا يمكنك أن تخبرني عن الفتاة؟ لقد فهمت أنها من سكان المنطقة، أليس كذلك؟

- بلى، ويعيش أهلها في أحد البيوت القريبة من الرصيف. والدها يعمل في إحدى المزارع المحلية، لعلها مزرعة باترسون، ووالدتها كانت موجودة في المهرجان هذا المساء. يمكن لسكرتيرتي الآنسة برويس أن تخبرك عن كل شيء أفضل مني. وقد أخرجت برويس أم الفتاة إلى مكان ما وأخذت تقدم لها أكواب الشاي.

استحسن المفتش ذلك وقال: هذا جيد. ما زلت غير متأكد تماماً يا سير جورج من ملابسات هذه الجريمة. ماذا كانت الفتاة تفعل

في سقيفة القوارب؟ لقد فهمتُ أنها كانت نوعاً من المسابقة للبحث عن المجرم أو البحث عن كنز، أليس كذلك؟

أومأ السير جورج بحركة من رأسه موافقاً ثم قال: بلى؛ لقد ظننا جميعاً أنها فكرة رائعة، ولكنها لا تبدو على هذه الدرجة من الروعة الآن. أظن أن بوسع برويس أن تشرح لك الأمر كله بأفضل مما أستطيع أنا. هل أرسل في طلبها لتحضر إليك أم أنك تريد أن تعرف أموراً أخرى أولاً؟

- لا تطلبها الآن يا سير جورج؛ ربما استجدت عندي أسئلة أخرى أطرحها عليها لاحقاً، أما الآن فالذين أريد أن أراهم هم: أنت والليدي ستبس، والأشخاص الذين اكتشفوا الجثة. أظن أن واحدة منهم هي المؤلفة التي صممت مسابقة البحث عن المجرم كما تسمونها.

- هذا صحيح. السيدة أوليفر... إيريادن أوليفر.

ارتفع حاجبا المفتش قليلاً وقال: آه، هي! كتبها تحقق أعلى المبيعات، وقد قرأتُ -أنا نفسي- الكثير من رواياتها.

- إنها منزعجة قليلاً حالياً، وهو أمر طبيعي. هل أخبرها أنك تريدها؟ لا أعرف أين زوجتي. يبدو أنها اختفت تماماً عن الأنظار. أحسبها في مكان ما بين مئتين أو ثلاثمئة شخص، وهي لن تستطيع أن تخبرك كثيراً، أقصد بخصوص الفتاة أو أي شيء كهذا. من الذي تود رؤيته أولاً؟

- سأرى سكرتيرتك الآنسة برويس أولاً، وبعدها والدة الفتاة.

أومأ السير جورج برأسه وغادر الغرفة. وقد فتح روبرت هوسكينز الشرطي المحلي الباب له وأغلقه بعد أن خرج، ثم تطوع بذكر بعض الملاحظات التي بدا أنه يريد من خلالها التعليق على أقوال السير جورج. قال وهو ينقر على صدغه: الليدي ستبس تعاني من نقص هنا، ولذلك قال إنها لن تستطع مساعدتك كثيراً. إنها مضطربة العقل.

- هل هو متزوج بفتاة محلية؟

- لا، بل هي أجنبية. يقول البعض إنها ملونة، لكني لا أرى ذلك.

أومأ بلاند برأسه. سكت لحظة وهو يرسم بقلم على ورقة أمامه، ثم سأل هوسكينز سؤالاً غير رسمي: من الذي فعل ذلك يا هوسكينز؟

أحسّ بلاند أنه إن قُدّر لأي شخص أن يعرف ما يجري لكان هذا الشخص هو الشرطي هوسكينز. كان هوسكينز ذا عقل محب للبحث والتحقيق وله اهتمام عظيم بكل شخص وكل شيء، وكان متزوجاً بامرأة ثرثارة. وقد اجتمع ذلك كله مع موقعه كشرطي محلي ليعطيه مخزوناً كبيراً من المعلومات ذات الطبيعة الشخصية.

- إن أردتَ رأيي فالفاعل أجنبي ولا يمكن أن يكون أي واحد من هذه المنطقة. عائلة تاكر لا بأس بها؛ فهي عائلة لطيفة ومحترمة فيها من الأبناء فتاتان كبيرتان متزوجتان، وولد في سلاح البحرية، وآخر يؤدي الخدمة الإلزامية، وفتاة أخرى تعمل في صالون تجميل في توركيه، وثلاثة صغار في البيت؛ ولدان وفتاة.

سكت قليلاً وهو يفكر ثم تابع: لم يكن أحد منهم مرموقاً، ولكن السيدة تاكر تحافظ على بيتها جيداً وتنظفه. كانت أصغر إخوتها وأخواتها في الأسرة، وقد أحضرت والدها العجوز ليعيش معها.

استمع بلاند إلى هذه المعلومات صامتاً. كان هذا -حسب أسلوب هوسكينز- توضيحاً لازماً لمركز عائلة تاكر الاجتماعي ومكانتها. واستمر هوسكينز يقول: هذا هو سبب قولي إنه أجنبي، والأرجح أنه أحد هؤلاء الذين يتوقفون في بيت هوداون للشباب. بينهم شباب غريبو الأطوار، وكثير من الأشياء تحدث هناك، ولن يدهشني أن أعرف أن الفتاة قد قُتلت لأسباب جنسية!

- لا أظن أن للجريمة علاقة بشيء من هذا النوع، ولكن سيخبرنا الطبيب بالطبع حالما ينتهي من فحوصاته.

- نعم يا سيدي، هذا ما يقرره هو. ولكني أقول بأن المرء لا يستطيع الجزم بشأن هؤلاء الأجانب؛ إذ يمكن أن يتحولوا إلى أشخاص أشرار في لحظة واحدة.

تنهد المفتش بلاند وهو يفكّر بأن الأمر ليس بمثل هذه السهولة حيث كان من السهل والمريح للشرطي هوسكينز أن يضع اللوم على «الأجانب». فُتح الباب ودخل الطبيب قائلاً: لقد أنهيت مهمتي. هل يأخذونها الآن؟ لقد أنهى الآخرون أعمالهم أيضاً.

قال بلاند: سيتولى الرقيب كوتريل هذا الأمر. حسناً أيها الطبيب، ماذا وجدت؟

- الأمر بسيط وواضح لا تعقيدات فيه؛ خُنقت بقطعة من

حبل غسيل. لا أبسط ولا أسهل من ذلك! لم تحدث أية مقاومة قبل الخنق، ويمكنني القول بأن الفتاة لم تعرف ما الذي كان يحدث لها حتى حدث.

- هل من مؤشرات على اغتصاب؟

- أبداً. لا مؤشرات على اغتصاب أو اعتداء من أي نوع.

- يُفترض إذن أنها ليست جريمة جنسية؟

- ما كنتُ لأصفها كذلك، كلا. كما لا أحسب أنها كانت فتاة جذابة بشكل خاص.

- أكانت مغرمة بالفتيان؟

وجّه المفتش هذا السؤال إلى الشرطي هوسكينز الذي أجاب قائلاً: لا أحسب الفتيان كانوا يطيقونها!

وافقه المفتش بلاند قائلاً: ربما. ثم سأل الطبيب: ماذا عن وقت الوفاة؟

نظر الطبيب إلى الساعة المعلقة على الحائط وإلى ساعته وقال: الساعة الآن الخامسة والنصف تقريباً، ولنقل إنني رأيتها في الساعة الخامسة والثلث. كانت قد ماتت قبل ذلك بساعة واحدة تقريباً، وهذا تقدير تقريبي. لقد حدثت الوفاة بين الساعة الرابعة والساعة الخامسة إلاّ ثلثاً. سأخبرك بأي شيء آخر أجده بعد تشريح الجثة حيث ستحصل على التقرير الكامل. سأذهب الآن، فلديّ بعض المرضى الذين أود مقابلتهم.

غادر الغرفة وطلب المفتش بلاند من هوسكينز أن يذهب ويحضر الآنسة برويس. وارتفعت معنوياته قليلاً عندما دخلت الآنسة برويس الغرفة، فقد رأى أن أمامه الآن صورة للكفاءة، وسيحصل على أجوبة واضحة وتوقيتات محددة دون أي تشويش.

قالت الآنسة برويس بعد أن جلست: السيدة تاكر في غرفة جلوسي. لقد أبلغتها بالخبر وأعطيتها كوباً من الشاي ومن الطبيعي أنها متألمة كثيراً. كانت تريد رؤية الجثة، ولكني أخبرتها أن من الأفضل لها عدم رؤيتها. السيد تاكر ينهي عمله الساعة السادسة، وسيأتي لينضم إلى زوجته هنا. لقد أخبرتهم أن يرقبوا قدومه ويحضروه فوراً عندما يصل. أما أبناؤه الصغار فما زالوا في المهرجان، وهناك شخص يحرسهم.

قال المفتش بلاند باستحسان: رائع! أُحب سماع ما يمكنك أن تخبريني به أنت والليدي ستبس قبل أن أرى السيدة تاكر.

قالت الآنسة برويس بحدة: لا أعرف أين هي الليدي ستبس. أظنها سئمت من المهرجان وذهبت لتتجول في مكان ما، ولكني لا أظنها تستطيع أن تخبرك بأكثر مما أخبرك به أنا. ما الذي تريد أن تعرفه بالضبط؟

- أريد أن أعرف أولاً جميع تفصيلات تلك المسابقة للبحث عن المجرم، ثم كيف حدث أن تولت هذه الفتاة، مارلين تاكر، تمثيل دور فيها؟

- هذا سهل تماماً.

شرحت الآنسة برويس بإيجاز ووضوح فكرة المسابقة باعتبارها طريقة مبتكرة لجذب الناس لحضور المهرجان، وتحدثت عن تكليف السيدة أوليفر الروائية المعروفة لتنظيم المسألة، كما شرحت باختصار الخطوط العريضة لحبكة المسابقة، ثم أوضحت قائلة: كان من المقرر أصلاً أن تقوم السيدة أليك ليغ بتمثيل دور الضحية.

- السيدة أليك ليغ؟

تدخل الشرطي هوسكينز للتوضيح: إنها تسكن مع زوجها في البيت المسمى لودرز، ذلك البيت الوردي بجانب ميل كريك. لقد وفدا على المنطقة قبل شهر واستأجرا البيت لمدة شهرين أو ثلاثة.

- فهمت. وهل قلت إن السيدة ليغ كانت ستؤدي دور الضحية أصلاً؟ لماذا تم تغيير ذلك؟

- ذات مساء قرأت السيدة ليغ حظنا جميعاً، وكانت بارعة في ذلك، فقررنا إقامة خيمة لقراءة الكف لجذب الناس، كما قررنا أن تلبس السيدة ليغ ملابس شرقية وتكون هي التي تقرأ البخت مقابل شلن لكل شخص. لا أظن ذلك عملاً غير قانوني يا حضرة المفتش، أليس كذلك؟ أقصد أن هذا يتم عمله في مثل هذه المهرجانات؟

ابتسم المفتش بلاند ابتسامة باهتة وقال: إن قراءة الكف والمزادات الخيرية لا يُنظر إليها دوماً بجدية كبيرة يا آنسة برويس.

- حسناً، هكذا كان الأمر. وافقت السيدة ليغ على مساعدتنا بهذا العمل فكان علينا أن نجد شخصاً آخر يقوم بدور الجثة. كان

المرشدون المحليون يساعدوننا في المهرجان، وأظن أن شخصاً قال إن بوسع إحدى المرشدات أن تفيدنا في ذلك.

- من الذي اقترح ذلك بالضبط يا آنسة برويس؟

- لا أعرف تماماً في الواقع، ربما السيدة ماسترتن زوجة عضو البرلمان. كلا، ربما الكابتن ووربيرتن... إنني حقاً لا أستطيع الجزم. ولكن تم اقتراح ذلك على أية حال.

- هل من سبب لاختيار هذه الفتاة بالتحديد؟

- كلا، لا أظن. إن أهلها يستأجرون أحد البيوت التابعة لهذا البيت، ووالدتها السيدة تاكر تأتي أحياناً للمساعدة في أعمال المطبخ. لا أعرف تماماً لماذا استقر رأينا عليها. ربما خطر اسمها ببالنا أولاً فسألناها فوافقت أن تفعل ذلك وهي مسرورة.

- هل أرادت القيام بذلك بشكل مؤكد؟

- آه، نعم، رأت في ذلك إطراء لها. لقد كانت فتاة مغفلة نوعاً ما؛ لم يكن بمقدورها -فعلاً- تمثيل دور أو أداء شيء كهذا. ولكن هذا الدور كان بسيطاً، وقد أحست بأن الاختيار قد وقع عليها من بين الأخريات فسرّها ذلك.

- ما الذي كان عليها أن تفعله بالضبط؟

- كان عليها أن تبقى في سقيفة القوارب، وعندما تسمع صوت أي شخص قادم إلى الباب عليها أن تستلقي على الأرض وتضع الحبل حول عنقها وتتظاهر بالموت.

كانت نبرة الآنسة برويس هادئة عملية، وبدا أن حقيقة الموت الفعلي للفتاة التي كان عليها أن تتظاهر بالموت لم تؤثر فيها عاطفياً.

قال بلاند: إنه لمن الممل لفتاة أن تقضي المساء بتلك الطريقة في حين كان بوسعها أن تكون في المهرجان.

- هذا صحيح، لكن المرء لا يستطيع أن يحصل على كل شيء. كما أن مارلين تحمست لفكرة تمثيل دور الجثة، وجعلها ذلك تشعر بأنها فتاة مهمة. كان عندها أكوام من الصحف وأشياء أخرى تقرؤها لتتسلى.

سأل المفتش: وهل كان عندها شيء لتأكله أيضاً؟ لاحظت هناك صينية عليها صحن وكوب.

- آه، نعم؛ كان عندها طبق كبير من الكعك وعصير التوت. أنا أخذتها إليها هناك بنفسي.

رفع بلاند بصره مهتماً: أنت أخذتِهما إليها هناك؟ متى؟

- عند العصر.

- في أية ساعة بالضبط؟ هل يمكنك أن تتذكري؟

فكرت الآنسة برويس لحظة: دعني أتذكر. تمّ تحكيم مسابقة الأطفال التنكرية، وكان فيها بعض التأخير إذ لم نستطع العثور على الليدي ستبس ولكن السيدة فوليات أخذت مكانها، ولذلك جرت المسابقة هذه على خير ما يرام. نعم، لا بد أن الساعة كانت الرابعة

وخمس دقائق عندما جهزت الكعك وعصير الفواكه، بل أكاد أكون واثقة من ذلك.

- أخذتِهما لها في سقيفة القوارب بنفسك. متى وصلت هناك؟

- يستغرق الوصول إلى سقيفة القوارب نحواً من خمس دقائق. أظن الساعة كانت الرابعة والربع تقريباً.

- إذن فقد كانت مارلين تاكر حية وفي صحة جيدة في الرابعة والربع؟

- نعم، بالطبع، وكانت متلهفة جداً لمعرفة ما وصل إليه الناس في مسابقة البحث عن المجرم. ولم أستطع إخبارها بذلك، فقد كنت مشغولة جداً بالعرض الجانبي الذي كان يجري على المرجة. ولكني كنت أعلم فعلاً أن كثيراً من الناس قد دخلوا للمشاركة في المسابقة. عشرون أو ثلاثون شخصاً حسب علمي، وربما أكثر من ذلك بكثير.

- كيف وجدت مارلين عندما وصلت إلى سقيفة القوارب؟

- أخبرتك بذلك قبل قليل.

- لا، لا؛ لا أقصد ذلك. إنما أعني هل كانت مستلقية على الأرض تتظاهر بالموت عندما فتحت الباب؟

- آه، كلا؛ لأنني ناديتها قبل أن أدخل، ففتحتْ لي الباب وأدخلتُ الطبق ووضعتُه على الطاولة.

قال بلاند وهو يكتب: في الرابعة والربع كانت مارلين تاكر حية وبصحة حسنة. أنا متأكد يا آنسة برويس أنك تعلمين بأن هذه نقطة مهمة جداً؛ أأنت متأكدة تماماً من دقة توقيتاتك؟

- لا أستطيع أن أكون متأكدة تماماً لأنني لم أنظر وقتها إلى ساعتي، لكني كنت قد نظرت إليها قبل وقت قصير من ذلك، وهذا أقرب توقيت أستطيع تقديمه. ثم أضافت وقد أدركت فجأة مغزى كلام المفتش: هل تقصد أن ذلك حدث مباشرة بعد... ؟

- لا يمكن أن يكون الأمر قد حدث بعد ذلك بوقت طويل يا آنسة برويس.

- آه، يا للمسكينة!

كان ذلك تعبيراً غير ملائم إلى حد ما، ولكنه أوضح بما فيه الكفاية فزع برويس وقلقها.

- والآن يا آنسة برويس، عندما كنت في طريقك إلى سقيفة القوارب وعندما كنت عائدة منها إلى البيت، هل لقيت أو رأيت أحداً قرب السقيفة؟

فكّرت برويس وقالت: لا، لم ألتق بأحد. كان من المحتمل أن ألقى أناساً بالطبع لأن حدائق البيت مفتوحة للجميع عصر اليوم، لكن الناس عموماً يميلون للبقاء حول المرجة وعند العروض الجانبية. إنهم يحبون أن يذهبوا إلى حدائق المطبخ والبيوت الزجاجية، لكنهم لا يقطعون الغابة حسب ظني، وهم يميلون كثيراً للتجمع مع بعضهم في مثل هذه المناسبات. ألا ترى ذلك يا حضرة المفتش؟

- ربما كان ذلك صحيحاً.

وفجأة قالت برويس وهي تتذكر: رغم ذلك فأنا أظن أن شخصاً كان في «الحماقة».

- الحماقة؟

- أنت تعلم، يطلقون عندنا هذه التسمية على ما عَظُم من الأبنية في غير منفعةٍ مما يشرع صاحبه في بنائه ثم يتوقف عاجزاً عن إتمامه. و«حماقتنا» هنا مبني على هيئة معبد أبيض صغير كان قد شُيد قبل سنة واحدة أو سنتين فقط، وهو عن يمين الطريق وأنت ذاهب إلى سقيفة القوارب. لعلّي أذكر أنه كان فيه شخص، بل أظنهما كانا عاشقين، أحدهما كان يضحك ثم قال الآخر: "صه".

- ألا تعرفين منْ هما هذان العاشقان؟

- ليس لدي فكرة. أنت لا تستطيع رؤية مقدمة المعبد من الممر لأن جوانبه ومؤخرته مسيجة.

فكر المفتش بعض الوقت، فلم يبدُ له محتملاً أن يكون للعاشقين في المعبد أهمية بغضِّ النظر عن هويتهما، ولكن ربما كان من الأفضل معرفتهما لأنهما ربما شاهدا -بدورهما- شخصاً قادماً من سقيفة القوارب أو ذاهباً إليها.

- ألم يكن فوق الممر شخص آخر، أي شخص؟

- أعرف ما ترمي إليه بالطبع. أؤكد لك أنني لم ألتق أحداً، ولكن لا أظن أن بي حاجة لكل هذا التأكيد. أقصد أنه لو كان على

الطريق شخص لا يريدني أن أراه لكان من أسهل الأمور عليه أن ينسل ويختبئ خلف شجيرات الورد التي تحفّ بالطريق من جانبيه. ولو وُجِد شخص لا عمل له هناك وسمع صوتاً يقترب منه لكان بوسعه أن ينسل ويختفي عن الأنظار في لحظة.

انتقل المفتش إلى موضوع آخر: هل تعرفين أنت عن هذه الفتاة أي شيء مما يمكن أن يساعدنا؟

- لا أعرف في الحقيقة شيئاً عنها، ولا أظنني تحدثت معها قبل هذا المهرجان. إنها واحدة من الفتيات اللاتي كنت أراهن في المنطقة، وأعرفها بالوجه فقط.

- ألا تعرفين شيئاً عنها، أي شيء يساعدنا؟

- لا أعرف سبباً يدعو أحداً لقتلها. يبدو لي أن من المستحيل تماماً وقوع شيء كهذا، ولعل حقيقة أنها ستمثل دور الضحية قد أغرت شخصاً مضطرب العقل ليجعلها ضحية حقاً. ولكن حتى هذا التفسير يبدو مستهجناً وسخيفاً!

تنهد بلاند وقال: حسناً، من الأفضل أن أرى أمها الآن.

كانت السيدة تاكر امرأة نحيلةً حادة القسمات ذات شعر أشقر خشن وأنف حاد. وكانت عيناها محمرتين من البكاء، ولكنها كانت قد تمالكت نفسها الآن واستعدت للإجابة عن أسئلة المفتش. قالت: لا أكاد أصدق أن يحدث مثل هذا الأمر. أنت تقرأ عن هذه الأمور في الصحف، أما أن يصيب هذا ابنتي مارلين...

قال بلاند بلطف: أنا آسف جداً لذلك. أريدك أن تفكري

جاهدة قدر استطاعتك وتخبريني إن كان يوجد أحد لديه أي سبب لإيذاء الفتاة.

قالت السيدة تاكر مع نشقة مفاجئة: كنت أفكر في ذلك. فكرت وفكرت، لكني لم أصل إلى شيء. كانت مارلين تشاكس مُدرِّستها أحياناً، وتتشاجر مع الفتيات أو الصبيان أحياناً، ولكن أياً من ذلك لم يكن جدياً بأي شكل. ليس لأحد حقد حقيقي عليها، وما من أحد يمكن أن يضمر لها الأذى.

- ألم تتحدث معك أبداً عن أحد ربما كان عدواً لها بشكل أو بآخر؟

- كانت مارلين تتحدث بأشياء سخيفة ولكنها لا تمتُّ لهذا الموضوع بصلة. كان حديثها كله عن الزينة والتجميل وتسريحات الشعر وعمّا تريد أن تعمله بوجهها ونفسها. أنت تعرف طبيعة الفتيات! ما تزال صغيرة جداً على وضع أحمر الشفاه والمساحيق، وقد أخبرها والدها بذلك، وكذلك أنا، ولكن هذا ما كانت تفعله عندما كانت تحصل على نقود.كانت تشتري لنفسها العطور وأحمر الشفاه وتخبئها.

أومأ بلاند برأسه إذ لم يجد في هذا الشرح شيئاً يمكن أن يساعده. مجرد فتاة سخيفة مراهقة، رأسها مليء بنجوم الأفلام والأحلام يوجد من أمثالها المئات.

قالت السيدة تاكر: لا أدري ماذا سيقول والدها؟ سيصل هنا في أية لحظة ظاناً أنه سيمتع نفسه؛ فهو لاعب بارع في لعبة جوز الهند.

انهارت فجأة وبدأت بالنشيج قائلة: لو سألتني لقلت لك إن الفاعل واحد من أولئك الأجانب القذرين في بيت الشباب. أنت لا تعرف حقيقة هؤلاء الأجانب، رغم أن معظمهم يتحدث بكلام جميل. إن من القمصان التي يلبسونها ما لا يمكن للمرء أن يصدق وجوده، ومنهم من يتشمس هنا وهناك دون قمصان يسترون أنفسهم بها... وهي كلها أمور تثير المشكلات. هذا هو رأيي!

خرجت السيدة تاكر من الغرفة بصحبة الشرطي هوسكينز وهي تبكي. ورأى بلاند أن الحكم الذي يطلقه سكان المنطقة هو الحكم السهل القديم الذي يعزو كل حدث مأساوي إلى أجانب لا على التعيين.

* * *

الفصل الثامن

قال هوسكينز عندما عاد: إن لها لساناً حاداً؛ تنكد حياة زوجها وترهب والدها العجوز، وأظنها تكلمت مع ابنتها كلاماً لاذعاً وهي الآن تشعر بالذنب. وهذا لا يعني أن الفتيات يلقين بالاً لما تقوله أمهاتهن، بل ليس لكلام أمهاتهن تأثير عليهن أبداً.

قطع عليه المفتش بلاند تأملاته العامة هذه، وطلب منه الذهاب لإحضار السيدة أوليفر.

جفل المفتش قليلاً عندما رأى السيدة أوليفر. لم يتوقع رؤية مخلوقة ترتدي كل هذه الملابس الفضفاضة بهذا اللون القرمزي وبمثل هذه الحالة من الانزعاج العاطفي.

قالت السيدة أوليفر وهي تجلس على كرسي أمامه: ينتابني شعور فظيع... ثم أضافت بتركيز على الأحرف: **فظيع**.

تلفظ المفتش بلاند ببعض عبارات المواساة المبهمة، واندفعت السيدة أوليفر تتكلم بقوة: ذلك لأنها جريمتي **أنا**؛ أنا رسمتها!

ظن المفتش بلاند في لحظة اضطراب أن السيدة أوليفر تتهم

نفسها بارتكاب الجريمة. قالت وقد خلّلت أصابعها بين شعرها ذي التسريحة المتقنة بحيث انتَفَشَ فبدت كالشملة: لا يمكنني تخيل سبب لاختياري زوجة عالم الذرة لتكون هي الضحية. إن هذا غباء مطبق مني دون شك. كان بوسعي أن أجعل الضحية البستاني الثاني الذي كان يُضمر غير ما يُظهر... وما كان ذلك ليوقعنا فيما نحن فيه، لأن الرجال يستطيعون الاهتمام بأنفسهم، فذلك ما هو مُتوقَّع منهم حتى لو لم يكونوا كذلك. وعندها ما كنت لأهتم إلى هذه الدرجة، فالرجال يُقتَلون دون أن يهتم أحد لذلك... أعني لا أحد سوى زوجاتهم وأطفالهم.

عند هذه النقطة قلَّب المفتش بلاند في ذهنه بعض الشكوك الصغيرة في السيدة أوليفر. لكنها قالت وكأنها تنبأت غريزياً بأفكاره: أنا لست مجنونة ولا ثملة، رغم اعتقادي أنك ربما ظننتَ ذلك نتيجة وجود رجل هنا يقول إنني أشرب كثيراً ويزعم أن الجميع يوافقونه الرأي.

سألها المفتش وقد انتقل عقله من الإدخال المفاجئ للبستاني في مسرحيتها إلى إدخال رجل غامض في الموضوع: أي رجل؟

- رجل على وجهه نمش ويتحدث بلكنة أهل يوركشاير، ولكني -كما قلت- لست ثملة ولا مجنونة، إنني منزعجة فقط. ثم أضافت بتركيز على الأحرف مرة أخرى: منزعجة تماماً.

- أنا متأكد يا سيدتي بأن الأمر كان محزناً جداً دون شك.

- الشيء الفظيع أنها فكّرت بضحايا المهووسين جنسياً، وأحسبها الآن كذلك فعلاً، أليس كذلك؟

- لا وجود لمهووس جنسي في الأمر.

- حقاً؟ حسناً، أحمد الله على ذلك. ولكن إن لم يكن الفاعل مهووساً جنسياً فلماذا قُتلت يا حضرة المفتش؟

- كنت آمل أن تتمكني من مساعدتي في ذلك.

رأى المفتش بلاند أن السيدة أوليفر قد وضعت إصبعها دون شك على النقطة الحاسمة: لماذا يُقدم أي امرئ على قتل مارلين؟

قالت السيدة أوليفر: لا أستطيع مساعدتك. لا أستطيع أن أتخيل أحداً يمكنه أن يفعل ذلك، بل إنني أستطيع بالأحرى أن أتخيل، أستطيع تخيل أي شيء! هذه هي مشكلتي؛ أستطيع الآن تخيل أشياء... في هذه اللحظة. كما أنني أستطيع أن أجعلها تبدو حقيقية، دون أن يكون شيء منها حقيقياً فعلاً. أعني أن قاتلها قد يكون شخصاً يحب قتل الفتيات، ولكن هذا تفسير سهل جداً، وعلى أية حال فإن وجود شخص يهوى قتل الفتيات في هذا المهرجان أمر لا تحتمله الصدفة، ثم كيف له أن يعرف أن مارلين في سقيفة القوارب؟ أو ربما كانت تعرف سراً عن علاقة غرامية لشخص معين... أو لعلها رأت شخصاً يدفن جثة أثناء الليل... أو ربما ميّزتْ شخصاً يخفي هويته الحقيقية... أو ربما كانت تعرف سراً عن مكان دفن فيه كنز أثناء الحرب... وربما ألقى رجل في قارب شخصاً في النهر ورأت ذلك من نافذة سقيفة القوارب... بل ربما وقعت يدها على رسالة مهمة جداً مكتوبة برموز سرية دون أن تعرف شخصياً حقيقة الرسالة...

رفع المفتش يده وقال وقد أصابه الدوار: أرجوك!

سكتت أوليفر طائعة. كان واضحاً أنها تستطيع أن تستمر على هذا النحو وقتاً طويلاً، رغم أن المفتش شعر بأنها قد تخيلت كل إمكانية محتملة أو غير محتملة. ومن كل هذه التصورات الغنية التي قدمتها له توقف عند عبارة واحدة وقال: ماذا قصدت يا سيدة أوليفر بقولك: «رجل في قارب»؟ أهو مجرد تخيل منك لرجل في قارب؟

- لقد أخبرني أحدهم أنه جاء في قارب. لا أذكر من هو... أقصد الشخص الذي كنا نتحدث عنه أثناء الإفطار.

- أرجوك!

أصبحت نبرة المفتش الآن نبرة توسل. لم تكن لديه فكرة من قبل عن طبيعة كتّاب الروايات البوليسية. كان يعرف أن السيدة أوليفر قد كتبت أربعين رواية ونيفاً، ولكن بدا له في تلك اللحظة غريباً أن مؤلفاتها لم تتجاوز المئة والأربعين. ثم نطق بسؤال حاسم: ما هي بالضبط قصة هذا الرجل الذي ذكرتموه على مائدة الإفطار وجاء في قارب؟

- إنه لم يأت في القارب وقت الإفطار... كان يختاً. لا أقصد ذلك تماماً، بل كانت رسالة.

- حسناً، ماذا كانت؟ يختاً أم رسالة؟

- كانت رسالة وصلت إلى الليدي ستبس من ابن عم لها يركب يختاً، وكانت خائفة.

- خائفة؟ مِمَّ؟

- أحسبها كانت خائفة منه. كان ذلك واضحاً للجميع... كانت

مرعوبة منه ولم ترغب في حضوره، وأظن أن هذا هو سبب اختبائها الآن.

- اختبائها؟

- إنها ليست موجودة في المكان. لقد بحث عنها الجميع، وأظن أنها تختبئ لأنها خائفة منه ولا تريد لقاءه.

- من هو هذا الرجل؟

- من الأفضل أن تسأل السيد بوارو لأنه تحدث إليه، أما أنا فلم أتحدث معه. اسمه إستابان... لا، لا، ليس كذلك، إستابان هذا كان شخصية في الحبكة التي أعددتها. اسمه دي سوزا... إتيان دي سوزا.

ولكن اسماً آخر هو الذي لفت انتباه المفتش. صاح قائلاً: ماذا قلت؟ السيد بوارو؟

- نعم، هيركيول بوارو. كان معي عندما وجدنا الجثة.

- هيركيول بوارو... أيمكن أن يكون نفس الرجل؟ أهو بلجيكي ضئيل الجسم ذو شاربين كبيرين؟

وافقته أوليفر: شاربين هائلين، نعم. هل تعرفه؟

- لقد مرت سنوات طويلة على آخر لقاء لنا. كنتُ رقيباً شاباً في ذلك الوقت.

- هل التقيتما في قضية قتل؟

- نعم. وماذا يفعل بوارو هنا؟

- كان يُفترَض أن يوزع الجوائز.

ترددت قليلاً قبل أن تعطي هذه الإجابة، ولكن المفتش لم يدرك ذلك وقال: وقد كان معك عندما اكتشفت الجثة. همم، أحب أن أتحدث معه.

جمعت أوليفر ثوبها الفضفاض وهي تقول: هل أحضره لك؟

- ألا يوجد ما تريدين إضافته يا سيدتي؟ لا شيء يمكنك أن تساعدينا به بأي شكل؟

- لا أظن ذلك، لا أعرف شيئاً. كما قلتُ: أستطيع أن أتصور أسباباً...

قاطعها المفتش؛ فلم تكن لديه أية رغبة في سماع مزيد من الحلول التي تتخيلها السيدة أوليفر، إذ كانت هذه التخيلات مربكة جداً. قال بسرعة: شكراً لك يا سيدتي. سأكون ممتناً لك كثيراً إذا طلبت من السيد بوارو أن يحضر ليتكلم معي هنا.

غادرت أوليفر الغرفة واستفسر الشرطي هوسكينز باهتمام: من السيد بوارو هذا يا سيدي؟

- يمكنك أن تصفه بأنه شخص مضحك، أشبه بمهرّج سيرك فرنسي. ولكنه بلجيكي، وهو -رغم سخافاته- شديد الذكاء. لابد أنه أصبح مسناً الآن.

- وماذا عن دي سوزا هذا؟ أترى في أمره شيئاً يا سيدي؟

لم يسمع المفتش بلاند السؤال؛ فقد خطرت بباله حقيقةٌ بدأ الآن فقط باستيعابها رغم أنها قيلت له عدة مرات.

بدأ ذلك بالسير جورج المنفعل المنزعج إذ قال: "يبدو أن زوجتي اختفت؛ لا أعلم أين ذهبت"، ثم الآنسة برويس إذ قالت بازدراء: "لم نعثر على الليدي ستبس، لقد سئمت المهرجان"، وها هي السيدة أوليفر تخرج بنظريتها عن اختباء الليدي ستبس.

سأل المفتشُ الشرطيَّ وهو شارد الذهن: إيه؟ ماذا؟

تنحنح الشرطي هوسكينز: كنت أسألك يا سيدي إن كنت ترى شيئاً في أمر دي سوزا هذا...

كان واضحاً أن هوسكينز مبتهج لظهور رجل أجنبي محدد في القضية غير مجموعة الأجانب المجهولين الآخرين، لكن عقل المفتش بلاند كان يركض في اتجاه مختلف. قال باقتضاب: أريد الليدي ستبس. جئني بها، وإن لم تكن موجودة فابحث عنها.

بدا هوسكينز متحيراً قليلاً ولكنه غادر الغرفة طائعاً. وعند مدخل الباب توقف ورجع قليلاً ليسمح لهيركيول بوارو بالدخول، ثم التفت برأسه ونظر باهتمام قبل أن يغلق الباب وراءه. قال بلاند وهو ينهض ويمد يده مصافحاً: لا أظنك تتذكرني يا سيد بوارو.

- بالتأكيد، أنت... امنحني لحظة، لحظة صغيرة فقط. أنت الرقيب الشاب... نعم، الرقيب بلاند الذي التقيته قبل أربع عشرة، بل خمس عشرة سنة.

- صحيح تماماً. يا لها من ذاكرة قوية!

- ما دمت تتذكرني فلِمَ لا أتذكرك؟

قال بلاند في نفسه إنّ من الصعب نسيان هيركيول بوارو، رغم أن ذلك لا يدخل في باب المجاملة أبداً. قال: إذن فأنت هنا يا سيد بوارو، تساعد في جريمة قتل مرة أخرى.

- هذا صحيح، لقد دُعيت هنا للمساعدة.

بدا بلاند حائراً وقال: دُعيتَ للمساعدة؟

قال بوارو بسرعة: أقصد أنهم طلبوا مني الحضور هنا لتوزيع جوائز مسابقة البحث عن المجرم هذه.

- لقد أخبرتني السيدة أوليفر بذلك.

قال بوارو دون إبداء أي اهتمام: ألم تخبرك شيئاً آخر؟

كان مهتماً بمعرفة ما إذا كانت السيدة أوليفر قد أعطت المفتش أي تلميح عن الدوافع الحقيقية التي دفعتها إلى الإصرار على بوارو للمجيء إلى ديفون.

- لم تخبرني شيئاً آخر؟ بل قل إنها لم تسكت أبداً عن قول الأشياء. تناولَتْ كل دافع ممكن وغير ممكن لقتل الفتاة مما أربكني تماماً. يا لخيالها!

- إنها تكسب قوت عيشها من خيالها يا صديقي.

- لقد ذكرَتْ رجلاً يدعى دي سوزا، فهل كانت تتخيل ذلك؟

- لا، ذاك حقيقة واقعة.

- قالت شيئاً بخصوص رسالة على الإفطار، ويخت، وقارب جاء إلى النهر... لم أستطع فهم شيء من ذلك.

أخبره بوارو بما جرى على طاولة الإفطار وحدّثه عن الرسالة والصداع الذي أصاب الليدي ستبس، فسأل المفتش: قالت أوليفر إن الليدي ستبس كانت خائفة. أتظن أنت أيضاً أنها كانت خائفة؟

- هذا هو الانطباع الذي تشكّل لديّ.

- خائفة من ابن عمها هذا؟ لماذا؟

رفع بوارو كتفيه حيرة: لا أدري. كل ما قالته لي هو أنه كان سيئاً. إنها امرأة بسيطة قليلة التفكير.

- نعم، يبدو أن هذا أصبح معروفاً تماماً عنها في هذه المنطقة. ألم تقل لماذا كانت خائفة من دي سوزا هذا؟

- لا.

- ولكنك تظن أن خوفها كان حقيقياً، أليس كذلك؟

قال بوارو ببرود: لو لم يكن حقيقياً لكانت ممثلة ذكية جداً.

قال بلاند: لقد بدأت تراودني أفكار غريبة عن هذه القضية. ثم نهض وصار يمشي بقلق جيئة وذهاباً ثم أضاف: أظنها غلطة تلك المرأة التعِسة.

- السيدة أوليفر؟

- نعم. لقد عبأت رأسي بكثير من الأفكار الساذجة.

- وهل تظن أن تلك الأفكار ربما كانت صحيحة؟

- ليس كل أفكارها بالطبع، ولكن القليل مما طرحته قد لا يكون مستهجناً كما يبدو للوهلة الأولى. الأمر كله يعتمد...

قطع كلامه عندما فُتح الباب ليدخل منه الشرطي هوسكينز قائلاً: لم نستطع العثور على الليدي يا سيدي؛ إنها ليست في أي مكان هنا.

قال بلاند غاضباً: هذا ما أعرفه منذ البداية. لقد طلبت منك أن تعثر عليها.

- الرقيب فاريل والشرطي لورمر يفتشان البساتين الملحقة بالبيت يا سيدي. إنها ليست في البيت.

- اسأل الرجل الذي يستلم تذاكر الدخول عند البوابة إن كانت قد غادرت المكان سواء مشياً على الأقدام أو في سيارة.

- نعم يا سيدي.

غادر هوسكينز الغرفة فيما صاح بلاند وراءه: حاول أن تعرف آخر وقت شوهدت فيه وأين.

قال بوارو: أفي هذا الاتجاه يعمل تفكيرك إذن؟

- إنه لم يبدأ العمل في أي اتجاه بعد، ولكنني انتبهتُ تواً لحقيقةٍ تقول إن سيدةً يُفترَض أن تكون في البيت ليست موجودة فيه! وأريد أن أعرف السبب. أخبرني بما تعلمه أيضاً عن ذلك الشخص دي سوزا.

وصف بوارو لقاءه مع الشاب الذي صعد الطريق قادماً من الرصيف ثم قال: لعله ما زال هنا في المهرجان. هل أخبر السير جورج أنك تريد رؤيته؟

- ليس في هذه اللحظة. أُحب أولاً أن أعرف المزيد: متى كانت آخر مرة رأيتَ فيها الليدي ستبس شخصياً؟

استرجع بوارو ذاكرته، وأحسّ أن تذكر ذلك بالضبط لم يكن سهلاً. استذكر اللمحات الغامضة عن لباسها الأحمر والقبعة السوداء المتدلية وهي تنتقل في المكان وتتحدث مع الناس وتحوم هنا وهناك، ومن وقت لآخر كان يسمع ضحكتها الغريبة المميزة بين كثير من الأصوات المتشابكة. قال بارتياب: أظن أن ذلك لم يكن قبل الساعة الرابعة بوقت طويل.

- وأين كانت في ذلك الوقت؟ ومع من كانت؟

- كانت وسط مجموعة من الناس بجانب البيت.

- هل كانت هناك عندما وصل دي سوزا؟

- لا أتذكّر، فأنا -على الأقل- لم أرها. أخبر السير جورج دي سوزا أن زوجته كانت في مكان ما، وأذكر أنه بدا مستغرِباً لأنها لم تكن تتولى التحكيم في ملابس الأطفال التنكرية كما كان مُخطَّطاً.

- متى وصل دي سوزا؟

- أظنه وصل في حدود الرابعة والنصف. لم أنظر إلى ساعتي ولهذا لا يمكنني الجزم بالضبط.

- وهل اختفت الليدي ستبس قبل أن يصل؟

- يبدو ذلك.

- ربما تكون قد هربت حتى لا تلتقي به.

- ربما.

- حسناً، لا يمكن أن تكون قد ابتعدت كثيراً. ينبغي أن نتمكن من العثور عليها بسهولة تامة، وعندما نفعل ذلك...

ثم سكت، فسأله بوارو بنبرة غريبة: وماذا لو لم تعثر عليها؟

قال المفتش بقوة: هذا هراء. لماذا؟ ما الذي تظنه حدث لها؟

رفع بوارو كتفيه حيرة وقال: سؤال وجيه! لا يعرف المرء. كل ما يعرفه المرء هو أنها... اختفت!

- كفى يا سيد بوارو، أنت تجعل الأمر يبدو منذراً بالشؤم.

- ربما كان منذراً فعلاً بالشؤم.

قال المفتش بقوة: إن ما نحقق فيه هو مقتل مارلين تاكر.

- هذا واضح تماماً. إذن لماذا هذا الاهتمام بِدي سوزا؟ أتظن أنه قتل مارلين تاكر؟

أجابه المفتش بلاند بطريقة لا علاقة لها بالسؤال: إنها تلك المرأة!

ابتسم بوارو ابتسامة باهتة وقال: هل تقصد السيدة أوليفر؟

- نعم. إن قتل مارلين تاكر ليس له معنى يا سيد بوارو، ليس له معنى إطلاقاً؛ فلدينا هنا طفلة سخيفة لا يميزها شيء خُنقت ولا توجد أية إشارة لأي دافع محتمل.

- وهل زودتك السيدة أوليفر بأي دافع؟

- أعطتني دزينة من الدوافع على الأقل! ومن بينها أن الفتاة ربما كانت تعلم بأمر علاقة غرامية سرية لشخص ما، أو ربما رأت شخصاً وهو يُقتَل، أو أنها عرفت مكان كنز مدفون، أو أنها رأت من نافذة سقيفة القوارب عملاً قام به دي سوزا في قاربه عندما كان قادماً في النهر.

- آه، وأية واحدة من هذه النظريات تعجبك يا صديقي؟

- لا أدري، ولكني لا أستطيع منع نفسي من التفكير فيها. اسمع يا سيد بوارو، تذكّر بعناية: هل ترى -من انطباعك عما قالته الليدي ستبس لك هذا الصباح- بأنها كانت خائفة من مجيء ابن عمها لأنه ربما كان يعرف شيئاً عنها لا تريد أن يصل إلى مسمع زوجها، أم أن هذا خوف شخصي مباشر من الرجل نفسه؟

لم يتردد بوارو في الجواب: أظنه كان خوفاً شخصياً مباشراً من الرجل نفسه.

- حسناً، من المفضل أن أتحدث مع ذلك الشاب إن كان لا يزال موجوداً.

* * *

الفصل التاسع

رغم أن المفتش بلاند لم يحمل تحيزاً متأصلاً كتحيز الشرطي هوسكينز ضد الأجانب، إلا أنه كره إتيان دي سوزا فور رؤيته له. أناقة الفتى الواضحة، وكمال ملبسه، ورائحة العطر الزكية من شعره المدهون بالزيت، كل ذلك اجتمع ليزعج المفتش.

كان دي سوزا شديد الثقة بنفسه ومطمئناً، كما أظهر -بطريقة يغلِّفها الاحتشام- قدراً من السرور المحايد. قال: يجب أن يعترف المرء بأن الحياة مليئة بالمفاجآت. أنا أحب المناظر الجميلة، وقد وصلت هنا لقضاء إجازة. جئت لقضاء أمسية مع ابنة عمٍّ لي لم أرها منذ سنوات، فما الذي حدث؟ وجدت نفسي -أولاً- وسط احتفال كأنه كارنفال وحباتُ جوز الهند تئز من فوق رأسي، ثم انتقلت بعد ذلك مباشرة من الكوميديا إلى المأساة لأجد نفسي وسط جريمة قتل.

أشعل لفافة تبغ وسحب نفساً عميقاً وقال: رغم أن جريمة القتل هذه لا تعنيني بأية حال. بل إنني لا أرى في الواقع سبباً يدعوك لمقابلتي.

- لقد وصلتَ هنا باعتبارك شخصاً غريباً يا سيد دي سوزا...

قاطعه: والغرباء محل اشتباه بالضرورة، أليس كذلك؟

- لا، لا. أبداً يا سيدي؛ أنت لم تفهم قصدي. لقد فهمتُ أن يختك يرسو في هيلْماوث؟

- إنه كذلك؛ نعم.

- وقد قطعتَ النهر هذا المساء في قارب آلي، أليس كذلك؟

- أيضاً: هذا صحيح.

- وأنت قادم في النهر، هل لاحظت عن يمينك سقيفة صغيرة للقوارب ذات سقف من القش وتحتها رصيف صغير؟

أمال دي سوزا رأسه الجميل ذا الشعر الداكن إلى الخلف وقطب جبينه وهو يفكر: دعني أتذكر. كان هناك خليج صغير وبيت رمادي صغير مكسوّ بالقرميد.

- في مكان أبعد من ذلك، أعلى النهر يا سيد دي سوزا. إنه مقام بين الأشجار.

- آه، نعم، تذكرت الآن. إنها منطقة جميلة جداً. لم أعرف أنها هي سقيفة القوارب التابعة لهذا البيت، ولو كنت أعرف ذلك لرسوت بقاربي وجئت إلى الشاطئ من هناك. عندما سألت عن الاتجاهات دلّوني على الرصيف الرئيسي للنهر.

- صحيح تماماً. وهل رسوت فيه؟

- هذا ما فعلته تماماً.

- ألم تَرَ شيئاً قرب سقيفة القوارب؟

هزّ دي سوزا رأسه نافياً.

- هل رأيت أحداً في سقيفة القوارب حين مررت بجانبها؟

- رأيتُ أحداً؟ هل كان عليّ أن أرى أحداً؟

- إنه مجرد احتمال. كانت الفتاة المقتولة يا سيد دي سوزا في سقيفة القوارب عصر اليوم. قُتلتْ هناك، ولا شك أنها قتلت في وقت ليس بعيداً جداً عن وقت مرورك هناك.

رفع دي سوزا حاجبيه مرة أخرى وقال: أتظن أنني ربما كنتُ شاهداً على هذه الجريمة؟

- حدثت الجريمة داخل سقيفة القوارب، ولكنك ربما رأيت الفتاة... ربما نظرَتْ إلى الخارج من النافذة أو خرجت إلى الشرفة. فلو أنك شاهدتها لساعَدَنا ذلك في تحديد وقت موت الفتاة، لأنها إن كانت حية لدى مرورك...

- آه، فهمت. نعم، فهمت. ولكن لماذا تسألني أنا بالتحديد؟ كثير من القوارب تأتي وتذهب من هيلماوث. السفن البخارية تمر طوال الوقت، لم لا تسألهم؟

قال المفتش: سوف نسألهم. لا تخف، سوف نسألهم. إذن فهل أفهم من هذا أنك لم تر شيئاً غير طبيعي في سقيفة القوارب؟

- لا شيء أبداً. لم يكن فيها شيء يدل على أن فيها أحداً. أنا بالطبع لم أنظر إليها بأي اهتمام خاص، كما أنني لم أقترب كثيراً

من السقيفة. ربما كان شخص يطل برأسه من النوافذ كما تقول، ولو حدث ذلك فلم أكن لأرى ذلك الشخص بالضرورة.

ثم قال دي سوزا بنبرة مهذبة: أنا آسف جداً لأنني لا أستطيع مساعدتك.

قال المفتش بلاند بنبرة ودية: حسناً، لا يمكننا توقع الكثير. لديّ بعض الأشياء الأخرى فقط أود معرفتها يا سيد دي سوزا.

- نعم؟

- هل أنت وحدك هنا أم أن معك أصدقاء في هذه الرحلة؟

- كان معي أصدقاء حتى وقت قريب جداً، لكنني كنت وحدي في الأيام الثلاثة الأخيرة، مع فريق اليخت بالطبع.

- وما هو اسم يختك يا سيد دي سوزا؟

- «إسبرانس».

- فهمتُ أن الليدي ستبس هي بنت عمك، أليس كذلك؟

رفع دي سوزا كتفيه وقال: ابنة عمٍّ بعيد. يجب أن تعرف أن زواج الأقارب شائع جداً عند أهل الجزر، ونكاد نكون جميعاً أبناء عمومة لبعضنا البعض! هاتي بنت عم من الدرجة الثانية أو الثالثة، ولم أرها منذ كانت فتاة صغيرة في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة.

- وهل فكرتَ في القيام بزيارة مفاجئة لها اليوم؟

- إنها ليست زيارة مفاجئة يا حضرة المفتش، فقد سبق وكتبت لها رسالة.

- أعلم أنها تلقت رسالة منك هذا الصباح، لكنها فوجئت إذ علمت بوجودك في هذا البلد.

- أنت مخطئ في هذا يا حضرة المفتش؛ لقد كتبت لابنة عمي... دعني أتذكر، منذ ثلاثة أسابيع. كتبت لها من فرنسا قبل أن آتي هذا البلد.

دُهش المفتش وقال: هل كتبت لها من فرنسا تخبرها أنك تنوي زيارتها؟

- نعم. لقد أخبرتها أنني ذاهب في رحلة في اليخت ولعلنا نصل إلى توركيه أو هيلماوث في هذا التاريخ تقريباً، وأنني سأبلغها فيما بعد بموعد وصولي تماماً.

حدق إليه المفتش بلاند. هذا الكلام مختلف تماماً عما سمعه عن رسالة دي سوزا في أثناء الإفطار. لقد شهد أكثر من واحد أن الليدي ستبس قد انزعجت وذعرت مما جاء في الرسالة. بدا دي سوزا مقابل ذلك هادئاً، نفض ذرة غبار عن ركبته وهو يبتسم ابتسامة خفيفة، وسأله المفتش: هل ردت الليدي ستبس على رسالتك الأولى؟

تردد دي سوزا بعض الوقت قبل أن يجيب، ثم قال: من الصعب تذكر ذلك. لا أظنها قد ردت، ولم يكن ذلك ضرورياً. كنت مسافراً وليس لي عنوان ثابت، ثم إنني لا أظن ابنة عمي هاتي بارعة في كتابة الرسائل. ليست ذكية كثيراً رغم أني فهمت أنها كبِرت لتصبح امرأة جميلة.

- أنت لم ترها بعدُ؟

وضع بلاند عبارته في صيغة السؤال وابتسم دي سوزا ابتسامة جميلة وقال: يبدو أن أحداً لا يجد تفسيراً لغيابها. لا شك أن هذا المهرجان الرائع قد أشعرها بالملل.

قال المفتش بلاند وهو يختار كلماته بحذر: هل لديك أي سبب يا سيد دي سوزا يدعوك للظن أن ابنة عمك قد يكون لديها سبب يجعلها ترغب بتجنبك؟

- هاتي ترغب في تجنبي؟ أنا في الحقيقة لا أرى سبباً يدعوها لذلك. أي سبب هذا الذي يدفعها لذلك؟

- هذا ما أسألك عنه يا سيد دي سوزا.

- هل تظن أن هاتي قد تغيّبت عن هذا المهرجان لتتجنبني؟ أية فكرة سخيفة هذه.

- أليس لديها -حسب علمك- أي سبب يدعوها للخوف منك بأية طريقة كانت؟

- للخوف... مني؟

كان صوت دي سوزا مُشكّكاً ساخراً، ثم أضاف: ولكن يا حضرة المفتش، أية فكرة غريبة هذه!

- هل كانت علاقتك بها ودية دائماً؟

- كما أخبرتك. لم يكن لي بها علاقة؛ فأنا لم أرها منذ كانت طفلة في الرابعة عشرة.

- ومع ذلك فقد بحثتَ عنها عندما جئت إلى إنكلترا.

- آه، بالنسبة لهذه النقطة، فقد قرأت خبراً عنها في إحدى صحفكم الاجتماعية. وقد أوردت الصحيفة اسمها قبل الزواج وقالت إنها تزوجت هذا الإنكليزي الثري، وفكرت وقلت: "يجب أن أرى ما أصبحت عليه هاتي الصغيرة، هل يعمل عقلها الآن بصورة أفضل من قبل"؟

ثم رفع كتفيه ثانية وقال: كان ذلك مجرد تفقدٍ لابنة عم. مجرد فضول بسيط لا أكثر.

مرة أخرى حدق المفتش في دي سوزا بإمعان، وتساءل عما يجري وراء هذا الوجه الهادئ الساخر. ثم تبنى أسلوباً أقرب للسرية والنجوى مع الشاب فقال: ترى هل تستطيع أن تخبرني مزيداً عن بنت عمك؟ شخصيتها؟ ردود أفعالها؟

بدا دي سوزا دَهِشاً بأدب وقال: غريب! هل لهذا الأمر صلة بمقتل الفتاة في سقيفة القوارب، وهو ما فهمت أنه الأمر الحقيقي الذي تحقق فيه؟

- ربما تكون له صلة.

أمعن دي سوزا النظر فيه بعض الوقت صامتاً، ثم قال وقد رفع كتفيه حيرة: لم أكن أعرف ابنة عمي جيداً أبداً. كانت واحدة من عائلة كبيرة، ولم تكن تثير اهتمامي على نحو خاص. وجواباً على سؤالك أقول لك إنها -رغم ضعفها العقلي- لم تكن تسيطر عليها ميول للقتل حسب علمي.

-- في الحقيقة لم أكن أعني ذلك يا سيد دي سوزا!

- حقاً؟ إنني أعجب لذلك؛ فأنا لا أرى سبباً آخر لسؤالك. كلا، ليست هاتي نزّاعة للقتل ما لم تكن قد تغيرت كثيراً!

ثم نهض وقال: إن كنت لا تريد أن تسألني شيئاً آخر يا حضرة المفتش فأتمنى لك كل نجاح في القبض على القاتل.

- أرجو أنك لا تفكر في مغادرة هيلماوث قبل يوم أو يومين يا سيد دي سوزا؟

- أنت تتكلم بأدب جم يا حضرة المفتش. هل أعتبر هذا أمراً؟

- إنه مجرد طلب يا سيدي.

- شكراً لك. إني أنوي البقاء في هيلماوث يومين. لقد تكرم السير جورج ودعاني للإقامة في البيت، ولكني أفضّل أن أبقى على متن إسبرانس. إذا كنت تريد طرح مزيد من الأسئلة عليّ فسوف تجدني هناك.

ثم انحنى بأدب. وفتح الشرطي هوسكينز الباب له فخرج.

تمتم المفتش لنفسه: شخص مداهن! وافقه هوسكينز تماماً، وأكمل المفتش وهو يحدث نفسه: وماذا إن قلنا إنها نزّاعة للقتل، لماذا تهاجم فتاة غريبة لا يميزها شيء؟ لن يكون لهذا معنىً.

قال هوسكينز: لا يستطيع المرء الجزم أبداً عندما يتعلق الأمر بالمجانين.

- السؤال في الحقيقة هو: إلى أي مدى هي مجنونة؟

هز هوسكينز رأسه هزة حكيم وقال: أظن معدل ذكائها منخفضاً.

نظر إليه المفتش منزعجاً وقال: لا تردد هذه المصطلحات العصرية كالببغاء. لا يهمني إن كان معدل ذكائها مرتفعاً أو منخفضاً، كل ما يهمني في الأمر هو أن أعرف إن كانت امرأة من شأنها أن ترى في وضع حبل حول رقبة فتاة وخنقها أمراً مسلياً أو مرغوباً أو ضرورياً؟ ومهما يكن فأين هي تلك المرأة؟ اخرجْ وانظر كيف تسير الأمور مع فرانك؟

غادر هوسكينز طائعاً ثم عاد بعد برهة مع الرقيب كوتريل، وهو فتىً رشيق معتز بنفسه كان بوسعه دوماً إزعاج ضابطه المسؤول. كان المفتش بلاند يفضل كثيراً حكمة هوسكينز الريفية على أسلوب فرانك كوتريل المتذاكي الذي يدعي معرفة كل شيء. قال كوتريل: ما زلنا نفتش المكان يا سيدي. الليدي لم تخرج من البوابة، لقد تأكدنا من ذلك تماماً. البستاني هو الذي يوزع التذاكر ويستلم رسم الدخول وهو يُقسم بأنها لم تغادر.

- أظن أنه توجد طرق أخرى لمغادرة المكان غير البوابة.

- آه، نعم يا سيدي، يوجد الطريق الذي يؤدي إلى معبر النهر، لكن الرجل العجوز هناك (واسمه ميرديل) متأكد تماماً أنها لم تغادر من ذلك المكان. إنه يناهز المئة عام، لكنني أظن أنه موثوق تماماً. لقد وصف بوضوح تام كيف وصل الأجنبي على يخته وسأل عن الطريق إلى البيت «ناسي» فأخبره أن عليه أن يصعد الطريق إلى البوابة ويدفع

رسم الدخول. وذكر أن الرجل لم يكن يعرف شيئاً عن المهرجان كما يبدو، وقال إنه قريب للعائلة، فدلّه العجوز على الطريق إلى المعبر من خلال الغابة. يبدو أن ميرديل كان يتسكع قريباً من الرصيف طوال المساء، ولذلك كان متأكداً تماماً أنه كان سيرى الليدي لو جاءت من ذلك الطريق. كما يوجد طريق البوابة العلوية التي تؤدي إلى هوداون بارك عبر الحقول، لكن ذلك الطريق كان محاطاً بالأسلاك بسبب أولئك الذين يتجاوزون على البيت، ولذلك فإن الليدي لم تسلكه. يبدو أنها ما زالت هنا دون ريب، أليس كذلك؟

- ربما يكون هذا صحيحاً، ولكن لا يوجد مانع يمنعها من التسلل من تحت السياج والمضي عبر الريف، أليس كذلك؟ لقد فهمتُ أن السير جورج ما زال يشكو تعدّي مَن يسكنون بيت الشباب المجاور على أراضيه. وإن كان بإمكان الشباب الدخول إلى هذه الأراضي فإن بإمكان غيرهم الخروج من الطريق نفسه.

- نعم؛ لا شك في ذلك. لكني تحدثت إلى خادمتها يا سيدي، وقد كانت الليدي ستَبس ترتدي...

ثم قرأ كوتريل من ورقة كانت بيده: ثوباً حريرياً أحمر، وقبعة كبيرة سوداء، وحذاء أسود ذا كعب عالٍ جداً. وهو ليس من الأحذية التي يمكن للمرء المشي بها طويلاً عبر الريف.

- ألم تغير ملابسها؟

- لا. لقد بحثت ذلك مع الخادمة. لم يجدوا أية ملابس مفقودة من ملابسها الأخرى أبداً، ولم تحزم أمتعة في حقيبة أو شيئاً من هذا القبيل، ولم تغير حتى حذاءها. كل أحذيتها موجودة هناك.

قطب المفتش بلاند حاجبيه، وبدأت تراوده الاحتمالات السيئة. قال باقتضاب: أحضر لي تلك السكرتيرة مرة أخرى، الآنسة برويس.

* * *

دخلت الآنسة برويس وهي تبدو لاهثة قليلاً ومتكدرة أكثر من المعتاد وقالت: نعم يا حضرة المفتش، هل أردتني؟ إن لم يكن الأمر ضرورياً فالسير جورج في حالة مخيفة و...

- وما هو سبب حالته هذه؟

- لقد أدرك لتوه الآن أن الليدي ستبس مفقودة حقاً. أخبرته أنها ربما خرجت تتمشى في الغابة أو في مكان آخر، لكنه يظن أن شيئاً قد أصابها. هذا سخيف تماماً!

- ربما لا يكون سخيفاً جداً يا آنسة برويس؛ فقد وقعت هنا جريمة قتل هذا المساء.

- لا أظنك تحسب أن الليدي ستبس... ولكن هذا سخيف! تستطيع الليدي ستبس أن تعتني بأمرها.

- حقاً؟

- تستطيع ذلك بالطبع! إنها امرأة ناضجة، أليس كذلك؟

- ولكنها امرأة قليلة الحيلة، بكل المقاييس.

قالت الآنسة برويس: هراء. يحلو للّيدي ستبس أن تلعب من وقت لآخر دور المغفلة العاجزة عندما لا تريد أن تفعل شيئاً. وأظن

أن ذلك ينطلي على زوجها، ولكنه لا ينطلي عليّ أنا!

قال بلاند بشيء من الاهتمام: أنت لا تحبينها كثيراً يا آنسة بروس، أليس كذلك؟

زمّت الآنسة بروس شفتيها وقالت: ليس لي أن أحبها أو أكرهها.

دُفع الباب بقوة ودخل السير جورج ليقول بعنف: اسمعوني، عليكم أن تفعلوا شيئاً. أين هاتي؟ يجب عليكم أن تجدوا هاتي. أنا لا أعرف ما الذي يجري هنا. تباً لهذا المهرجان التعِس! لقد دخل هنا شخص مهووس سفاح بعد أن دفع نصف شلن ليبدو كأي شخص آخر، وقد قضى مساءه يتجول ويقتل الناس. هكذا يبدو الأمر لي.

- لا أرى حاجة لتبني نظرة مبالغة إلى هذا الحد يا سير جورج.

- من السهل عليكم أن تجلسوا وراء الطاولة وتكتبوا الأشياء! إن ما أريده هو زوجتي.

- إن رجالي يقومون بتفتيش المكان يا سير جورج.

- لماذا لم يخبرني أحد أنها اختفت؟ لقد مضى الآن على اختفائها ساعتان كما يبدو. لقد استغربتُ عدم ظهورها لتحكيم مسابقة ملابس الأطفال التنكرية، ولكن أحداً لم يخبرني أنها قد اختفت.

- لم يكن أحد يعلم.

- كان ينبغي أن يعلم أحد بذلك، أن يلحظ أحد ذلك.

والتفت إلى الآنسة برويس قائلاً: كان ينبغي أن تعرفي يا أماندا، فقد كنت تراقبين الأمور.

قالت برويس وقد بدا وكأنها تكاد تبكي: لا أستطيع أن أكون في كل مكان. كان لديّ عمل كثير أشرف عليه، وإذا كانت الليدي ستبس قد اختارت التجوال بعيداً...

- التجوال بعيداً؟ ولماذا عساها تتجول بعيداً؟ ليس لديها سبب كي تتجول بعيداً إلا إن أرادت تجنب ذاك الأجنبي.

أمسك بلاند فرصته التي لاحت فقال: أود أن أسألك شيئاً. هل استلمت زوجتك رسالة من السيد دي سوزا قبل نحو ثلاثة أسابيع يخبرها فيها أنه قادم لهذا البلد؟

بدا السير جورج مذهولاً وقال: لا، لم تستلم مثل تلك الرسالة بالطبع.

- هل أنت متأكد؟

- متأكد تماماً، إذ كانت هاتي ستخبرني بذلك. بل لقد فوجئت تماماً وانزعجت حين تلقت رسالته هذا الصباح. كادت تلك الرسالة تفقدها صوابها بحيث قضت هذا الصباح ممدة تعاني من الصداع.

- ماذا قالت لك على انفراد بشأن زيارة ابن عمها؟ لماذا خافت من رؤيته إلى هذا الحد؟

بدا السير جورج مُحرَجاً بعض الشيء وقال: لم أكن أعلم حقاً، ولكنها ظلت تردد أنه شرير.

- شرير؟ كيف؟

- لم تكن واضحة كثيراً في ذلك. لقد ظلّت تقول كالطفلة بأنه رجل شرير، وأنها تتمنى ألاّ يحضر. قالت بأنه فعل أشياء سيئة.

- فعل أشياء سيئة؟ متى؟

- آه، منذ فترة طويلة. أظن أن إتيان دي سوزا هذا كان الشقي في العائلة، وأن هاتي سمعت في طفولتها أشياء عديدة من هنا وهناك دون أن تفهمها جيداً، فنشأ لديها خوف منه. لقد حسبتُ ذلك مجرد أثر من آثار الطفولة. إن زوجتي طفولية فعلاً أحياناً، تحب وتكره دون أن تستطيع شرح الأسباب.

- هل أنت متأكد يا سير جورج أنها لم تقل شيئاً محدداً؟

بدا السير جورج متململاً ثم قال: لا أريد منكم أن تبنوا أي شيء على... على ما قالته.

- إذن فقد قالت شيئاً؟

- حسناً. سأخبركم بذلك. لقد قالت، وقالت ذلك مراراً: "إنه يقتل الناس"!

* * *

الفصل العاشر

كرر المفتش: يقتل الناس!

قال السير جورج: لا أحسب أن عليكم أخذ هذا الأمر على محمل الجد كثيراً. لقد بقيتْ تكرر هذه العبارة وتقول: "إنه يقتل الناس"، لكنها لم تستطع أن تخبرني من قتل ومتى وكيف؟ لقد رأيتُ -شخصياً- أن الأمر مجرد ذكرى طفولية غريبة، مشكلات مع أبناء بلده أو شيء من هذا القبيل.

- تقول إنها لم تستطع أن تخبرك بأي شيء محدد، هل تعني أنها لم تستطع يا سير جورج، أم لعلها لم تُرد إخبارك؟

- لا أظن... توقف قليلاً ثم أضاف: لا أعرف؛ لقد شوشتَ ذهني. كما قلتُ فإنني لم آخذ كلامها هذا على محمل الجد. ظننت أن ابن عمها هذا ربما أزعجها قليلاً حين كانت طفلة، شيء من ذلك. من الصعب أن أوضح لك لأنك لا تعرف زوجتي. أنا أحبها، ولكني لا أصغي لما تقوله كثيراً لأنه يفتقر لأي معنى. وعلى أية حال فإن هذا الشخص، دي سوزا، لا يمكن أن تكون له صلة بكل هذا. لا تقل لي بأنه نزل هنا من يخته وانطلق من فوره خلال الغابة ليقتل

فتاة بائسة في سقيفة القوارب! لماذا يفعل ذلك؟

- أنا لا أقول إن مثل هذا الشيء قد حدث، لكن عليك أن تدرك يا سير جورج أن المجال، عند البحث عن قاتل مارلين تاكر، أضيق مما يظنه المرء في البداية.

حدق السير جورج إليه وقال: أضيق! لكم أن تختاروا من بين جميع من حضروا هذا المهرجان المشؤوم، أليس كذلك؟ مئتين أو ثلاثمئة من الناس... ربما أقدمَ أي منهم على ارتكاب الجريمة.

- نعم. هذا ما ظننتُه في البداية، ولكن الأمر -حسبما علمتُه الآن- ليس كذلك؛ كان باب السقيفة مقفولاً بحيث لا يسع أحداً أن يدخل من الخارج دون مفتاح.

- حسناً، ولكن للباب ثلاثة مفاتيح.

- تماماً. أحد المفاتيح كان المؤشرَ الأخير للغز تلك المسابقة للبحث عن القاتل، وهو ما يزال مخبأ في الممشى بين النباتات في أعلى الحديقة. والمفتاح الثاني كان بحوزة السيدة أوليفر منظِّمة مسابقة البحث عن القاتل، فأين المفتاح الثالث يا سير جورج؟

- ينبغي أن يكون في درج هذا المكتب الذي تجلس خلفه. كلا، ليس هذا الدرج، بل الدرج الأيمن، ففيه العديد من نسخ المفاتيح الأخرى للمنزل.

جاء ونقب في الدرج: نعم، ها هو موجود هنا.

قال المفتش بلاند: إذن فهل تعرف ماذا يعني ذلك؟ الوحيد

الذي يستطيع الدخول إلى سقيفة القوارب هو إما شخص أكمل مسابقة البحث عن القاتل ووجد المفتاح (وهو ما لم يحدث حسب علمنا)، أو السيدة أوليفر أو شخص من أفراد المنزل ربما أعارته هي نسختها من المفتاح، وإما شخص سمحت له مارلين نفسُها بدخول السقيفة.

- حسناً. إن تلك النقطة الأخيرة تنطبق تماماً على الجميع، أليس كذلك؟

- لا، فهذا احتمال بعيد. حسب فهمي لنظام هذه المسابقة فإنّ على الفتاة -حين تسمع أي شخص يقترب من الباب- أن تستلقي وتمثل دور الضحية وتنتظر حتى يكشفها الشخص الذي يجد المؤشر الأخير للغز، وهو المفتاح. ولذلك، كما يمكنك أن ترى بنفسك، فإن الأشخاص الوحيدين الذين كان من شأن مارلين أن تُدخلهم إذا ما نادوها من الخارج وطلبوا منها الدخول هم الذين رتبوا عملياً مسابقة البحث عن القاتل، وهذا يعني كل أهل هذا البيت ونزلائه: أنت والليدي ستبس والآنسة برويس والسيدة أوليفر، وربما السيد بوارو الذي أعتقدُ أن مارلين التقت به هذا الصباح. هل يوجد غيركم يا سير جورج؟

فكر السير جورج قليلاً وقال: عائلة ليغ. أجل، أليك وسالي ليغ كانا مشتركين في الأمر من البداية، ومايكل ويمان المهندس المعماري الذي يقيم هنا في البيت لتصميم قاعة التنس، بالإضافة إلى ووربيرتن، وعائلة ماسترتن، والسيدة فوليات بالطبع.

- ألا يوجد أحد آخر؟

- هؤلاء هم ساكنو البيت؟

- وهكذا ترى يا سير جورج أن المجال ليس واسعاً.

احمر وجه السير جورج وقال: أحسبك تتكلم كلاماً فارغاً. هراء تماماً! هل تعني... ما الذي تعنيه بالضبط؟

- أنا أقول فقط إن ثمة أشياء كثيرة لم نعرفها بعد. ربما كانت مارلين، مثلاً، قد خرجت لسبب ما من سقيفة القوارب. بل ربما تكون قد خُنقت في مكان آخر ثم أعيدت جثتها ووضعت على الأرض. ولكن حتى في هذه الحالة فإن مَن فعل ذلك كان شخصاً عالماً بكل تفصيلات مسابقة البحث عن القاتل. إننا دائماً نعود إلى هذه النقطة.

ثم أضاف وقد غيّر نبرته قليلاً: أؤكد لك يا سير جورج أننا نبذل كل ما نستطيعه للعثور على الليدي ستبس، وفي غضون ذلك أحب أن أتحدث مع السيد أليك ليغ وزوجته والسيد مايكل ويمان.

- أماندا...

قالت الآنسة برويس: سأرى ما يمكنني عمله يا حضرة المفتش. أظن أن السيدة ليغ ما زالت تقرأ الكف في الخيمة. كثير من الناس دخلوا منذ الساعة الخامسة بسبب خفض سعر تذكرة الدخول إلى النصف، كما أن جميع العروض الجانبية مستمرة. ربما أستطيع إحضار السيد ليغ أو السيد ويمان، فمَن ترغب برؤيته أولاً يا حضرة المفتش؟

- الترتيب لا يهم.

أومأت برويس وغادرت الغرفة، وتبعها السير جورج وصوته يعلو بحزن: استمعي يا أماندا، عليك أن...

أدرك المفتش بلاند أن السير جورج كان يعتمد كثيراً على الآنسة برويس القديرة. وفي الواقع وجد بلاند في هذه اللحظة أن سيد البيت يشبه الولد الصغير. وأثناء انتظاره، رفع المفتش بلاند سماعة الهاتف وطلب مركز الشرطة في هيلماوث وأجرى ترتيبات معينة بشأن اليخت إسبرانس. ثم قال مخاطباً هوسكينز الذي بدا غير قادر على فهم ما يجري: لعلك تدرك أن مكاناً واحداً يمكن لتلك المرأة التعِسة أن تكون فيه: على ظهر يخت دي سوزا!

- كيف خمنت ذلك يا سيدي؟

- لم تُشاهَد المرأة وهي تغادر من أي مخرج من المخارج المعتادة. وكانت تلبس ثياباً لا يُحتمل معها أن تمشي بين الحقول وفي الغابة، ولكن من الممكن أن تكون قد قابلت دي سوزا بناء على موعد في سقيفة القوارب فأخذها في الزورق إلى اليخت ثم عاد إلى المهرجان بعد ذلك.

سأله هوسكينز في حيرة: ولِمَ يفعل ذلك يا سيدي؟

- لا أعلم، ومن غير المرجح أن يفعل ذلك، ولكنه احتمال. ولئن كانت على ظهر إسبرانس فسأحرص على ألاّ تخرج منه دون أن تكون تحت المراقبة.

دخل هوسكينز في حديث بلغته العامية: ولكن إن كانت تكره الأرض التي يمشي عليها...

- كل ما لدينا ما قالته هي من أنها تكرهه، والنساء يكذبن كثيراً. تذكر ذلك دائماً يا هوسكينز!

قال الشرطي هوسكينز مستحسناً النصيحة :آه!

* * *

انقطع حديثهما عندما فُتح الباب ودخل شاب طويل يوحي شكله بالغموض. كان يلبس بدلة رمادية أنيقة من الصوف الناعم، ولكن كانت ياقة قميصه متجعدة، وربطة عنقه مائلة، وشعره واقفاً بطريقة غير مرتبة.

قال المفتش وهو يرفع بصره: السيد أليك ليغ؟

- لا، بل أنا مايكل ويمان. علمت أنك طلبتني.

- صحيح. هلاّ جلست؟

وأشار إلى كرسي في الجانب المقابل للطاولة فقال مايكل ويمان: لا أهتم بالجلوس، أحب المشي. ماذا تفعلون هنا أيها الشرطة؟ ما الذي حدث؟

نظر إليه بلاند مدهوشاً وقال: ألم يخبرك السير جورج؟

- لم يخبرني أحد بشيء، أنا لست في جيب السير جورج طول الوقت. ما الذي حدث؟

- فهمتُ أنك تقيم في البيت؟

- أقيم في البيت بالطبع، وما علاقة هذا بالأمر؟

- لقد ظننت ببساطة أن جميع الناس المقيمين في البيت قد علموا الآن بمأساة هذا العصر.

- مأساة؟ أية مأساة؟

- الفتاة التي كانت تلعب دور ضحية القتل قد قُتلت.

بدا مايكل ويمان مدهوشاً وقال: كلا! أتعني أنها قُتلت حقيقة وليس تمثيلاً؟

- نعم، لقد ماتت الفتاة.

- كيف قُتلت؟

- خُنقت بحبل.

صفر مايكل متعجباً وقال: تماماً كما هو في السيناريو؟ حسناً، هذا يمنح المرء موضوعاً للتفكير.

مشى ناحية النافذة ثم التفت بسرعة وقال: إذن فنحن جميعاً تحت الشبهة، أليس كذلك؟ أم أن الفاعل أحد صبيان المنطقة؟

- لا نرى إمكانية لأن يكون الفاعل أحد صبيان المنطقة كما تصفهم.

- وأنا لا أرى ذلك أيضاً. حسناً أيها المفتش، كثير من أصدقائي يصفونني بالجنون، لكني لست من ذلك الصنف من المجانين؛ فأنا لا أطوف الريف لأخنق الفتيات القاصرات.

- فهمت أنك هنا -يا سيد ويمان- من أجل تصميم صالة تنس للسير جورج، أليس كذلك؟

- وهي مهمة لا غبار عليها، من الناحية الجنائية على الأقل، أما من الناحية المعمارية فلست واثقاً، فلعل المشروع يمثل -عند انتهائه- جريمة ضد الذوق الحسن. ولكن هذا لا يهمك يا حضرة المفتش، فما الذي يهمك حقاً؟

- أريد أن أعرف بالضبط يا سيد ويمان أين كنت بين الرابعة والربع و... لنَقُل: الخامسة من عصر اليوم؟

- كيف حددتَ الوقت بهذا الشكل؟ أهو الدليل الطبي؟

- ليس الدليل الطبي وحده؛ فثمة شاهد رأى الفتاة حية في الساعة الرابعة والربع.

- أي شاهد؟ أم أنه ليس من حقي أن أسأل؟

- الآنسة برويس؛ فقد طلبت الليدي ستبس منها أن تأخذ صينية من الكعك وعصير الفواكه إلى الفتاة.

- هاتي طلبت منها ذلك؟ لا أصدق ذلك أبداً.

- لماذا لا تصدقه يا سيد ويمان؟

- لأن هذا ليس من طبيعتها. هي ليست ممن يفكرون بمثل هذه الأشياء أو يهتمون لها؛ إن عقل الليدي ستبس لا يدور أبداً إلاّ حول نفسها.

- ما زلتُ أنتظر يا سيد ويمان إجابتك عن سؤالي.

- أين كنتُ بين الساعة الرابعة والربع والخامسة؟ حسناً، أنا

لا أستطيع -فعلاً- أن أخبرك بذلك ارتجالاً الآن يا حضرة المفتش. كنتُ في الجوار... إن كنتَ تفهم قصدي.

- أين كنت بالضبط؟

- آه، هنا وهناك. كنت بين الناس فوق المرجة، وراقبت أهل المنطقة وهم يلهون، وتبادلت بضع كلمات مع ممثلة السينما المنفعلة، وحين سئمت من كل هذا ذهبت إلى ملعب التنس وتأملت التصميم المقترح للصالة، كما تساءلت أيضاً عن السرعة التي سيتعرف فيها أي امرئ إلى الصورة التي كانت هي المفتاح الأول لمسابقة البحث عن القاتل، والتي هي عبارة عن مقطع من شبكة التنس.

- وهل تعرّف أحدٌ إليها؟

- نعم. أظن أن شخصاً قد جاء، ولكني لم أكن في الحقيقة منتبهاً حينذاك. كنت قد توصلت إلى فكرة جديدة بشأن الصالة؛ طريقة أدمج فيها أفضل ما في العالميْن: عالمي وعالم السير جورج.

- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك؟ تمشيت في المنطقة وعدت إلى البيت. تمشيت إلى الرصيف ولغوْت مع العجوز ميرديل ثم رجعت. ولكن لا أستطيع أن أعيّن أوقات هذه الأعمال تعييناً دقيقاً. كنت -كما قلت أولاً- في المنطقة. هذا كل ما عندي.

قال المفتش بلاند بسرعة: حسناً يا سيد ويمان، أحسبُ أن بوسعنا التأكد من كل هذا.

- ميرديل سيخبرك بأنني تحدثت معه على الرصيف، لكن هذا كان بعد الوقت الذي ينصبّ عليه اهتمامك. لا بد أن الساعة كانت بعد الخامسة عندما نزلتُ هناك. هل يكفي هذا التقريب؟

- أظن أننا سنكون قادرين على تحديد الأوقات بشكل أقرب للدقة يا سيد ويمان.

كانت نبرة المفتش مرحة، ولكن كان فيها مسحة من الحزم لم تغب عن ملاحظة المعماري الشاب. جلس على ذراع الكرسي وقال: ولكن مَن عساه يريد قتل تلك الفتاة؟

- أليست عندك أنت أية فكرة عن ذلك يا سيد ويمان؟

- فكرة مرتجلة. لنقل إنها مؤلفتنا صاحبة الإنتاج الغزير، «الخطر الأرجواني». هل رأيت زيها الأرجواني الفخم؟ ربما كانت قد فقدت صوابها قليلاً وفكرت كيف سيكون البحث عن الجريمة أفضل وأكثر متعة لو وُجدت جثة حقيقية؟ ما رأيك في هذا؟

- أهذا رأي جاد يا سيد ويمان؟

- إنه الاحتمال الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه.

- بقي شيء آخر أريد أن أسألك عنه يا سيد ويمان. هل رأيت الليدي ستبس عصر هذا اليوم؟

- رأيتها قطعاً. مُنذا تفوته رؤيتها وهي تلبس كأنها عارضة أزياء عند كريستيان ديور؟

- متى رأيتها آخر مرة؟

- آخر مرة؟ لا أدري. كانت تقف وِقفةً للفت الأنظار على المرجة في الساعة الثالثة والنصف تقريباً، أو الرابعة إلا ربعاً.

- ولم ترها بعد ذلك؟

- لا. لماذا؟

- تساءلت فقط؛ لأن أحداً لا يبدو أنه رآها بعد الساعة الرابعة. لقد... لقد اختفت الليدي ستبس يا سيد ويمان.

- اختفت! هاتي؟

- أيدهشك هذا؟

- نعم، إنه يدهشني إلى حدٍ ما. ترى ما الذي تنوي فعله؟

- هل تعرف الليدي ستبس جيداً يا سيد ويمان؟

- لم ألتقِها إلا عندما جئتُ إلى هنا قبل أربعة أيام أو خمسة.

- هل كوّنتَ رأياً عنها؟

قال ويمان ببرود: أظنها تعرف أين تكمن مصالحها أكثر مما يعرفه الكثيرون غيرها. شابة متأنقة وتعرف كيف تستفيد من ذلك على الوجه الأمثل.

- ولكنها ليست بتلك القوة من الناحية العقلية، أهذا صحيح؟

- هذا يعتمد على ما تعنيه بالناحية العقلية. ما كنتُ لأصفها بالمثقفة المفكرة، ولكن إن كنت تظن أن في عقلها شيئاً فأنت مخطئ.

ظهرت نبرة من المرارة في صوته وهو يقول: أظن أنها واعية ذهنياً تمام الوعي، لا يكاد يوجد أحد أوعى منها.

ارتفع حاجبا المتفش دهشة وقال: فكرتك تختلف عن الفكرة السائدة.

- إنها تحب أن تلعب دور المغفلة البليدة لسبب في نفسها. لا أعلم لماذا؟ وكما قلت من قبل فإنها برأيي امرأة واعية جداً.

أمعن المفتش النظر فيه لحظة ثم قال: ألا تستطيع أن تعطينا أوقاتاً وأمكنة أكثر دقة بين الوقتين اللذين ذكرتهما لك؟

قال ويمان باضطراب: أنا آسف! أخشى أنني لا أستطيع ذلك؛ ذاكرتي تعِسة ولا تنفع في مسألة الوقت أبداً. هل انتهيت مني؟

عندما أومأ المفتش بالإيجاب غادر ويمان الغرفة مسرعاً. قال المفتش كمن يوجه نصف كلامه لنفسه ونصفه لهوسكينز: وأنا أود أن أعرف ما الذي كان بينه وبين الليدي؟ إما أنه حاول التقرب منها فرفضته، وإما أن مشاجرة من نوع ما قد جرت بينهما. هوسكينز، ما هي الفكرة العامة التي تدور في هذه المنطقة حول السير جورج وزوجته؟

- أنها معتوهة!

- أعرف أن هذا رأيك، ولكن أهذه النظرة مقبولة عند الناس؟

- أظن ذلك.

- وماذا عن السير جورج؟ هل هو محبوب؟

- نعم، إنه محبوب. وهو ذو روح رياضية ويعرف أشياء في الفلاحة، وقد فعلت المرأة العجوز أشياء كثيرة لمساعدته.

- أي امرأة عجوز؟

- السيدة فوليات التي تعيش في البيت الصغير عند البوابة.

- آه، طبعاً. وقد كانت عائلة فوليات تملك هذا المكان، أليس كذلك؟

- بلى، كما أن الفضل يعود للسيدة العجوز في القَبول الجيد الذي لقيه السير جورج والليدي ستبس هنا؛ فهي التي أدخلتهما بيوت أكابر القوم وعرفتهما بهم.

- هل تظن أنها أخذت أجراً مقابل ذلك؟

- آه، لا، ليست السيدة فوليات مَن يفعل ذلك.

بدا هوسكينز مصدوماً بهذه الفكرة، ثم قال: فهمتُ أنها كانت تعرف الليدي ستبس قبل أن تتزوج، وهي التي حثّت السير جورج على شراء هذا البيت.

- أريد أن أتحدث مع السيدة فوليات.

- آه، إنها عجوز ذكية، وإن كان شيء يجري فهي التي تعرفه.

- لا بد أن أتحدث إليها. ترى أين هي الآن.

* * *

الفصل الحادي عشر

كانت السيدة فوليات في تلك اللحظة تتحدث مع هيركيول بوارو في غرفة الاستقبال الكبيرة. وجدها هناك تجلس بارتياح على كرسي في زاوية الغرفة، وقد جفلت مرتبكة حين دخل ثم تمتمت وهي تجلس ثانية: آه، هذا أنت يا سيد بوارو.

- عفواً يا سيدتي، لقد أزعجتك.

- لا، لا؛ أنت لا تزعجني. أنا أرتاح فقط، هذا كل ما في الأمر. لم أعد صغيرة كما كنت. الصدمة كانت كبيرة جداً عليّ.

- أفهم ذلك، أفهم ذلك حقاً.

كانت السيدة فوليات تحدق في السقف وهي تمسك منديلاً بيدها الصغيرة. قالت بصوت يشوبه الانفعال: لا أكاد أستطيع التفكير في هذا الأمر. تلك الفتاة المسكينة. تلك الفتاة المسكينة حقاً.

- أعرف، أعرف.

- إنها صغيرة جداً، في أول حياتها... لا أكاد أستطيع التفكير في هذا الأمر.

نظر بوارو إليها باستغراب وأحسّ أنها بدت أكبر بعشر سنوات عما كانت عليه في وقت مبكر من عصر هذا اليوم عندما رآها مضيفة لطيفة ترحب بضيوفها. أما الآن فإن وجهها يبدو متجعداً منهكاً واضح الأخاديد. قال لها: لقد قلتِ لي أمس فقط يا سيدتي إنه عالم شرير.

بدت وكأنها قد جفلت ثم قالت: هل قلت ذلك؟ هذا صحيح. آه، نعم، لقد بدأت الآن فقط أعرف كم هو صحيح. ثم خفضت صوتها وأضافت: ولكني ما ظننت أبداً أن شيئاً كهذا قد يحدث.

نظر إليها مرة أخرى باستغراب وقال: إذن ما الذي ظننتِ أنه سيحدث؟ شيء ما؟

- لا، لا؛ لم أقصد ذلك.

أصر بوارو قائلاً: لكنك كنت تتوقعين حدوث شيء، شيء خارج عن المألوف.

- لقد أخطأت فهمي يا سيد بوارو. كنت أقصد فقط أن هذا آخر شيء يمكن توقعه وسط مهرجان كهذا.

- والليدي ستبس تحدثت هذا الصباح عن الشر أيضاً.

- هاتي فعلت ذلك؟ آه! لا تتحدث عنها أمامي، لا تتحدث عنها؛ لا أريد التفكير في أمرها. وسكتت قليلاً ثم قالت: ماذا قالت... عن الشر؟

- كانت تتكلم عن ابن عمها، إتيان دي سوزا. قالت إنه كان شريراً وإنه رجل سيء، كما ذكرت أنها تخاف منهُ.

راقبها، ولكنها اكتفت بهز رأسها بارتياب وقالت: إتيان دي سوزا؟ من هو هذا الرجل؟

- آه، بالطبع، أنت لم تكوني حاضرة على الإفطار. لقد نسيتُ هذا يا سيدتي. الليدي ستبس تلقّت رسالة من ابن عمها هذا الذي لم تره منذ كانت فتاة في الخامسة عشرة من عمرها، وأخبرها أنه ينوي زيارتها اليوم، هذا المساء.

- وهل جاء؟

- نعم، وصل هنا في الساعة الرابعة والنصف تقريباً.

- آه، هل تقصد ذاك الفتى الوسيم الأسمر الذي جاء من معبر النهر؟ لقد تساءلت وقتها عن هويته؟

- نعم يا سيدتي، كان ذلك هو السيد دي سوزا.

قالت السيدة فوليات بقوة: لو كنت مكانك ما التفتّ إلى ما تقوله هاتي.

احمرّ وجهها عندما نظر بوارو إليها دَهِشاً وواصلت كلامها: إنها كالطفلة. أعني أنها تستخدم عبارات كعبارات الأطفال: شرير، وطيب. ليس عندها بين ذلك درجات وسط. ما كنت لألقي بالاً لما قالته عن هذا الرجل إتيان دي سوزا.

مرة أخرى تعجب بوارو وقال ببطء: أنت تعرفين الليدي ستَبس معرفة جيدة، أليس كذلك يا سيدة فوليات؟

- أعرفها كأفضل ما يعرفها أحد، بل ربما كنت أعرفها أكثر مما يعرفها زوجها نفسه. وماذا إن كنتُ أعرفها؟

- كيف هي حقاً يا سيدتي؟

- هذا سؤال غريب جداً يا سيد بوارو.

- هل تعرفين يا سيدتي بأن الليدي ستَبس لم يُعثر لها على أثر؟

ومرة أخرى أدهشه جوابها؛ إذ لم تُبدِ اهتماماً أو دهشة. قالت: لقد هربت، أليس كذلك؟ فهمت.

- أيبدو لك ذلك أمراً طبيعياً تماماً؟

- طبيعياً؟ لا أدري. هاتي امرأة لا يمكن تفسير تصرفاتها.

- هل تظنين أنها هربت لأن لها ضميراً يثقله الذنب؟

- ماذا تقصد يا سيد بوارو؟

- كان ابن عمها يتحدث عنها عصر اليوم، وذكر عَرَضاً أنها كانت دائماً ذات قدرات عقلية أقل من الطبيعي. ولعلك تعرفين يا سيدتي أن هؤلاء الناس لا يكونون دوماً مسؤولين عن تصرفاتهم.

- ما الذي تحاول قوله يا سيد بوارو؟

- مثل هؤلاء الناس يكونون ساذجين جداً كما تقولين... مثل الأطفال، وفي نوبة مفاجئة من الغضب قد يصل بهم الأمر إلى القتل.

التفتت إليه السيدة فوليات بغضب مفاجئ وقالت: هاتي لم تكن

من هذا النوع أبداً! لن أسمح لك أن تتحدث عنها بمثل ذلك. كانت فتاة لطيفة عطوفة ولو كانت بسيطة بعض الشيء من الناحية العقلية. لم تكن هاتي لتقتل أحداً أبداً.

واجهته وهي تتنفس بصعوبة وأمارات السخط ما زالت بادية عليها. وتعجب بوارو، تعجب كثيراً.

* * *

اقتحم الشرطي هوسكينز هذا المشهد وقال بلهجة يشوبها الاعتذار: كنت أبحث عنك يا سيدتي.

عادت السيدة فوليات إلى أسلوبها الهادئ مرة أخرى لتكون سيدة بيت ناسي وقالت: مساء الخير يا هوسكينز، خيراً، ما الأمر؟

- المفتش يبلغك تحياته، وسيكون مسروراً لو تحدث إليك قليلاً... إذا شعرتِ أنك مستعدة لذلك.

أسرع هوسكينز ليضيف عبارته الأخيرة هذه بعد أن لاحظ أثر الصدمة عليها كما لاحظه بوارو. نهضت فوليات على قدميها قائلة: "أنا مستعدة لذلك بالتأكيد". ثم تبعت هوسكينز خارج الغرفة. وبعد أن كان بوارو قد نهض احتراماً عاد فجلس مرة أخرى وحدق إلى السقف متجهّم الوجه حائراً.

نهض المفتش بلاند عندما دخلت السيدة فوليات، وأمسك الشرطي بكرسي لتجلس عليه. قال بلاند: أنا آسف لإزعاجك يا سيدة

فوليات، ولكني أخمن أنك تعرفين كل الناس في المنطقة، ولعلك تستطيعين مساعدتنا.

ابتسمت السيدة فوليات ابتسامة باهتة وقالت: أظن أني أعرف كل من في هذه المنطقة كأفضل ما تكون المعرفة. ما الذي تريد معرفته أيها المفتش؟

- هل تعرفين عائلة تاكر؟ العائلة والفتاة؟

- نعم، بالطبع؛ فقد كانوا دوماً مستأجرين عندنا. السيدة تاكر كانت أصغر واحدة في عائلتها الكبيرة، وكان أكبر إخوتها كبير البستانيين عندنا. وقد تزوجت ألفريد تاكر، وهو عامل مزرعة. رجل غبي، لكنه لطيف جداً. السيدة تاكر امرأة سليطة بعض الشيء، وهي ربة بيت جيدة. بيتها نظيف جداً، ولكنها لا تسمح لزوجها مثلاً بالدخول أبعد من حجرة الغسيل إن كان حذاؤه موحلاً... مثل هذه الممارسات... كما أنها تضيّق على أبنائها أيضاً. معظمهم قد تزوجوا الآن واستقلوا بأعمالهم، وبقيت هذه الطفلة المسكينة مارلين وثلاثة أطفال صغار، ولدان وفتاة ما زالت في المدرسة.

- والآن بما أنك تعرفين العائلة جيداً يا سيدة فوليات، هل تستطيعين التفكير بأي سبب يدعو لقتل مارلين هذا اليوم؟

- لا، لا أستطيع في الحقيقة. إنه أمر لا يُصدَّق أبداً إن كنتَ تفهم قصدي أيها المفتش. لم يكن لها صديق أو شيء من هذا القبيل، أو أنني -على الأقل- لم أسمع عنها ذلك.

- وماذا عن المشاركين في مسابقة البحث عن القاتل هذه، أيمكنك أن تخبريني شيئاً عنهم؟

- حسناً، السيدة أوليفر لم ألتقِ بها من قبل. إنها تختلف كثيراً عن فكرتي حول كُتّاب روايات الجرائم، والمسكينة منزعجة جداً مما حدث، وهذا أمر طبيعي.

- وماذا عن المساهمين الآخرين، الكابتن ووربيرتن على سبيل المثال؟

- لا أرى أي سبب يدعوه لقتل مارلين تاكر إن كان هذا ما تسأل عنه. أنا لا أحبه كثيراً؛ فهو من النوع الذي أسميه الرجل الثعلب، ولكني أظن أن المرء لا بد أن يكون بارعاً بالحيل السياسية إذا قُدِّر له أن يكون عميلاً سياسياً. إنه نشيط بالتأكيد، وقد عمل بجهد كبير للتحضير لهذا المهرجان، ولا أحسب أنه كان بوسعه على أية حال أن يقتل الفتاة لأنه كان في المرجة طوال فترة العصر.

أومأ المفتش برأسه وقال: وعائلة ليغ، ماذا تعرفين عنهما؟

- يبدو أنهما زوجان لطيفان جداً. الزوج يميل لأن يكون متقلب المزاج؛ لا أعرف كثيراً عنه. أما الزوجة فكانت من عائلة كارستيرز قبل الزواج، وأعرف بعضاً من أقربائها جيداً. وقد استأجر الزوجان البيت الصغير المسمى «ميل» لمدة شهرين، وآمل أن يكونا قد استمتعا بعطلتهما هنا؛ فقد نمت بيننا جميعاً صداقة.

- علمتُ أنها سيدة جذابة.

- آه، نعم، جذابة جداً.

- أتظنين أن السير جورج شعر بهذه الجاذبية في أي وقت من الأوقات؟

بدت السيدة فوليات مدهوشة بعض الشيء وقالت: آه، لا، أنا متأكدة من أن شيئاً من هذا لم يحدث. إن السير جورج منهمك حقاً في عمله وموﻟﻊ جداً بزوجته، وهو ليس ممن يجرون خلف النساء أبداً.

- ألم يكن بين الليدي ستبس والسيد ليغ شيء برأيك؟

مرة أخرى هزت السيدة فوليات رأسها بالنفي وقالت: آه، كلا بالتأكيد.

ألحّ عليها المفتش: ألا تعلمين بوجود أي مشكلات بين السير جورج وزوجته؟

- أنا متأكدة من عدم وجود مشكلات، ولو كان بينهما شيء من ذلك لعرفت.

- إذن فإن هروب الليدي ستبس لم يكن بسبب خلاف مع زوجها؟

قالت السيدة فوليات: آه، كلا. ثم أضافت دون اهتمام: لقد فهمت أن تلك السخيفة لم تكن تريد لقاء ابن عمها. يبدو أنه خوف طفولي ما، لذلك هربت كما يهرب الأطفال.

- أهذا رأيك: لا شيء أكثر من هذا؟

قالت: لا شيء أكثر. أظن أنها ستظهر مرة أخرى في وقت قريب جداً وهي تشعر بالخجل من نفسها.

ثم أضافت دون مبالاة: بالمناسبة، ماذا حل بابن عمها هذا؟ أما زال هنا في البيت؟

- بلغني أنه عاد إلى يخته.

- ويخته هذا في هيلماوث، أليس كذلك؟

- بلى، في هيلماوث.

- فهمت. لقد كان مؤسفاً أن تتصرف هاتي تصرفاً طفولياً كهذا، ومع ذلك فإن كان ينوي الإقامة هنا مدة يوم أو نحو ذلك لكان بإمكاننا أن نقنعها أن تتصرف بطريقة لائقة.

أحسّ المفتش أن قولها هذا كان سؤالاً، ولكنه لم يُجب عنه، بل قال: لعلك تظنين أن هذا كله لا صلة له بالموضوع، لكنك تفهمين يا سيدة فوليات أن علينا أن ندرس الكثير من الاحتمالات المتشعبة. الآنسة برويس مثلاً: ماذا تعرفين عنها؟

- إنها سكرتيرة ممتازة، بل أكثر من سكرتيرة؛ إنها تقوم عملياً بعمل مدبرة المنزل. لا أعرف ماذا كانوا سيفعلون من غيرها؟

- أكانت سكرتيرةً للسير جورج قبل أن يتزوج؟

- ربما، أنا لست متأكدة تماماً؛ فلم أعرفها إلاّ عندما جاءت هنا معهما.

- إنها لا تحب الليدي ستبس كثيراً، أليس كذلك؟

- لا، لا أظنها تحبها. لا أحسب أن السكرتيرات يهتممن بزوجات مستخدميهن كثيراً، وقد يكون هذا أمراً طبيعياً.

- هل طلبتِ أنتِ أم الليدي ستبس من الآنسة برويس أخذ الكعك وعصير الفواكه إلى الفتاة في سقيفة القوارب؟

فوجئت السيدة فوليات قليلاً وقالت: أتذكّر الآنسة برويس وهي تجمع بعض الكعك وأشياء أخرى وتقول إنها ذاهبة لتأخذها لمارلين. لم أعرف أن أحداً قد طلب منها تحديداً فعل ذلك... ولم أطلب أنا ذلك بالتأكيد.

- حسناً، قلتِ إنك كنت في خيمة الشاي ابتداء من الساعة الرابعة. أظن أن السيدة ليغ كانت تتناول الشاي هي الأخرى في ذلك الوقت؟

- السيدة ليغ؟ لا، لا أظن ذلك. لا أذكر -على الأقل- أنني رأيتها هناك، بل إنني متأكدة تماماً في الواقع أنها لم تكن هناك. كان عدد كبير من الناس قد تدفّقوا من إحدى الحافلات القادمة من توركيه، وأذكر أنني كنت أنظر حولي في الخيمة وأفكر بأن هؤلاء زوار صيف دون شك، ولم أكد أميز بينهم أي وجه أعرفه. وأحسب أن السيدة ليغ جاءت إلى خيمة الشاي فيما بعد.

قال المفتش: حسناً، هذا لا يهم. ثم أضاف بهدوء: أظن أن هذا كل ما عندي. شكراً يا سيدة فوليات، كنتِ لطيفة جداً. لا يسعنا إلاّ أن نأمل بأن تعود الليدي ستبس قريباً.

- آمل ذلك أيضاً. إنه عمل طائش من تلك الطفلة العزيزة أن تسبب لنا كل هذا القلق.

كانت فوليات تتكلم بسرعة، ولكن الحيوية في صوتها لم تكن طبيعية تماماً. وأضافت قائلة: أنا متأكدة من أنها على أفضل ما يرام.

في تلك اللحظة فُتح الباب ودخلت شابة جذابة ذات شعر أحمر ووجه منمش وقالت: سمعت أنكَ كنت تسأل عني.

قالت فوليات: هذه هي السيدة ليغ يا حضرة المفتش. سالي، عزيزتي، لا أدري إن كنتِ قد سمعت بالأمر الفظيع الذي حدث؟

قالت السيدة ليغ: آه، نعم. إنه مروع!

ثم أطلقت زفرة إرهاق وجلست على الكرسي فيما غادرت السيدة فوليات الغرفة.

قالت السيدة ليغ: إني آسفة جداً على كل ما حدث. يبدو في الحقيقة أمراً لا يصدق. أخشى أنني لا أستطيع مساعدتك في شيء؛ فقد كنت كنت أقرأ الكف للناس طوال فترة العصر، ولذلك لم أر شيئاً مما كان يجري.

- أعرف هذا يا سيدة ليغ، ولكن علينا فقط أن نسأل كل واحد الأسئلة الروتينية نفسها. فمثلاً أين كنت بين الساعة الرابعة والربع والساعة الخامسة؟

- ذهبت وتناولت الشاي في الساعة الرابعة.

- في خيمة الشاي؟

- نعم.

- كانت مزدحمة جداً، أليس كذلك؟

- بلى، مزدحمة جداً.

- هل رأيت أحداً تعرفينه هناك؟

- نعم، بعض العجائز. ولكن لم أر أحداً يمكنني الحديث معه. يا إلهي كم كنت أتوق لذلك الشاي! كان ذلك في الساعة الرابعة كما قلت. ثم عدت إلى خيمة قراءة الكف في الرابعة والنصف وواصلت عملي، ولا يعلم إلاّ الله بالوعود التي كنت أغدقها على النساء في النهاية: أزواج أثرياء، ونجومية سينمائية في هوليود... وغير ذلك الكثير. إن مجرد تبشيرهن برحلات بحرية كان يجعل النساء المتشككات المتشائمات أليفات جداً.

- ما الذي حدث خلال نصف الساعة التي غبت فيها؟ أعني، لنفترض أن أناساً أرادوا قراءة الكف في ذلك الوقت؟

- علّقتُ خارج الخيمة لوحةً كتبت عليها: «سأعود الساعة الرابعة والنصف».

كتب المفتش ملاحظة في مفكرته ثم قال: متى كانت آخر مرة رأيتِ فيها الليدي ستبس؟

- هاتي؟ لا أعرف في الحقيقة. كانت قريبة جداً مني عندما خرجت من خيمة قراءة الكف لتناول الشاي، ولكني لم أتحدث

إليها. لا أذكر أنني رأيتها بعد ذلك. أخبرني أحدهم قبل قليل أنها مفقودة، أهذا صحيح؟

- نعم، إنه كذلك.

قالت سالي ليغ بشيء من الابتهاج: حسناً، إنها مضطربة قليلاً في عقلها. أظن أن وقوع جريمة قتل هنا قد أرعبها.

- شكراً يا سيدة ليغ.

انصرفت السيدة ليغ بسرعة والتقت -لدى خروجها- بهيركيول بوارو عند الباب.

* * *

نكلم المفتش وهو ينظر إلى السقف: تقول السيدة ليغ إنها كانت في خيمة الشاي بين الرابعة والرابعة والنصف، وتقول السيدة فوليات إنها كانت تساعد في تقديم الشاي في الخيمة بدءاً من الساعة الرابعة، وإن السيدة ليغ لم تكن بين الحضور.

سكت قليلاً ثم واصل كلامه: تقول الآنسة برويس إن الليدي ستبس طلبت منها أخذ صينية الكعك وعصير الفواكه لمارلين تاكر، ويقول مايكل ويمان إن من المستحيل تماماً أن تكون الليدي ستبس قد طلبت منها ذلك لأن هذا يتناقض تماماً مع طبيعتها.

قال بوارو: آه، أقوال متضاربة! نعم، ما أكثر ما يُواجَه المرء بمثل ذلك.

- وكم هو مزعج أيضاً أن يصنفها المرء ويصل إلى الصحيح

منها. أحياناً يكون لهذه الأقوال شيء من الأهمية، ولكن تسعة أعشارها غير ذي أهمية. حسناً، من الواضح أن علينا أن نقوم بالكثير من التنقيب والبحث.

- وما هو رأيك الآن يا عزيزي؟ ما هي آخر الأفكار؟

قال المفتش بجدية: أظن أن مارلين تاكر رأت شيئاً ما كان لها أن تراه، وبسبب ما رأته كان يجب أن تُقتل.

- لن أعارضك، ولكن المهم هو: ما الذي رأته؟

- ربما رأت جريمة قتل... أو رأت القاتل الذي ارتكبها.

- قتل؟ قتل مَنْ؟

- ماذا تعتقد أنت يا بوارو؟ هل الليدي ستبس حية أم ميتة؟

فكر بوارو بعض الوقت ثم أجاب: أظن يا صديقي أن الليدي ستبس ميتة. وسأقول لك لماذا أظن ذلك: لأن السيدة فوليات تظن أنها ميتة. نعم، فبغضِّ النظر عما تقوله السيدة فوليات الآن أو تدّعي أنها تراه إلاّ أنها تعرف كثيراً مما لا نعرفه.

* * *

الفصل الثاني عشر

نزل هيركيول بوارو إلى مائدة الإفطار صباح اليوم التالي ليجد الغرفة شبه خالية، فقد كانت السيدة أوليفر (التي ما زالت تعاني من صدمة حادث الأمس) تتناول إفطارها في السرير، أما مايكل ويمان فقد تناول كوباً من القهوة وخرج مبكراً. وحدهما السير جورج والآنسة المخلصة برويس كانا يجلسان على مائدة الإفطار. وكان السير جورج -بعدم قدرته على تناول الطعام- يعطي دليلاً لا شك فيه على حالته النفسية؛ إذ لم يكد يأكل شيئاً من الطبق الموضوع أمامه وأزاح جانباً الكومة الصغيرة من الرسائل التي قرّبتها برويس منه بعد فتحها. شرب القهوة وكأنه لا يعرف ماذا يفعل وقال بطريقة آلية: صباح الخير يا سيد بوارو.

ثم عاد إلى حالة الذهول، وكانت بعض الهمهمات تصدر عنه بين الحين والآخر: أمرٌ لا يُصدَّق أبداً... أين عساها تكون؟

قالت الآنسة برويس: ستُعقد جلسة التحقيق في مبنى الجمعية يوم الخميس. لقد اتصلوا ليخبرونا بذلك.

نظر رئيسها إليها وكأنه لم يفهم: تحقيق؟ آه، نعم، بالطبع.

بدا مذهولاً وغير مكترث، وبعدما رشف رشفة أو رشفتين من فنجان القهوة قال: لا يمكن فهم النساء! ما الذي تظن أنها تفعله؟

زمت الآنسة برويس شفتيها، ولاحظ بوارو بدقة أنها كانت في حالة من التوتر العصبي الشديد. قالت: سيأتي هوجسون لرؤيتك هذا الصباح ليتباحث معك بشأن التمديدات الكهربائية لسقف محالب الأبقار في المزرعة، ثم في الساعة الثانية عشرة...

قاطعها السير جورج: لا أستطيع رؤية أحد؛ أجّلي كل مواعيدهم. كيف -بالله عليكِ- تظنين أن رجلاً يمكن أن يتابع أعماله وقد ذهب القلق على زوجته بنصف عقله؟

- الأمر لك يا سير جورج.

قالت ذلك بلهجة محام يقول للقاضي: «كما ترون معاليكم»، ولكن استياءها كان واضحاً.

- لا يعرف المرء أبداً ما الذي يصيب عقول النساء ولا الحماقات التي قد يُقدمن عليها. هل توافقني الرأي سيد بوارو؟

قال بوارو وهو يرفع حاجبيه ويديه بحماسة شديدة: النساء؟ لا يمكن فهمهن!

عبّرت الآنسة برويس عن انزعاجها بزفرة، فيما قال السير جورج: لقد بدت طبيعية، وكانت مسرورة جداً بخاتمها الجديد، ولبست أفضل ما عندها لكي تستمتع بالمهرجان. كل شيء كان طبيعياً كالعادة، كما أننا لم نتجادل ولم نتشاجر... وترحل هكذا دون كلمة واحدة!

بدأت الآنسة بروبس القول: بشأن تلك الرسائل يا سير جورج...

قال: تباً لتلك الرسائل! ثم أزاح فنجان قهوته جانباً، وأخذ الرسائل المكومة قرب طبقه وكاد يرميها عليها رمياً قائلاً: ردّي عليها كما تشائين، لا أريد إزعاجاً.

ثم واصل كلامه بنبرة مجروحة وكأنه يحدث نفسه: لا يبدو أنني أستطيع فعل أي شيء. حتى إنني لا أعرف إن كان ذلك الشرطي ماهراً، بصوته اللطيف وسمته الهادئ.

قالت الآنسة بروبس: أعتقد أن رجال الشرطة أكفاء تماماً، ولديهم وسائل عديدة للبحث عن المفقودين.

- إنهم يقضون أحياناً أياماً عديدة للعثور على طفل بائس هرب واختبأ في أكوام التبن.

- لا أظن الليدي ستبس مختبئة بين أكوام التبن يا سير جورج.

كرر الزوج البائس قائلاً: لو أستطيع فقط أن أفعل شيئاً! أظن أنني أستطيع نشر إعلان في الصحف. سجّلي ذلك يا أماندا.

سكت وهو يفكر ثم قال: «هاتي، أرجوك أن تعودي إلى البيت. إنني شديد القلق عليكِ. جورج». انشريها في جميع الصحف.

قالت بروبس بطريقة لاذعة: الليدي ستبس لا تقرأ الصحف كثيراً يا سير جورج. إنها لا تهتم أبداً بالأوضاع الحالية أو بما يجري في هذا العالم.

ثم أضافت بشيء من الخبث دون أن يكون السير جورج في مزاج يلاحظ فيه خبثها: يمكنك طبعاً وضع هذا الإعلان في مجلة فوغ للأزياء، فقد يلفت هذا انتباهها.

- انشريه أينما شئتِ، ولكن ابدئي العمل.

نهض ومشى نحو الباب. توقف ويده على مقبض الباب، ثم عاد بضع خطوات وتكلم مع بوارو مباشرة: اسمعني يا بوارو، لا أحسبك تظنها ميتة، أليس كذلك؟

ثبت بوارو ناظريه على فنجان قهوته وهو يجيب: لا زال الوقت مبكراً جداً يا سير جورج على افتراض شيء من هذا القبيل فلا سبب حتى الآن يدعونا للتفكير بهذا الاحتمال.

قال السير جورج باكتئاب: أنت تظن إذن أنها ميتة. ثم أضاف متحدياً: حسناً، أنا لا أرى ذلك! أنا أقول إنها على ما يرام.

أومأ برأسه عدة مرات بتحدٍ متزايد وخرج وهو يغلق الباب خلفه بعنف.

دهن بوارو قطعة توست بالزبدة وهو يتأمل، ففي الحالات التي كان يُشتبه فيها بقتل امرأة متزوجة كان بوارو يشك بالزوج دائماً وبصورة آلية (تماماً كما كان يشك بالزوجة عند مقتل الزوج). ولكنه في هذه القضية لا يشك في قتل السير جورج لزوجته الليدي ستبس؛ فمن ملاحظته القصيرة لهما كان مقتنعاً تماماً أن السير جورج كان محباً مخلصاً لزوجته، ثم إن السير جورج -حسب ذاكرة بوارو التي لا تخونه- كان موجوداً فوق المرجة طوال فترة العصر إلى أن غادر

هو نفسه مع السيدة أوليفر ليكتشفا الجثة، وكان فوق المرجة عندما عادا بالخبر. كلا، إن السير جورج ليس هو المسؤول عن وفاة هاتي. هذا إن كانت ميتة بالفعل، فقد حدّث بوارو نفسه قائلاً إنه لا يرى حتى الآن سبباً للجزم بوفاتها. إن ما قاله للسير جورج قبل قليل كان صحيحاً تماماً، ولكن القناعة في ذهنه كانت راسخة. رأى أن النمط هو نمط جريمة قتل... جريمة قتل مزدوجة.

قاطعت الآنسة برويس تأملاته بكلام حاقد يكاد يشوبه البكاء: إن الرجال مغفلون، مغفلون تماماً! تراهم دهاة في كل شيء، ثم ما يلبثون أن يتزوجوا نساء لا يناسبنهم أبداً.

لقد كان بوارو مستعداً دوماً لترك الناس يتكلمون. فكلما ازداد عدد من يتكلمون معه وكلما ازداد حديثهم كلما كان ذلك أفضل؛ إذ دائماً توجد حبة من حنطة الحقيقة بين أكوام الشوفان. سألها: أتعتقدين أنه كان زواجاً غير موفق؟

- إنه كارثة، كارثة تماماً!

- أتعنين أنهما لم يكونا سعيدين معاً؟

- كان لها تأثير سيء جداً عليه في شتى المجالات.

- أجدُ هذا أمراً يثير الاهتمام. أي نوع من التأثير السيء؟

- جعلته يركض في كل اتجاه لتلبية نزواتها وإغراقها بالهدايا الثمينة، أخذت منه من الجواهر ما لا يمكن لامرأة أن تلبسه، بالإضافة إلى الفراء. لقد اشترت معطفين من فرو المِنْك ومعطفاً من

فرو الفقمة الروسي. أود لو أعرف ماذا تصنع امرأة بمعطفين اثنين من فرو المِنْك.

هز بوارو رأسه وقال: هذا ما لا أعرفه.

- خبيثة، مخادعة! دائماً تلعب دور المغفلة، لا سيّما عندما يكون الناس هنا. أظنها تفعل ذلك لأنها تظن أنه يحبها بهذه الطريقة!

- وهل كان يحبها بهذه الطريقة؟

قالت الآنسة برويس بصوت مرتعش وهي على حافة الانهيار: آه، يا للرجال! إنهم لا يقدّرون الكفاءة أو الإيثار أو الإخلاص أو أياً من هذه الصفات! كان بوسع السير جورج أن يصل إلى منزلة عالية مع زوجة ذكية قادرة.

- أية منزلة؟

- كان يستطيع أن يقوم بدور بارز في الشؤون المحلية، أو يترشح لعضوية البرلمان. إنه أقدر من ذلك المسكين، السيد ماسترتن. لا أعرف إن كنت سمعت السيد ماسترتن وهو يتحدث تحت قبة البرلمان. إنه أكثر ما يكون تلعثماً وضحالة، وما مكانته كلها إلا بفضل زوجته؛ فالسيدة ماسترتن هي القوة التي تقف خلفه. إن لديها الحافز والمبادرة والفطنة السياسية.

ارتعد بوارو في داخله لدى سماعه فكرة الزواج من السيدة ماسترتن، لكنه وافق فعلاً على صحة كلام الآنسة برويس وقال: نعم، إنها كما تقولين تماماً. ثم تمتم مع نفسه: "امرأة رهيبة"!

واصلت برويس حديثها: السير جورج لا يبدو طموحاً، بل كأنه مقتنع تماماً بالعيش هنا والتسكع في المنطقـة ولعب دور مالك الأراضي، والسفر إلى لندن في المناسبات فقط للاهتمام بأعماله هناك، ولكن بوسعه أن يجعل نفسه شيئاً أكبر من ذلك بإمكاناته. إنه في الحقيقة رجل نابهٌ يا سيد بوارو. إن تلك المرأة لم تفهمه أبداً؛ كانت تعتبره آلة تخرج منها معاطف الفراء والجواهر والملابس الثمينة. لو أنه تزوج بامرأة تقدر فعلاً قدراته.

ثم سكتت وصوتها يرتعش. ونظر بوارو إليها بعطف حقيقي. كانت برويس تعشق رئيسها؛ لقد أعطته حباً مخلصاً وولاء ربما لم يدركه أبداً، والمؤكد أنه ما كان ليهتم به. كانت أماندا برويس بالنسبة للسير جورج آلة فعّالة تخفف عن كاهله أعباء الحياة اليومية وتردّ على مكالماته الهاتفية وتكتب الرسائل وتوظف الخدم وتطلب الوجبات، وتجعل له الحياة عامة سهلة ميسورة. شك بوارو في احتمال أن يكون الرجل قد فكّر فيها مرة واحدة كامرأة، ورأى أن لهذا الأمر مخاطره. إذ أن بوسع النساء أن يرهقن أنفسهن عاطفياً، ويمكن أن يصلن إلى حدود الهوس المخيف دون أن يلاحظ ذلك الرجل الغافل الذي يكون هدف عواطفهن.

قالت الآنسة برويس دامعة العينين: إنها امرأة خبيثة وماكرة وذكية. تلك هي صفاتها.

- ألاحظ أنك تتكلمين عنها بصيغة الحاضر الحي وليس الماضي الميت.

قالت برويس بازدراء: ليست ميتة بالطبع. لقد هربت مع رجل، هذا ما فعلته وهذا هو نوعها.

قال بوارو: هذا ممكن، هذا ممكن دائماً. ثم أخذ قطعة أخرى من التوست وتفحص بتجهم طبق المربى الفارغ، ثم نظر إلى الطاولة ليرى إن كان هناك مزيد من المربى فلم يجد شيئاً، ولذا رضي بالزبدة.

قالت الآنسة برويس: إنه التفسير الوحيد، ولكنه لا يفكر بهذا الاحتمال بالطبع!

سألها بوارو بحذر: هل كانت لها... مغامرات مع الرجال؟

- آه، لقد كانت ذكية جداً.

- تقصدين أنك لم تلاحظي شيئاً من ذلك؟

- كانت تحرص على ألاّ ألاحظ ذلك.

- ولكنك تظنين أنه كانت هناك... ماذا أسميها؟ علاقات سرية؟

- لقد بذلتْ جهدها للاحتيال على مايكل ويمان. أخذته ليرى حدائق الكاميليا في مثل هذا الوقت من السنة! متظاهرة أنها مهتمة كثيراً بصالة التنس.

- ولكن هذا هو سبب وجوده هنا، وقد فهمت أن السير جورج يبني صالة التنس كي يُسعد زوجته أساساً.

- إنها لا تُحسن لعب التنس، ولا تحسن أية لعبة أخرى. تريد

فقط مكاناً جميلاً تجلس فيه، بينما يركض الآخرون ويتعبون. نعم، لقد بذلت جهدها لتحتال على مايكل ويمان، وربما كان بوسعها أن تحتال عليه لو لم تكن لديه غزالة أخرى تشغله.

قال بوارو وهو يأخذ نتفة صغيرة تبقّت من المربى ويضعها على طرف خبزة التوست ويقضم منها متردداً: آه، إن لدى السيد ويمان غزالة أخرى تشغله، أليس كذلك؟

- إن السيدة ليغ هي التي أوصت السير جورج باستخدامه. كانت تعرفه قبل أن تتزوج. كان ذلك في تشيلسي كما فهمت، حيث كانت تمارس الرسم.

قال بوارو بحذر: تبدو شابة شديدة الجاذبية والذكاء.

- آه، نعم، إنها ذكية جداً. لقد تلقت تعليماً جامعياً، وكان بوسعها أن تبني لنفسها مستقبلاً مهنياً لو لم تتزوج.

- هل مضى على زواجها فترة طويلة؟

- ثلاث سنوات تقريباً كما أظن. ولا أحسب أن الزواج قد نجح كثيراً.

- هل يوجد... عدم تجانس؟

- إنه شاب غريب الأطوار متقلب المزاج؛ يتجول وحده كثيراً، وكنت أسمعه أحياناً يخاطبها وهو في حال شديدة من الغضب.

- نعم، ولكن الخصومات والمصالحات جزء من الحياة الزوجية، ودونها ربما تكون الحياة رتيبة.

- لقد قضت وقتاً طويلاً مع مايكل ويمان منذ أن جاء إلى هنا. أظن أنه كان يحبها قبل أن تتزوج أليك ليغ، ولكني أحسب أن علاقتها به الآن لا تعدو أن تكون مغازلة من جانبها.

- ولكن السيد ليغ قد لا يُسرّ بذلك؟

- لا يستطيع المرء الجزم بشيء فيما يخصه، فهو غامض جداً. ولكني أظنه أصبح مؤخراً أكثر مزاجية من المعتاد.

- هل هو معجب بالليدي ستبس مثلاً؟

- كانت تظن أنه معجب بها، فهي تظن أن كل ما عليها هو أن تشير بإصبعها لأي رجل حتى يقع في حبها!

- على أية حال لو أنها هربت مع رجل كما تقولين فليس هو السيد ويمان، لأن ويمان ما زال هنا!

- لا أشك أنه رجل كانت تلتقي به خلسة. إنها تنسلّ خارج البيت أحياناً كثيرة بهدوء وتذهب إلى الغابة وحدها. كانت في الخارج الليلة قبل الماضية، فقد تثاءبت وزعمت أنها ستصعد لتنام. ثم رأيتُها بعد أقل من نصف ساعة تقريباً تنسلّ خارجة من الباب الجانبي وعلى رأسها وشاح.

نظر بوارو إلى المرأة أمامه متأملاً. تساءل إن كان يمكنه أن يثق بأقوال الآنسة برويس في الليدي ستبس أم أن هذا مجرد تفكير مبني كلياً على التمني. كان متأكداً أن السيدة فوليات لا تشاطر الآنسة برويس آراءها، والسيدة فوليات تعرف هاتي أكثر مما تعرفها برويس. لو أن الليدي ستبس قد هربت مع عشيق فمن الواضح أن

هذا سيلائم مصالح الآنسة برويس تماماً، فعندها ستبقى هي لتواسي الزوج الحزين ولترتب له أمور الطلاق باقتدار. ولكن ليس من شأن هذه الأفكار أن تجعل الأمر صحيحاً أو حتى محتملاً. شعر بوارو أن هاتي -لو صح أنها هربت مع عشيق- قد اختارت وقتاً غريباً لتفعل ذلك. على أنه لم يكن ليعتقد أن شيئاً من ذلك قد حصل أصلاً!

نشقت الآنسة برويس وجمعت الرسائل المختلفة المبعثرة وقالت: إن كان السير جورج يريد حقاً نشر هذه الإعلانات فالأفضل أن أتولى أمرها. هذا هراء ومضيعة للوقت.

وعندما فُتح الباب ودخلت السيدة ماسترتن قالت: آه، صباح الخير يا سيدة ماسترتن.

- سمعت أن التحقيق قد تحدد يوم الخميس. صباح الخير يا سيد بوارو.

توقفت الآنسة برويس ويدها ملأى بالرسائل وسألت: هل من شيء أفعله لك يا سيدة ماسترتن؟

- لا، شكراً يا برويس. أظن أن لديك كثيراً من المشاغل هذا الصباح، لكني أردت أن أشكرك على كل هذا العمل الذي أنجزتِهِ أمس. أنت بارعة في التنظيم وعاملة مجتهدة. نحن جميعاً شاكرون لك.

- شكراً يا سيدة ماسترتن.

- لا أريد تأخيرك. سوف أجلس وأتحدث قليلاً مع السيد بوارو.

قال بوارو: مرحباً يا سيدتي.

ثم نهض وانحنى لها. وسحبت السيدة ماسترتن كرسياً وجلست عليه فيما غادرت الآنسة برويس الغرفة وقد استعادت مظهرها الكفء المعتاد.

قالت ماسترتن: إنها امرأة رائعة. لا أدري ماذا كانت عائلة ستبس ستفعل من غيرها؛ فإدارة البيوت عمل صعب هذه الأيام، وما كان بوسع هاتي المسكينة أداء هذا العمل. إن ما شهدناه -يا سيد بوارو- حدث غير عادي، وقد جئت لأسألك عن رأيك فيه.

- ما رأيك أنت يا سيدتي؟

- إنه أمر بغيض! لا بدّ أن لدينا هنا شخصية مريضة في هذه المنطقة، وأرجو ألاّ يكون أحداً من أبنائها. ربما كان شخصاً أُخرج من مستشفى الأمراض العقلية؛ فهم كثيراً ما يُخرجون المرضى قبل استكمال علاجهم هذه الأيام. إن الذي أقصده هو أن أحداً لا يمكن أن يرغب بقتل تلك الفتاة ابنة تاكر. لا يمكن أن يكون لهذا دافع إلا الشذوذ؟ وإن كان هذا الرجل -كائناً من كان- شاذاً فربما خنق أيضاً تلك الفتاة المسكينة هاتي ستبس. إنها امرأة مسكينة لا تتمتع بعقل راجح كما تعلم، ولو أنها قابلت رجلاً عاديّ المظهر وطلب منها أن تأتي وترى شيئاً ما في الغابة فلربما ذهبت معه كالحمل الوديع طائعة دون أن ترتاب فيه.

- أتعتقدين أن جثتها ستكون في مكان قريب ضمن أراضي البيت؟

- نعم يا سيد بوارو، أظن ذلك؛ سيجدونها عندما يبحثون في المنطقة. ولكن اعلم أن البحث في مئات الهكتارات من أراضي الغابات التابعة للمنزل سيكون بحثاً صعباً وطويلاً، وخاصة إن كانت الجثة قد أخفيت بين الشجيرات أو ألقيت في منحدر لتستقر بين الأشجار. سيحتاجون إلى الكلاب البوليسية.

نطقت السيدة ماسترتن تلك العبارة وهي تبدو كالكلب البوليسي تماماً، ثم قالت لبوارو: كلاب بوليسية! سوف أتصل برئيس الشرطة بنفسي وأخبره.

- من المحتمل جداً أنك على حق يا سيدتي.

وكان واضحاً أن عبارته تلك كانت الشيء الوحيد الذي يمكن أن يقال للسيدة ماسترتن.

- بل أنا على حق طبعاً، لكن عليّ أن أعترف بأن هذا الأمر يقلقني جداً، لأن هذا الشخص في مكان ما هنا. سأزور القرية عندما أغادر هذا البيت وأطلب من الأمهات أن يحرصن على بناتهن ولا يسمحن لهنّ بأن يخرجن وحدهن. ليس من المريح يا سيد بوارو أن يكون بيننا قاتل.

- نقطة صغيرة يا سيدتي. كيف يستطيع رجل غريب أن يدخل سقيفة القوارب، فذلك يحتاج إلى مفتاح؟

- آه، هذه النقطة؟ سهل جداً؛ هي التي خرجت بالطبع.

- خرجت من سقيفة القوارب؟

- أجل. أظنها سئمت الجلوس هناك كما تسأم الفتيات عادة.

ربما تجولت خارج السقيفة ونظرت حولها، والأرجح -في رأيي- أنها رأت فعلاً هاتي ستبس وهي تُقتل. سمعت عراكاً أو شيئاً فذهبت لترى الأمر، ثم كان طبيعياً أن يقتلها الرجل بعد أن تخلص من الليدي ستبس. من السهل عليه جداً أن يعيدها إلى سقيفة القوارب ثم يخرج ويغلق الباب وراءه؛ كان القفل من النوع الذي يكفي إطباق الباب حتى ينقفل.

أومأ بوارو برأسه بهدوء. لم يكن غرضه مجادلة ماسترتن أو توضيح الحقيقة المثيرة التي غفلت عنها تماماً وهي أن مارلين تاكر لو كانت قد قُتلت بعيداً عن سقيفة القوارب فلا بد أن قاتلها كان عارفاً بتفصيلات لعبة القتل هذه بحيث يعيدها إلى المكان نفسه وعلى الهيئة التي كان يجب أن تكون الضحية عليها. وبدل مجادلتها في ذلك قال بلطف: السير جورج واثق أن زوجته على قيد الحياة.

- هذا ما يقوله هو لأنه يريد تصديق ذلك، فقد كان يحبها كثيراً.

ثم أضافت على نحو غير متوقع: أنا معجبة بجورج ستبس رغم أصوله وخلفيته المدينية وكل هذه الأمور، فقد أصبح مقبولاً جداً في المقاطعة. إن أسوأ ما يمكن أن يقال فيه هو أن به شيئاً من النفاق الاجتماعي تجاه الطبقات الأعلى، ولكن النفاق الاجتماعي أمرغير ضار أبداً.

قال بوارو ساخراً بعض الشيء: لقد أصبح المال في هذه الأيام يا سيدتي يلقى من القبول الاجتماعي ما يلقاه كرم المحتد.

- أوافقك الرأي تماماً يا عزيزي. لا حاجة لأن يكون منافقاً

للطبقات العليا مقلداً لها... ما عليه إلاّ أن يشتري البيت ويبذر أمواله هنا وهناك حتى نهرع جميعاً لزيارته! ولكن الواقع أن الرجل محبوب، وليس بسبب ماله فقط. وبالطبع فإن للسيدة فوليات دوراً في ذلك؛ فقد رعتهما، وهي -لعلمك- تتمتع بنفوذ واسع في هذه المنطقة. فقد سكنت عائلة فوليات هنا منذ قرون.

تمتم بوارو قائلاً لنفسه: لقد كانت أسرة فوليات موجودة دوماً في ناسي!

تنهدت السيدة ماسترتن وقالت: أجل، أمر محزن؛ تكاليف ضحايا الحرب، والشباب الذين سقطوا في المعارك وضرائب التركات وغير ذلك. ثم إن أي شخص يأتي إلى البيت لا يستطيع الصرف على ترميمه وإدارته فيضطر لبيعه.

- ولكن السيدة فوليات -رغم فقدانها لمنزلها- ما زالت تعيش في أراضيه.

- نعم، كما أنها جعلت ذلك البيت الصغير عند البوابة جميلاً جداً. هل دخلتَه؟

- لا، لقد افترقنا عند بابه.

- لم يكن من شأن أي امرئ أن يرتضي العيش في بيت البواب التابع لبيته القديم وهو يرى غرباء يمتلكونه. ولكني -إنصافاً لإيمي فوليات- أقول إنني لا أظنها تشعر بمرارة حيال ذلك، بل إنها هي التي خططت للأمر كله في الواقع. ما من شك في أنها أشربت هاتي فكرة العيش هنا وجعلتها تُقنع جورج ستبس بأن يشتريه. وأظن أن

الأمر الذي لم يكن بوسع إيمي فوليات تحمله هو رؤية البيت فندقاً أو مؤسسة، أو أن تتقسم أراضيه لأغراض البناء.

نهضت واقفة وقالت: لا بد أن أذهب؛ فأنا امرأة كثيرة المشاغل.

- بالطبع، عليك أن تتحدثي إلى رئيس الشرطة عن الكلاب البوليسية.

ضحكت ماسترتن ضحكة عميقة مفاجئة وقالت: كنت أربيها في وقت من الأوقات، ويقول الناس إنني -شخصياً- أشبه الكلب البوليسي قليلاً!

فوجئ بوارو بهذا القول فتراجع قليلاً إلى الوراء، وكانت هي لمّاحة لتلك الحركة بحيث قالت له: وأنا أراهن على أنك كنت تفكر بذلك أيضاً يا سيد بوارو.

* * *

الفصل الثالث عشر

بعد مغادرة السيدة ماسترتن خرج بوارو يمشي خلال الغابة. لم تكن أعصابه كما كان ينبغي لها أن تكون وشعر برغبة لا تقاوَم في البحث خلف كل شجيرة وإمعان النظر في كل أجمة من الورود باعتبارها مكاناً محتملاً لإخفاء جثة. جاء أخيراً إلى مبنى المعبد فدخله وجلس على مقعد صخري فيه ليريح قدميه اللتين كانتا، كالعادة، داخل حذاء جلدي لامع ضيق.

كان بوسعه أن يرى من خلال الأشجار ومضات باهتة للنهر والضفاف المكسوّة بالأشجار في الجانب المقابل، ووجد نفسه يوافق الشاب المعماري على أن هذا ليس هو المكان المناسب لبناء أعجوبة معمارية من هذا النوع. يمكن -بالطبع- قطع الأشجار لتأمين فسحة خالية بينها للبناء، ولكن حتى في هذه الحالة لن يكون أمام المرء منظر مناسب. بينما كان بالإمكان، كما قال ويمان، إقامة المبنى على الضفة العشبية قرب البيت بحيث يكون ذا إطلالة جميلة عند النهر باتجاه هيلماوث. تغير تفكير بوارو فجأة: هيلماوث.. واليخت إسبرانس.. وإتيان دي سوزا. لا بد أن يتكامل الأمر كله ويرتبط في نمط ما، ولكنه لم يستطع تخيل طبيعة ذلك النمط. كانت مقاطع

مغرية من ذلك النمط تظهر هنا وهناك، ولكن الأمر لم يعدُ ذلك.

وقعت عينا بوارو على شيء يلتمع داخل شق صغير في قاعدة مبنى المعبد الإسمنتية فانحنى لالتقاطه ووضعه على راحة يده ونظر إليه وفي عقله إحساس غامض بأنه يعرفه. كان حلية على شكل طائرة صغيرة من الذهب، وفيما هو يتأملها بتجهم انتصبت صورة في مخيّلتهِ؛ صورة سوار، سوار من الذهب فيه تعاويذ تتدلى. رأى نفسه جالساً مرة أخرى في الخيمة وصوت مدام زليخة (أي سالي ليغ) تتحدث عن نساء سمراوات ورحلات عبر البحر وثروة واسعة ستأتي في رسالة قادمة. نعم، كانت تلبس سواراً تتدلى منه أجسام ذهبية صغيرة وكثيرة. إنها واحدة من تلك العادات الحديثة في التزيّن التي عادت لتكرر نفسها بعد أن كانت شائعة أيام شباب بوارو الأولى، وربما كان هذا هو ما جعلها تترك أثراً في نفسه. يُفترَض -إذن- أن السيدة ليغ قد جلست في وقت من الأوقات هنا في «الحماقة» وأن إحدى هذه التعاويذ سقطت من سوارها، ولعلها لم تلحظ سقوطها أصلاً. وربما كان ذلك عصر أمس.

فكر بوارو بتلك النقطة الأخيرة، ثم ما لبث أن سمع وقع خطوات في الخارج فرفع بصره بحدة ليرى خيالاً يأتي نحو واجهة المبنى ثم يتوقف وقد أجفلته رؤية بوارو. نظر بوارو بعين متفحصة إلى الفتى الأشقر النحيل الذي يلبس قميصاً عليه صور لتشكيلة واسعة من السلاحف. لم يكن القميص مما يمكن أن تخطئه العين، فقد لاحظه بوارو أمس عن قرب حين كان صاحبه يرمي ثمرات جوز الهند.

لاحظ أن الشاب كان مرتبكاً إلى حدٍّ لا يكاد يكون عادياً، وقد سارع إلى القول بلكنة أجنبية: أرجو عفوك، لم أعرف...

ابتسم بوارو له ابتسامة لطيفة لا تخلو من أثر للتأنيب وقال: أخشى أن تكون قد تجاوزت على هذه الأراضي.

- نعم، إني آسف!

- هل جئت من بيت الشباب؟

- نعم، نعم، اعتقدت أني ربما أستطيع الوصول إلى الرصيف من خلال الغابة من هذا الطريق.

قال بوارو بلطف: يتعين عليك أن تعود من حيث جئت، فما من طريق يتخلل الغابة.

قال الشاب مرة أخرى وهو يبتسم ابتسامة عريضة: أنا آسف، آسف جداً!

انحنى ثم دار عائداً. وخرج بوارو من «مبنى المعبد» (الحماقة) وعاد إلى الممر وهو يراقب انسحاب الشاب الذي التفت عندما وصل إلى نهاية الممر، وحين رأى بوارو يراقبه أسرع في خطاه واختفى في المنعطف.

قال بوارو في نفسه: حسناً، أيكون من رأيتُه قاتلاً؟

كان الشاب موجوداً في المهرجان في اليوم السابق بالتأكيد، وقد عبس حين اصطدم ببوارو. إذن فلا شك أنه يعرف بعدم وجود ممر من خلال الغابة يؤدي إلى معبر النهر، ولو كان حقاً يبحث عن

ممر إلى معبر النهر لما أخذ هذا الطريق قرب مبنى المعبد، بل كان من شأنه أن يستمر في الطريق السفلي قريباً من النهر. وفوق ذلك فقد وصل إلى المبنى وعليه سيماء رجل وصل إلى مكان لقاء، بحيث جفل كثيراً عندما وجد في مكان لقائه شخصاً آخر.

قال بوارو: إذن فالأمر هكذا، جاء هنا للقاء شخص، فمن هو الشخص الذي جاء لمقابلته؟ ثم أضاف استدراكاً: ولماذا؟

مشى مع الممر ونظر حيث ينعطف داخل الأشجار. لم يجد الآن أي أثر للشاب الذي يلبس قميص السلاحف، ولعله قدّر أن من الحكمة أن ينسحب بأقصى سرعة ممكنة. عاد بوارو أدراجه وهو يهز رأسه.

وصل بهدوء وهو مستغرق في تفكيره إلى جوار مبنى المعبد ووقف على العتبة لتأخذه المفاجأة. كانت سالي ليغ تجثو على ركبتيها ورأسها محنيّ إلى أسفل الشق في أساس البناء. قفزت وقد جفلت وقالت: آه، سيد بوارو! لقد أفزعتني؛ لم أسمعك وأنت قادم.

- أكنت تبحثين عن شيء يا سيدتي؟

- أنا؟ لا، ليس تماماً.

قال بوارو: ربما فقدتِ شيئاً أو أسقطت شيئاً، أو ربما...

ثم تبنّى موقفاً مشاكساً وقال: أو ربما كان ذلك يا سيدتي موعداً غرامياً. ولستُ -لسوء الحظ- الشخص الذي جئتِ تقابلينه، أليس كذلك؟

عادت لها رباطة جأشها وسألته: وهل يحدد أحدٌ موعداً غرامياً في الصباح؟

- أحياناً يضطر المرء لتحديد لقاء غرامي في الوقت الوحيد المتاح له؛ فالأزواج يغارون!

- أشك أن زوجي كذلك.

قالت تلك الكلمات بخفة لاهية، ولكن بوارو لمس وراءها نبرة المرارة. قالت: إنه منشغل تماماً بشؤونه الخاصة.

- جميع النساء يتذمرن من هذه الخصلة في أزواجهن، وخاصة لدى الأزواج الإنكليز.

- أنتم -معشرَ الأجانب- أكثر اعتناء بالنساء.

- نحن نعرف أن من الضروري أن نقول للمرأة إننا نحبها مرة واحدة في الأسبوع، والأفضل ثلاث مرات أو أربعاً، ونعرف أن من الحكمة إحضار بعض الورود إليها، والثناء عليها، وإخبارها أنها تبدو جميلة في ثوبها الجديد أو قبعتها الجديدة.

- أهذا ما تفعله أنت؟

- أنا لست متزوجاً يا سيدتي... للأسف!

- لا داعي للأسف على ذلك؛ أنا متأكدة أنك مسرور لأنك عازبٌ خالٍ من الهموم.

- لا، لا يا سيدتي. إن ما افتقدتُه في هذه الحياة لا يُعوَّض.

- أظن أن من الحماقة أن يتزوج المرء.

- أتشتاقين إلى الأيام التي كنت فيها ترسمين في مرسمك في تشيلسي؟

- يبدو أنك تعرف كل شيء عني يا سيد بوارو!

- أنا من أهل القيل والقال وأحب سماع كل شيء عن الناس. أأنت نادمة حقاً يا سيدتي؟

- لا أعرف.

جلست على المقعد نافذة الصبر، وجلس بوارو جانبها. رأى مرة أخرى الظاهرة التي بدأ يعتاد عليها؛ فهذه الفتاة الجذابة ذات الشعر الأحمر توشك أن تقول له أشياء لعلها ستفكر مرتين قبل أن تبوح بها لرجل إنكليزي. قالت: كنت أرجو -حين جئنا هنا لقضاء العطلة بعيداً عن كل شيء- أن تعود الأمور كما كانت من قبل، ولكنها لم تجرِ كذلك.

- حقاً؟

- نعم. إن أليك رجل كئيب المزاج و... آه! لا أعرف. إنه مستغرق في ذاته. لا أدري ما الذي أصابه؛ فهو عصبي جداً ودائم الانفعال. الناس يتصلون بالهاتف ويتركون له رسائل غريبة وهو لا يقول لي شيئاً، وهذا ما يجعلني مجنونة. إنه لا يقول لي شيئاً. ظننت في البداية أن في حياته امرأة أخرى، ولكني لا أظنها كذلك، لا...

كان في صوتها شيء من الشك الذي لاحظه بوارو سريعاً وسألها: هل استمتعت بالشاي مساء أمس يا سيدتي؟

- استمتعتُ بالشاي؟

عبستْ في وجهه وبدا كأن أفكارها عادت إليها من مكان بعيد، ثم قالت بسرعة: آه، نعم. لا تعلم كم كان الجلوس مضنياً في تلك الخيمة وأنا ملفّعة بكل تلك الأردية. كان ذلك خانقاً!

- ألم تكن خيمة الشاي خانقة بعض الشيء أيضاً؟

- آه، نعم، كانت خانقة. ولكنْ لا شيء مثل كوب من الشاي، أليس كذلك؟

- لقد كنتِ تبحثين عن شيء قبل قليل يا سيدتي، أليس كذلك؟ أيحتمل بأي شكل أن يكون ما تبحثين عنه هو هذا؟

ومدّ لها يده بالحلية الذهبية الصغيرة فأخذتها قائلة: آه، نعم. شكراً لك يا سيد بوارو. أين وجدتها؟

- كانت هنا على الأرض، في هذا الشق.

- لا بد أنها سقطت مني في وقت من الأوقات.

- أمس؟

- آه، لا، ليس أمس بل قبل ذلك.

- لكني أتذكّر بالتأكيد -يا سيدتي- أنني رأيت هذه الحلية ذاتها على معصمك وأنت تقرئين كفي يوم أمس.

ليس بوسع أحد أن يكذب متعمداً أحسن من هيركيول بوارو. كان يتكلم بثقة تامة، وأمام هذه الثقة خفضت سالي ليغ جفنيها وقالت: لا أتذكر في الحقيقة، فلم ألاحظ ضياعها إلاّ صباح اليوم.

قال بوارو بشهامة: يسعدني إذن أنني استطعت أن أعيدها لك.

كانت تقلّب الحلية الصغيرة بين أصابعها بعصبية، ثم نهضت قائلة: حسناً، شكراً يا سيد بوارو، شكراً لك.

كان نَفَسها يأتي متقطعاً وعيناها مرتبكتين، وانطلقت خارجة من «مبنى المعبد». أسند بوارو ظهره إلى المقعد وهز رأسه ببطء. قال في نفسه: لا، أنت لم تذهبي إلى خيمة الشاي عصر أمس. لم يكن الشاي هو سبب لهفتك الشديدة تلك على معرفة ما إذا كانت الساعة قد وصلت الرابعة، بل لقد جئتِ إلى هنا عصر أمس. هنا إلى هذا المبنى، عند منتصف الطريق إلى سقيفة القوارب. جئت هنا لمقابلة شخص ما.

سمع مرة أخرى وقع أقدام تقترب، خطوات سريعة عيل صبرها. قال بوارو وهو يبتسم استشرافاً لما سيأتي: وها هو يأتي الشخص الذي جاءت السيدة ليغ للقائه هنا.

لكنّ بوارو هتف بعد ذلك وهو يرى أليك ليغ يظهر عند زاوية المبنى: خطأ ثانٍ.

جفل أليك ليغ وقال: إيه! ما هذا؟

أوضح بوارو: لقد قلتُ إنني أخطأت مرة أخرى، وأنا لا أخطئ كثيراً؛ وهذا ما يغضبني. لستَ أنت من كنت أتوقع رؤيته.

ومن الذي كنت تتوقع رؤيته؟

أجابه بوارو على الفور: شاب، بل يكاد يكون صبياً، ويلبس أحد تلك القمصان التي تزدان برسومات السلاحف.

ولقد سُرّ بوارو من تأثير كلماته؛ فقد تقدم أليك ليغ خطوة إلى الأمام وقال بشيء من الارتباك: كيف تعرف؟ كيف... ماذا تقصد؟

- أنا من الذين كُشف عنهم الحجاب.

ثم أغمض بوارو عينيه، فتقدم أليك ليغ خطوتين أخريين. وأدرك بوارو أن مَن يقف أمامه رجل غاضب جداً.

- ما الذي تقصده بالله عليك؟

- أظن أن صديقك قد عاد إلى بيت الشباب. إن كنت تريد رؤيته فعليك أن تذهب إلى هناك لتجده.

دمدم أليك ليغ: هكذا إذن؟ ثم ارتمى على الطرف الآخر من المقعد الصخري وقال: هذا هو -إذن- سبب وجودك هنا؛ لم تكن المسألة مسألة «توزيع جوائز». كان عليّ أن أعرف ذلك.

ثم التفت إلى بوارو بوجه مضنى بائس وقال: أعرف كيف يمكن أن يبدو لك الأمر، أعرف كيف سيبدو لك الأمر كله. ولكنه ليس كما تظنه؛ إنني ضحية. حين يقع المرء في براثن هؤلاء الناس فليس من السهل عليه الخروج منها، وأنا أريد أن أخرج منها. تلك هي النقطة، أريد الخلاص منها. فالمرء يصبح يائساً. تشعر بأنك توشك أن تقوم بإجراءات يائسة، تشعر بأنك مثل فأر في مصيدة ولا تستطيع عمل

شيء. حسناً، ما فائدة الكلام! لعلك تعرف الآن ما تريد معرفته. لقد حصلت على الدليل الذي تريده.

نهض، وتعثر قليلاً كأنه لا يكاد يرى طريقه، ثم انطلق بقوة دون أن ينظر وراءه.

ظلّ هيركيول بوارو واقفاً بعينين جاحظتين وحاجبين مرتفعين، ثم تمتم قائلاً: كل هذا غريب جداً، غريب ومثير للاهتمام! أتراني حصلت فعلاً على الدليل الذي أحتاجه؟ دليل على ماذا؟ على جريمة القتل؟

* * *

الفصل الرابع عشر

جلس المفتش بلاند في مركز شرطة هيلماوث. وعلى الجانب المقابل من الطاولة جلس قائد الشرطة بولدوين، وهو رجل ضخم طيب المظهر. وعلى الطاولة -بين الرجلَيْن- وُضعت قبعة سوداء مبللة.

لكزها المفتش بلاند بإصبعه بشكل حذر وقال: هذه قبعتها دون شك. أنا متأكد من ذلك، وإن لم يكن باستطاعتي أن أقسم؛ إذ يبدو أنها كانت مولعة بهذا الشكل من القبعات. هذا ما أخبرتني به خادمتها، نعم، هذه هي. وهل أخرجتها من النهر؟ هذا يجعل الأمر يبدو كأنه قد حدث حسب الطريقة التي توقعناها.

قال بولدوين: ليس الأمر يقينياً بعد؛ إذ يمكن لأي امرئ أن يرمي قبعة في النهر.

- نعم. يمكن أن تُرمى في النهر من سقيفة القوارب أو من يخت.

- اليخت محاصر ومراقب تماماً. إن كانت السيدة موجودة فيه حية أو ميتة فهي ما تزال فيه.

- ألم يذهب اليوم إلى الشاطئ؟

- ليس بعد. لقد أمضى الوقت جالساً على مقعد خشبي على ظهر اليخت.

نظر المفتش بلاند إلى الساعة وقال: حان وقت صعودنا إلى اليخت.

- أتظن أنك ستجدها؟

- ما كنتُ لأعتمد على ذلك؛ لديّ إحساس بأنه شيطان ذكي.

وغرق في أفكاره لحظة وهو يلكز القبعة بإصبعه ثانية، ثم قال: ماذا عن الجثة... إن كانت توجد جثة. هل عندك أية أفكار بهذا الشأن؟

قال بولدوين: نعم. تحدثت مع أوترويت هذا الصباح، وهو أحد عناصر خفر السواحل السابقين وأنا أستشيره دائماً في أي شيء يتعلق بأمور البحار والأنهار. فيما يخص الوقت الذي يمكن لجثة الليدي أن تكون قد أُلقيت فيه في خليج هيلم (هذا إن كانت قد أُلقيت هناك أصلاً) فقد كان التيار في حالة جَزْر، وحيث أن القمر بدر في هذه الأيام فإن المدّ يأتي بسرعة، ويرى أوترويت أنها لا بدّ انجرفت إلى البحر وأخذها التيار ناحية ساحل كورنيش. لا يمكن الجزم بالمكان الذي ستستقر فيه الجثة ولا باحتمال استقرارها أصلاً؛ فلقد واجهنا هنا بعض حالات الغرق في الماضي ولم نستطع العثور على الجثث. ولكن من المحتمل أيضاً أن تظهر الجثة خلال هذه الأيام.

- إلّم تظهر فسيكون الأمر صعباً.

- هل أنت متأكد في قرارة نفسك أنها أُلقيت في النهر حقاً؟

قال المفتش بلاند متجهماً: لا أرى احتمالاً غير هذا؛ فلقد راجعنا كل الحافلات والقطارات. هذه المنطقة صغيرة مغلقة، وهي كانت تلبس ثياباً ملفتة للنظر، ولم تحمل أية ملابس أخرى معها، الأمر الذي يدفع المرء للقول إنها لم تغادر البيت أبداً. إما أن تكون جثتها في البحر أو تكون مخبأة في مكان ما في الأراضي التابعة للبيت.

ثم مضى قائلاً باكتئاب: إن ما أريده الآن هو الدافع، والجثة أيضاً بالطبع.

أضاف الجملة الأخيرة استدراكاً ثم قال: لا نستطيع التوصل إلى أي شيء حتى نعثر على الجثة.

- وماذا عن الفتاة الأخرى؟

- لعلها شاهدت الجريمة أثناء ارتكابها، أو أنها رأت شيئاً ما. سنصل إلى الحقائق في النهاية، لكن هذا لن يكون سهلاً.

رفع بولدوين بصره إلى الساعة المعلقة وقال: حان وقت الذهاب.

استقبل دي سوزا ضابطي الشرطة على ظهر اليخت إسبرانس بكل لباقته الساحرة وقدم لهما عصيراً رفضا تناوله، واستمر في التعبير عن اهتمامه اللطيف بأنشطتهما: هل أحرزتم تقدماً في التحقيق بشأن وفاة هذه الفتاة الصغيرة؟

أخبره المفتش بلاند: إننا نتقدم.

تولى قائد الشرطة الحديث وشرح بكل رقة الهدف من زيارتهما، فسأل دي سوزا: هل تريدان تفتيش الإسبرانس؟

لم يبدِ أي انزعاج، بل بدا وكأن الأمر يسليه. تابع قائلاً: ولكن لماذا؟ هل تظنون أنني أخفي القاتل، أم لعلكم تظنون أن القاتل هو أنا؟

- هذا ضروري يا سيد دي سوزا، وأنا متأكد أنك تقدر الموقف. هاك تفريضاً بالتفتيش.

رفع دي سوزا يديه وقال: أنا مهتم بالتعاون معكم، بل متلهف لذلك! اعتبروا ذلك أمراً يتم بين أصدقاء؛ أنتم على الرحب والسعة في البحث كما تشاؤون في مركبي. آه، ربما كنتم تظنون أنني أخفي ابنة عمي الليدي ستبس هنا؟ هل تظنون أنها هربت من زوجها والتجأت إلي؟ إذن فابحثوا أيها السادة كما تحبون.

أُجري التفتيش، وكان شاملاً، واستأذن ضابطا الشرطة السيد دي سوزا في الانصراف وهما يجاهدان لإخفاء غمهما.

- لم تجدا شيئاً، أليس كذلك؟ يا لها من خيبة أمل! ولكني أخبرتكما ذلك من قبل. ربما تريدان شراباً منعشاً الآن، أليس كذلك؟

صحبهما حيث يرسو قاربهما قرب اليخت وسألهما: وماذا

عني؛ هل أنا حر في المغادرة؟ لقد أصبح البقاء هنا مملاً قليلاً، والطقس جيد، فأحب كثيراً أن أكمل الطريق إلى بلايماوث.

- أرجو أن تتكرم علينا يا سيدي بالبقاء هنا من أجل التحقيق، وسيكون ذلك غداً؛ فربما أراد القاضي أن يسألك بعض الأشياء.

- بالتأكيد. أحب أن أقدّم كل ما أستطيع، ولكن بعد ذلك؟

قال قائد الشرطة بولدوين وقد تخشب وجهه: بعد ذلك يا سيدي ستكون حراً في المضي حيث تشاء.

كان آخر شيء شاهداه عندما تحرك الزورق مبتعداً عن اليخت هو وجه دي سوزا المبتسم ينظر إليهما من فوق اليخت.

* * *

كاد التحقيق يكون خالياً إلى حدٍّ مؤلم من أية إثارة. فباستثناء الدليل الطبي ودليل التعرف إلى الجثة لم يوجد شيء يُشبع فضول المشاهدين، ثم طُرح طلب لتأجيل التحقيق، وتمت الموافقة عليه. كانت الإجراءات -إجمالاً- رسمية تماماً.

ولكن ما تبع التحقيق لم يكن رسمياً إلى ذلك الحد؛ فقد قضى المفتش بلاند فترة العصر في رحلة على متن المركب البخاري المسمى ديفون بيل، وقد غادر المركب شاطئ بريكسويل في الساعة الثالثة تقريباً ودار حول رأسٍ داخل البحر وتابع طريقه بموازاة الساحل، ثم دخل مصب النهر في خليج هيلم، ومضى في طريقه في النهر. كان على ظهر المركب نحو مئتين وثلاثين شخصاً غير المفتش بلاند الذي

جلس على جانب الباخرة الأيمن يتفحص الشاطئ المكسوّ بالأشجار. دار المركب حول منعطف في النهر، وعبَرَ بجانب سقيفة القوارب المعزولة ذات القرميد الرمادي والتي تخص هوداون بارك. اختلس المفتش بلاند النظر إلى ساعته وكانت تشير إلى الرابعة والربع. كان المركب يقترب الآن من سقيفة القوارب التابعة لبيت ناسي والتي كانت تربض بعيدة بين الأشجار مع شرفتها والرصيف الصغير أسفل منها. لم يكن ثمة مؤشر على أن فيها أحداً، رغم أن المفتش بلاند كان يعلم علم اليقين أن بداخلها شخصاً، فالشرطي هوسكينز كان يقوم بواجبه هناك حسب الأوامر الموكلة إليه.

كان ثمة قارب صغير قريباً من الدرج الذي يؤدي إلى السقيفة، وكان فيه رجل وفتاة يرتديان ثياب العطلة، وقد استغرق الاثنان في مزاح بدا أقرب للصخب والعنف. كانت الفتاة تصرخ، والرجل يتظاهر مازحاً بأنه سيلقيها من فوق القارب. في تلك اللحظة بالذات تحدّث صوت جهوري بالبوق قائلاً: سيداتي سادتي، أنتم تقتربون الآن من القرية الشهيرة غيتشام حيث سنبقى ثلاثة أرباع الساعة، ويمكنكم تناول الشاي وقشدة ديفونشير. وترون عن يمينكم أراضي بيت ناسي، وستمرون أمام البيت نفسه خلال دقيقتين أو ثلاث، ويمكن رؤيته من خلال الأشجار فقط. كان البيت ملكاً للسير جيرفيز فوليات، وهو أحد معاصري السير فرانسيس دريك الذي أبحر معه في رحلته إلى العالم الجديد، وهو الآن ملك للسير جورج ستبس. وعن يساركم صخرة غوسيكر الشهيرة، وكانت العادة -سيداتي سادتي- تقضي بترك الزوجات سليطات اللسان هناك وقت الجزر حتى يرتفع المد ليصل إلى أعناقهن.

حدق جميع ركّاب القارب باهتمام شديد إلى صخرة غوسيكر. تمّ تبادل النكات وتبع ذلك كثير من القهقهات، وبينما كان ذلك يحدث عمد الرجل المتنزّه على القارب الصغير إلى إلقاء صديقته فعلاً عن ظهر قاربه، ثم انحنى وأمسك بها في الماء وهو يضحك ويقول: "لا، لن أسحبك من الماء حتى تعديني بالسمع والطاعة".

ولكن أحداً لم يلحظ ذلك سوى المفتش بلاند، فقد كانوا جميعاً يستمعون إلى المرشد وهو يحدثهم في البوق وينظرون لأول مرة إلى بيت ناسي من خلال الأشجار ويحدقون باهتمام شديد إلى صخرة غوسيكر.

أفلتَ الرجل الموجود على ظهر القارب الفتاةَ فغطست تحت الماء، وبعد بضع لحظات ظهرت من الجانب الآخر للقارب. سبحت نحوه وصعدت إليه وهي ترفع نفسها إليه بمهارة، فقد كانت الشرطية أليس جونز سبّاحة ماهرة.

نزل المفتش بلاند إلى شاطئ غيتشام مع الركاب المئتين والثلاثين الآخرين وتناول الشاي وقشدة ديفونشير مع الكعك. وقال في نفسه وهو يفعل ذلك: "يمكن -إذن- القيام بذلك دون أن يلاحظ أحد!".

* * *

بينما كان المفتش بلاند يقوم بتجربته تلك في النهر كان هيركيول بوارو يقوم بتجربة أخرى في خيمةٍ فوق المرجة العشبية في بيت ناسي. كانت تلك هي الخيمة نفسها التي كانت مدام زليخة

تقرأ فيها الكف، فعندما تم تفكيك السرادق والأكشاك طلب بوارو الإبقاء على هذه الخيمة.

دخل الخيمة الآن وأسدل غطاء الباب واتجه إلى المؤخرة، وهناك حلّ حبال الأغطية التي تشكل الباب الخلفي للخيمة ثم انسل خارجاً وأعاد ربطها من الخارج واندفع خلف سياج شجيرات الورد الذي كان خلف الخيمة مباشرة. شق طريقه بين بعض الشجيرات ليجد نفسه أمام عريشة صغيرة. كانت تلك العريشة أقرب إلى بيت صيفي صغير ذي باب مغلق، وفتح بوارو الباب ودخل.

كان الجو معتماً كثيراً، إذ لم يكن ينفذ من خلال الورود التي نبتت حول البيت منذ أقيم قبل سنوات عدة إلاّ ضوء خافت جداً. كان في الداخل صندوق وُضعت فيه كرات خشبية للعبة الكريكِت وبعض الأطواق الصدئة، وكان فيه بعض مضارب الهوكي المكسورة وعدد كبير من الحشرات الصغيرة والعناكب وعلامة دائرية غير منتظمة على غبار الأرضية. نظر بوارو إلى هذه الدائرة بعض الوقت، ثم جثا على ركبتيه وأخرج من جيبه متراً للقياس قاس به أبعاد تلك العلامة بعناية، ثم أومأ برأسه وكأنه قد ارتاح لما رآه.

انسل خارجاً بهدوء وأغلق الباب وراءه ثم تابع طريقه على ممر منحرف بين شجيرات الورد. تقدم صاعداً التلة من هذا الطريق فوصل بعد وقت قصير إلى الممر المؤدي إلى مبنى المعبد والذي ينحدر من هناك نزولاً إلى سقيفة القوارب.

لم يذهب إلى المعبد هذه المرة، لكنه نزل مباشرة في الطريق المتعرج حتى وصل إلى سقيفة القوارب. كان المفتاح معه ففتح

الباب ودخل. كانت السقيفة تماماً كما تذكّرها، باستثناء الجثة وصينية الشاي التي كان عليها الكوب والصحن، إذ تم إخلاء ذلك كله بعد أن دونت الشرطة وصوّرت كل ما في السقيفة. ذهب إلى الطاولة التي وُضعت عليها كومة المجلات الهزلية. قلّبها وقرأ عليها عبارات كانت الفتاة القتيلة قد كتبتها من باب التسلية وقضاء الوقت: «بيتر يقرص الفتيات في السينما»، «جورجي بورجي يُقبّل السائحات في الغابة»، «بيتي فوكس تحب الأولاد»...

أحسّ أن تلك الملاحظات إنما تعبّر عن أمنيات وأحلام الفتاة المراهِقة ووجَدَها تثير الشفقة لفجاجتها الطفولية. تذكّر وجه مارلين القبيح الذي تكاد البقع تملؤه، واستبعد أن يكون الأولاد قد قرصوها في السينما. إن مارلين المحرومة المحبطة قد وجدت لذة بديلة عن طريق التمثُّل، وذلك عبر تجسسها وتلصصها على أبناء جيلها الصغار. لقد تجسست وتطفلت، ورأت أشياء كثيرة. أشياء ما كان عليها أن تراها، أشياء لا تحظى عادة بأهمية كبيرة. ولكن، أتراها رأت في مناسبة معينة شيئاً أكثر أهمية؟ شيئاً لم تكن هي شخصياً تعرف أهميته.

كان ذلك كله مجرد تخمين، ولذلك هز بوارو رأسه بارتياب. أعاد كومة المجلات إلى مكانها على الطاولة بكل ترتيب؛ فولعه بالترتيب كان حاضراً دوماً. وبينما كان يفعل ذلك داهمه فجأة إحساس بشيء مفقود. شيء... ما هو؟ شيء كان يجب أن يكون هنا شيء... هز رأسه إذ تلاشى ذلك الانطباع الغامض.

خرج من سقيفة القوارب ببطء حزيناً غير راض عن نفسه. لقد

دُعي هو -هيركيول بوارو- لكي يمنع وقوع جريمة قتل، ولكنه لم يمنعها؛ فقد حدثت. والأمر الأكثر إذلالاً من ذلك هو أنه -حتى الآن- لا يملك أية أفكار حقيقية عن طبيعة ما حدث. يا له من أمر مُخزٍ! وغداً عليه أن يعود إلى لندن مهزوماً. لقد تم، على نحو خطير، تنفيس غروره المفرط. وحتى شارباه تهدّلا!

* * *

الفصل الخامس عشر

التقى المفتش بلاند لقاءً مطولاً وغير مرضٍ مع قائد شرطة المقاطعة بعد ذلك بأسبوعين. كان للرائد ميرال حاجبان كثيفان، وكان يبدو ككلب الصيد الغاضب، ولكن جميع رجاله كانوا يحبونه ويحترمون آراءه.

قال الرائد ميرال: جيد، جيد، جيد. ما الذي توصلنا إليه؟ لم نصل إلى شيء يمكننا السير على هداه. هذا الرجل، دي سوزا، لا نستطيع أن نربطه مع الفتاة المرشدة بأية حال. لو ظهرت جثة الليدي ستبس فسيكون الأمر مختلفاً.

ثم خفض حاجبيه باتجاه أنفه وحملق إلى بلاند قائلاً: أنت تعتقد بوجود جثة، أليس كذلك؟

- ما رأيك أنت يا سيدي؟

- أنا أوافقك الرأي، وإلا لكنا قد اقتفينا أثر السيدة المفقودة في هذه الفترة، إلا إن كانت قد رسمت خططها بعناية، ولا أرى أي مؤشر على ذلك؛ فليس لديها مال. لقد درسنا كامل الجوانب المالية للأمر. السير جورج هو الذي يملك المال ويخصص لها راتباً

ضخماً، ولكنها شخصياً لا تملك شيئاً. كما لا يوجد أثر لعشيق، ولا إشاعة عن ذلك ولا أقاويل... ولو كان شيء من ذلك موجوداً لعمّت الإشاعات مقاطعة ريفية كهذه.

ذرع الغرفة جيئة وذهاباً ثم قال: الحقيقة الواضحة هي أننا لا نعرف. نظن أن دي سوزا قد قتل ابنة عمه لسبب ما. أكثر الأمور احتمالاً هو أنه جعلها تلتقي به في سقيفة القوارب فأخذها معه على ظهر القارب ثم دفعها عنه إلى النهر. لقد اختبرتَ إمكانية حدوث ذلك، أليس كذلك؟

- عجباً يا سيدي، يمكنك أن تُغرق حمولة القارب كله من الناس في النهر أو على شاطئ البحر أثناء العطلات دون أن يلحظ ذلك أحد؛ فالجميع يقضون وقتهم في الصراخ ودفع بعضهم بعضاً. لكن الشيء الذي ما كان دي سوزا ليعرفه هو أن تلك الفتاة كانت في سقيفة القوارب وأنها كانت ضجرة إلى حد بعيد من طول الانتظار، والأرجح أنها كانت تطلّ من النافذة.

- كان هوسكينز يطل من النافذة ويراقب المشهد الذي أعددتَه، ألم تره.

- لا يا سيدي. ليس من شأن أحد أن يعرف أنْ في تلك السقيفة شخصاً ما لم يَخرج ذلك الشخص إلى الشرفة ويظهر نفسه.

- ربما خرجت الفتاة إلى الشرفة فعلاً، وأدرك دي سوزا أنها رأت ما كان يفعله فنزل إلى الشاطئ وتعامل معها. ربما جعلها تُدخله إلى السقيفة بعد أن سألها عما تفعله هي هناك، وربما أخبرته وهي

مسرورة بدورها في مسابقة البحث عن القاتل فوضع الحبل حول عنقها على سبيل المزاح ثم... وووب.

قام الرائد ميرال بفعل حركة موحية بيديه ثم تابع: وهكذا انتهى الأمر! حسناً يا بلاند، حسناً، دعنا نقُل إن هذا ما حدث. مجرد تخمين، فليس لدينا أي دليل. لم نعثر على الجثة، ولو حاولنا حجز دي سوزا في هذا البلد فستُثار المشكلات حولنا من كل مكان. سنضطر لتركه يرحل.

- هل هو ذاهب يا سيدي؟

- سوف يسلّم يخته بعد أسبوع من الآن ويعود إلى جزيرته.

قال المفتش بلاند كئيباً: إذن فليس لدينا وقت كثير.

- أظن أن احتمالات أخرى قائمة، أليس كذلك؟

- نعم يا سيدي، لدينا احتمالات عدة، ولا زلت مقتنعاً أن قاتلها شخص يعرف حقائق مسابقة البحث عن القاتل. يمكننا أن نستبعد اثنين منهم تماماً: السير جورج ستبس والكابتن ووربيرتن، فقد كانا يديران العروض على المرجة ويتوليان الأمور طوال فترة العصر، ويشهد على صحة ذلك عشرات الأشخاص. والأمر نفسه ينطبق على السيدة ماسترتن، هذا إن كنا نستطيع أن نشملها معهم أصلاً.

قال الرائد ميرال: بل يجب أن تشمل الجميع، إنها تتصل بي دائماً بشأن الكلاب البوليسية.

ثم أضاف حزيناً: لو كانت هذه قصة بوليسية لكانت تلك المرأة أنسب من يرتكب هذه الجريمة. ولكن تباً، إنني أعرف كوني ماسترتن

جيداً طوال حياتي ولا أستطيع أن أتصورها تذهب وتخنق فتاة أو تتخلص من حسناء غامضة. والآن، من يوجد غير هؤلاء؟

- السيدة أوليفر، وهي التي صممت مسابقة البحث عن القاتل. إنها غريبة الأطوار بعض الشيء، وكانت بعيدة بمفردها لفترة طويلة من عصر ذلك اليوم. ثم السيد أليك ليغ.

- الشخص الذي يعيش في البيت ذي الآجر الأحمر؟

- نعم. ترك العرض في وقت مبكر، أو أنه لم يشاهَد هناك. قال إنه سئم العرض وعاد إلى بيته. ومن ناحية أخرى فإن العجوز ميرديل (وهو العجوز الذي يبقى عند الرصيف هناك يحرس قوارب الناس ويساعدهم في إرسائها) قال إن أليك ليغ مرّ من جنبه وهو عائد إلى بيته الساعة الخامسة تقريباً، وليس قبل ذلك. وهذا يترك ساعة من وقته مرّت دون أن يُعرف أين كان. ويقول ليغ طبعاً إن ميرديل هذا ليست لديه أية فكرة عن الوقت وأنه مخطئ تماماً في تحديد الساعة التي رآه فيها... وقد يكون كلامه صحيحاً فالرجل العجوز في الثانية والتسعين من عمره.

- ليست تلك بالشهادة الكافية. ألا يوجد دافع أو سبب يربطه بالجريمة؟

قال بلاند بارتياب: ربما كانت له علاقة غرامية مع الليدي ستبس وربما كانت تهدده بإخبار زوجته، فلعلّه قتلها، وربما رأته الفتاة وهو يقتلها...

- وأخفى جثة الليدي ستبس في مكان ما، أليس كذلك؟

- بلى، ولكن لا تسألني كيف أو أين؟ لقد بحث رجالي في كل تلك الأراضي التابعة للمنزل، وليس فيها أي أثر لعبث أو حفر في الأرض. أظن أننا بحثنا تحت كل شجيرة هناك، ومع ذلك، لنفترض أنه نجح في إخفاء جثتها ثم ألقى بقبعتها في النهر على سبيل التمويه، وأن مارلين تاكر رأته ولذلك تخلص منها. إننا دائماً نصل إلى هذه النقطة نفسها.

سكت المفتش بلاند قليلاً ثم قال: وتبقى بالطبع السيدة ليغ.

- ماذا لدينا ضدها؟

- لم تكن في خيمة الشاي بين الساعة الرابعة والرابعة والنصف كما تزعم. عرفتُ ذلك بمجرد أن تحدثت معها ومع السيدة فوليات؛ فالدلائل تؤيد قول السيدة فوليات. ونصف الساعة تلك هي الفترة المهمة التي وقعت فيها الجريمة.

سكت مرة أخرى ثم قال: ولدينا أيضاً المهندس المعماري الشاب مايكل ويمان. من الصعب ربطه بالحادث بأية حال، ولكنه من الطراز الذي أسميه بالقاتل المحتمَل؛ فهو واحد من أولئك الشباب المغرورين الوقحين... يمكنه قتل أي شخص دون أن يرف له جفن!

قال الرائد ميرال: وكيف برَّرَ تحركاته؟

- كان تبريره غامضاً يا سيدي، غامضاً جداً.

قال الرائد ميرال بشيء من التعاطف: هذا يثبت أنه معماري أصيل.

كان الرائد ميرال قد بنى بيتاً قرب ساحل البحر حيث تعامل مع أمثال ويمان، ولذلك قال: إنهم غامضون جداً ومشوَّشون. أعجب أحياناً من مجرد كونهم أحياء.

- إنه لا يعرف أين كان أو متى، ولا يبدو أن أحداً شاهده، ولدينا بعض الأدلة على أن الليدي ستبس كانت تميل إليه.

- كأنك تلمّح إلى واحدة من تلك الجرائم العاطفية؟

قال بلاند بشيء من الاعتزاز: إنني أبحث فقط عما يمكنني أن أجده يا سيدي. وأخيراً تبقى أمامنا الآنسة برويس...

ثم سكت، وكانت سكتة طويلة. وأخيراً سأل ميرال: تلك هي السكرتيرة، أليس كذلك؟

- نعم يا سيدي؛ إنها امرأة قديرة جداً.

مرة أخرى سكت. نظر الرائد ميرال إلى مرؤوسه بإمعان وقال: إن في ذهنك شيئاً عنها، أليس كذلك؟

- نعم يا سيدي. إنها تعترف صراحة أنها كانت في سقيفة القوارب في نفس وقت وقوع الجريمة تقريباً.

- هل كانت ستعترف بذلك لو كانت مذنبة؟

- ربما، بل إن هذا في الواقع أفضل شيء يمكنها أن تفعله. لو أنها حملت صينية عليها كعك وعصير فواكه وأخبرت الجميع أنها ستأخذها إلى الفتاة هناك فإن وجودها سيكون مبرراً، تروح ثم ترجع وتزعم أن الفتاة كانت على قيد الحياة في ذلك الوقت.

ليس لدينا إلا قولها هي فقط، ولو تتذكر يا سيدي وتنظر ثانية إلى التقرير الشرعي فإن تحديد الدكتور كوك لوقت الوفاة هو ما بين الساعة الرابعة والخامسة إلا ربعاً. ونحن لا نملك غير شهادة برويس بمفردها على أن مارلين كانت على قيد الحياة في الرابعة والربع. وقد وردت نقطة غريبة في شهادتها؛ فقد أخبرتني أن الليدي ستبس هي التي طلبت منها أن تأخذ الكعك وعصير الفواكه إلى مارلين، ولكن شاهداً آخر أكد أن ذلك لم يكن بالشيء الذي تفكر فيه الليدي ستبس قطّ. وأظن أن ذلك الشاهد على حق فيما قاله، فهذه ليست طبيعة الليدي. لقد كانت الليدي ستبس مجرد جميلة بلهاء لا تهتم سوى بنفسها وبمظهرها وأناقتها الشخصية. وكلما فكرتُ في هذا لم يبدُ مرجحاً أبداً أن تكون قد طلبت من الآنسة برويس أن تأخذ أي شيء للفتاة المرشدة.

قال ميرال: أتعلم يا بلاند، إن في هذه النقطة شيئاً من الصحة، ولكن ما هو دافعها في هذه الحالة؟

- ليس لديها دافع لقتل الفتاة، ولكن ربما كان لديها -برأيي- دافع قوي لقتل الليدي ستبس. فحسب رأي السيد بوارو الذي حدثتك عنه فهي غارقة في حب رئيسها. ماذا لو افترضنا أنها تبعت الليدي ستبس إلى الغابة وقتلتها، وأن مارلين تاكر التي ملت الجلوس في سقيفة القوارب خرجت منها وصدف أن رأت الجريمة؟ إذن فسوف تضطر طبعاً لقتل مارلين. ما الذي ستفعله بعد ذلك؟ ستضع جثة الفتاة في السقيفة مرة أخرى، ثم تعود إلى البيت، فتجلب الصينية وتنزل إلى السقيفة ثانية. وهكذا تكون قد بررت غيابها عن المهرجان. ونكون قد حصلنا على شهادتها هي، وهي الشهادة الوحيدة التي

يمكن الاعتماد عليها ظاهرياً، والتي تفيد بأن مارلين تاكر كانت على قيد الحياة في الساعة الرابعة والربع.

قال الرائد ميرال وهو يتنهد: حسناً، تابع هذا الأمر يا بلاند، تابع هذا الأمر. ماذا تظنها فعلت بجثة الليدي ستبس إن كانت هي المذنبة؟

- أخفتها في الغابة، دفنتها، أو ألقتها في النهر.

- ألن يكون هذا الأمر الأخير صعباً؟

- هذا يعتمد على مكان ارتكاب الجريمة. إنها امرأة قوية الجسم، فلو أن الجريمة ارتكبت قريباً من السقيفة لأمكنها حملها إلى النهر وإلقاؤها من حافة الرصيف.

- وركاب البواخر السياحية ينظرون إليها من النهر؟

- ربما ظن من يراها أن ذلك مثال آخر للمزح الثقيل. إنها مجازفة، ولكنها محتملة، وأرى شخصياً أن الأرجح أن تكون قد أخفت الجثة في مكان ما، وأنها ألقت القبعة فقط في النهر. ويمكن أن تكون على علم بمكان تستطيع أن تخفي فيه جثة وهي التي تعرف البيت والأراضي معرفة جيدة. ولعلها تمكنت من التخلص منها في النهر فيما بعد. من يدري؟

ثم أضاف مستدركاً: هذا بالطبع إن كانت قد فعلتها. ولكني ما زلت أصر على أن دي سوزا...

كان الرائد ميرال يسجل ملاحظات على مفكرته. رفع بصره

الآن وتنحنح ثم قال: يمكننا إذن تلخيص الموقف على الشكل التالي: لدينا خمسة أشخاص أو ستة كان بإمكانهم قتل مارلين تاكر، وبعضهم يرجح على البعض الآخر، ولكن حسبما نعرفه فقط. إننا نعرف -بشكل عام- لماذا قُتلت. لقد قُتلت لأنها رأت شيئاً ما، ولكن إلى نتمكن من معرفة ما رأته بالضبط فنحن لا نعرف من الذي قتلها.

- إن وضع القضية على هذا النحو يجعلها صعبة بعض الشيء.

- وهي صعبة بالفعل، ولكننا سنصل في النهاية.

- وحتى ذلك الحين يكون الرجل قد غادر إنكلترا ضاحكاً في سرّه لنجاته بعد أن ارتكب جريمتي قتل.

- يبدو أنك واثق تماماً بشأنه؟ لا أقول بأنك مخطئ، ولكني رغم ذلك...

سكت قائد الشرطة بعض الوقت ثم قال وهو يرفع كتفيه حيرة: هذا أفضل على أية حال من وجود أحد القتلة المهووسين المضطربين عقلياً، وإلاّ لكانت بين أيدينا جريمة قتل ثالثة الآن.

قال المفتش عابساً: يقال فعلاً بأن القِدْر لا يركب إلا على ثلاث قواعد.

كرر تلك الملاحظة صبيحة اليوم التالي عندما سمع أن العجوز ميرديل كان عائداً من حانته المفضلة عبر النهر في غيتشام، ولا بد أنه قد شرب أكثر من طاقته، ولذلك سقط في النهر عندما كان يصعد الرصيف. وقد وُجد قاربه طافياً في النهر وتم انتشال جثة العجوز في المساء.

كان التحقيق قصيراً بسيطاً. كان الليل مظلماً وملبداً بالغيوم، وشرب العجوز ميرديل ثلاث زجاجات من الخمر، وهو -في نهاية الأمر- في الثانية والتسعين من عمره.

وصدر الحكم بأنها وفاة بحادث عرضي.

* * *

الفصل السادس عشر

جلس هيركيول بوارو على كرسي مربع أمام موقد مربع الشكل في غرفة مربعة في شقته في لندن. كانت أمامه عدة أشياء لم تكن مربعة، إنما كانت قطعاً منحنية انحناءاً شديداً، بل مبالَغاً بشدّته. وإذا ما تم تفحص كل واحدة منها بشكل مستقل فإنها تبدو وكأنها لا وظيفة لها يمكن تصورها في عالم عاقل. بدت قطعاً بعيدة الاحتمال ولا رابط بينها إلاّ الصدفة المحضة، ولكنها كانت -في حقيقة الأمر- أبعد ما تكون عن ذلك كله.

فإذا ما نُظِر إليها بعمق لكان لكلٍ منها مكانه الخاص في عالم خاص. وإذا ما رُكِّبت في موضعها الصحيح في عالمها الخاص فلن يظهر لها معنى فحسب، بل ستشكل صورة أيضاً. وبعبارة أخرى فقد كان هيركيول بوارو يقوم بتركيب لغز الصورة المقطعة إلى أجزاء صغيرة.

نظر إلى مستطيل ما زالت به ثغرات ذات أشكال غير معقولة. وجدها تسلية مهدئة تبعث على السرور، فهي تجعل من الفوضى نظاماً، وشعر بأنها تسلية تشبه مهنته إلى حدٍّ ما. فهناك أيضاً يواجه المرء العديد من الحقائق التي تأخذ أشكالاً غير معقولة وبعيدة

الاحتمال. ورغم أنها حقائق لا تُظهر أية علاقة مع بعضها البعض إلا أن لكلٍ منها دوراً متوازناً في تجميع الكل المتكامل. التقطت أصابعه برشاقة قطعة غير معقولة ذات لون رمادي داكن وثبّتها ضمن سماء زرقاء. وأدرك الآن أنها كانت قطعة من صورة طائرة.

تمتم قائلاً لنفسه: نعم، هذا ما يجب على المرء أن يفعله... يضع القطعة غير المرجّحة هنا، والقطعة بعيدة الاحتمال هناك، والقطعة العقلانية التي ليست كما تبدو في الظاهر، وهذه كلها لها أماكنها المحددة، وعندما تركّب كلها في أماكنها الصحيحة تكون نهاية المهمة! كل شيء واضح، كل شيء «في الصورة» كما يُقال في التعبير الدارج هذه الأيام.

وبسرعة ركب قطعة صغيرة من مئذنة، وقطعة أخرى بدت وكأنها جزء من شادرٍ مخطط وهي في الواقع قفا قطّة، وقطعة أخرى مفقودة لوقت الأصيل كانت تتحول فجأة عند تقليبها من اللون البرتقالي إلى اللون الأحمر الوردي.

قال بوارو في نفسه: لو كان المرء يعلم طبيعة ما يبحث عنه لغدا الأمر سهلاً جداً، ولكنه لا يعرف عمَّ يبحث، ولذلك ينظر إلى الأماكن غير الصحيحة أو يبحث عن الأشياء غير الصحيحة. تنهد بغيظ، وانتقلت عيناه من الصورة المقطعة أمامه إلى الكرسي في الجانب الآخر من الموقد. كان المفتش بلاند يجلس هناك قبل أقل من نصف ساعة يشرب الشاي ويأكل الكعك (الكعك المربع) ويتحدث حزيناً. كان قد أتى إلى لندن في مهمة رسمية، وقد أنهى تلك المهمة الرسمية فجاء لزيارة بوارو. أوضح أنه كان يتساءل إن

كان لدى بوارو أية أفكار، ثم بدأ يشرح أفكاره الخاصة، وقد وافقه بوارو على كل نقطة قالها، وشعر بأن المفتش بلاند قد قام بعمل مسح عادل وغير متحيز للقضية.

كان قد مضى الآن شهر أو خمسة أسابيع تقريباً على الحوادث التي وقعت في بيت ناسي. مرت خمسة أسابيع من الركود والسلبية لم يتم فيها العثور على جثة الليدي ستبس، وإن كانت الليدي ستبس على قيد الحياة فإن أحداً لم يعثر على أثر لها. أوضح المفتش بلاند أن الاحتمالات القوية تشير إلى أنها ليست على قيد الحياة، ووافقه بوارو على ذلك.

قال بلاند: ربما تكون الجثة قد أخفيت، وإذا ألقيت الجثة في الماء يكون الأمر منتهياً، ومع ذلك فقد تظهر، مع أنه سيكون من المتعذر التعرف عليها إن ظهرت.

أوضح بوارو قائلاً: يوجد احتمال ثالث.

أومأ بلاند برأسه وقال: نعم. لقد فكرت في ذلك، بل إنني في الحقيقة لا أنفك أفكر فيه. أنت تعني أن الجثة هناك، في بيت ناسي، مخبأة في مكان لم نفكر قط في البحث فيه. هذا ممكن، لأن البيت قديم والأراضي هناك واسعة، ولذلك ففيه أماكن لا تخطر ببال المرء ولا يمكن لأحد أن يتخيل وجودها.

سكت لحظة متأملاً ثم قال: أمس -مثلاً- كنت في بيت غريب بُني فيه ملجأ خوفاً من الغارات الجوية أثناء الحرب. ملجأ رديء بناه أهل البيت أنفسهم في الحديقة وشقوا منه طريقاً يؤدي إلى القبو.

حسناً، انتهت الحرب وهدم الملجأ، وجمعوا ركامه على شكل أكوام غير منتظمة وعملوا منها نوعاً من الحديقة الصخرية. ولو سرت داخل تلك الحديقة الآن فلن تفكر أبداً أن المكان كان في يوم من الأيام ملجأ من الغارات الجوية وأن غرفةً كانت أسفل منه. إنه يبدو وكأنه كان طوال الوقت حديقة صخرية، وما زال الممر الذي يؤدي إليه من القبو قائماً حتى الآن. هذا ما أقصده، ذلك النوع من الأشياء، طريق معين يؤدي إلى مكان معين لا يعرفه أي غريب عن البيت. لا أظن أن في بيت ناسي مثل ذلك النوع من الفتحات التي كانوا يفتحونها في الجدران لإخفاء رجال الدين أو شيئاً من هذا النوع، ما رأيك أنت؟

- كلا. ليس في فترة بناء البيت.

- هذا ما يقوله السيد ويمان. إنه يقول بأن البيت شيد عام ١٧٩٠ تقريباً؛ ولا سبب ليخبئ الكهنة أنفسهم في تلك الفترة. ورغم ذلك فقد يكون هناك في مكان ما تعديل على البناء؛ شيء قد يعرف عنه أحد أفراد العائلة. ما رأيك يا سيد بوارو؟

- هذا ممكن، نعم. إنها فكرة بالتأكيد. إذا قبلنا بهذا الاحتمال فإن الأمر التالي هو: من يعرف بأمر هذا التعديل؟ أظن أن أي شخص يقيم في البيت قد يعرفه.

- نعم، وهذا سيخُرج دي سوزا طبعاً من دائرة الشك.

بدا المفتش غير مقتنع فدي سوزا ما زال المشبوه المفضل لديه. أضاف قائلاً: كما تقول فإن أي شخص يعيش في البيت خادماً كان أو أحد أفراد العائلة قد يعرف هذا المكان. ولكن شخصاً يحل ضيفاً

على البيت سيكون أقل احتمالاً. الأشخاص الذين يأتون من الخارج مثل ليغ وزوجته هم أيضاً أقل احتمالاً.

- إن الشخص الذي من شأنه أن يعرف مثل هذا الشيء بالتأكيد، والذي يمكن أن يخبرك عنه لو سألته هو السيدة فوليات.

رأى بوارو أن السيدة فوليات قد عرفت كل ما ينبغي معرفته بخصوص بيت ناسي، عرفت أشياء كثيرة. لقد عرفت السيدة فوليات فوراً أن هاتي ستبس قد ماتت، وعرفت قبل وفاة مارلين وهاتي ستبس أن هذا عالم شرير جداً وأن فيه أشخاصاً شريرين جداً أيضاً. وفكر بوارو -مغتاظاً- بأن السيدة فوليات هي مفتاح الأمر كله، ولكنه أحسّ أنها مفتاح لن يدور في القفل بسهولة.

قال المفتش: لقد تكلمت مع المرأة مرات عدة. وكانت لطيفة جداً ومتعاونة في كل شيء، وبدت حزينة جداً لأنها لا تستطيع تقديم مساعدة.

وفكر بوارو قائلاً لنفسه: "لا تستطيع أم لا تريد؟"، وربما كان بلاند يفكر في الشيء نفسه إذ أنه قال: من النساء مَن لا يمكنك إجبارهن بالقوة؛ لا تستطيع تخويفهن أو إقناعهن أو خداعهن.

ورأى بوارو أن من غير الممكن فعلاً إجبار أو إقناع أو خداع السيدة فوليات.

كان المفتش قد أنهى شرب الشاي وتنهد ثم ذهب. وأخرج بوارو لغز الصورة المقطّعة لكي يخفف من سخطه المتزايد. كان ساخطاً، بل ساخطاً ويشعر بالمهانة. لقد دعته السيدة أوليفر -وهو

هيركيول بوارو- لكي يوضح أحد الألغاز. أحسّت أن في الأمر شيئاً غير طبيعي، وقد كان في الأمر -بالفعل- شيء غير طبيعي. وقد تطلعت إلى هيركيول بوارو واثقة لكي يمنع ذلك أولاً، ولم يستطع منع ذلك... ولكي يكتشف القاتل ثانياً، ولم يكتشف القاتل! كان يشعر أنه وسط ضباب كثيف، ضباب تومض فيه من وقت لآخر ومضة محيرة من الضوء. كان يرى من وقت لآخر (أو هكذا بدا له) أنه لمح واحدة من تلك الومضات، وفي كل مرة كان يفشل في التوغل إلى ما هو أبعد من ذلك. لقد فشل في تخمين قيمة ما بدا له -للحظة قصيرة- أنه رآه.

نهض بوارو وذهب إلى الجانب الآخر من الموقد وأعاد وضع الكرسي المربع الثاني ليكون في زاوية هندسية محددة، ثم جلس عليه. لقد انتقل من لغز الصورة المقطعة على الورق إلى لغز صور مقطعة لجريمة قتل. أخرج دفتر ملاحظات من جيبه وكتب بخط صغير مرتب: «إتيان دي سوزا، أماندا برويس، أليك ليغ، سالي ليغ، مايكل ويمان».

كان من المستحيل -من الناحية المادية المكانية- على أي من السير جورج أو جيم ووربيرتن أن يقتل مارلين تاكر. وحيث أنه لم يكن من المستحيل مادياً ومكانياً على السيدة أوليفر أن تفعل ذلك فقد أضاف اسمها بعد فراغ قصير. ثم أضاف أيضاً اسم السيدة ماسترتن لأنه لم يتذكر -من معرفته الشخصية الخاصة- أنه رآها بصورة مستمرة على المرجة بين الساعة الرابعة والخامسة إلا ربعاً. ثم أضاف اسم هيندن الخادم، وربما لم تكن إضافته له بسبب أية شكوك لديه بذلك الفنان ذي الشعر الأسود والمدقة التي يقرع بها

الجرس، بقدر ما كانت بسبب وجود خادم شرير في لعبة السيدة أوليفر للبحث عن القاتل. كما دوَّن أيضاً «الشاب صاحب قميص السلاحف» مع علامة استفهام بعدها. ثم ابتسم وهز رأسه وأخذ دبوساً من ثنية سترته، وأغمض عينيه وأدار يده بالدبوس ثم غرزه عشوائياً على قائمة الأسماء في دفتر ملاحظاته. رأى أنها طريقة لا تقل جدوى عما تم تجريبه حتى الآن. وقد تضايق عندما وجد أن خيار الدبوس قد وقع على آخر اسم كتبه.

قال لنفسه: يا لي من أحمق! ما علاقة شاب يلبس قميصاً سلحفاتياً بهذا الأمر؟

ولكنه أدرك أيضاً أن لديه -بلا شك- سبباً ما جعله يُدرج هذه الشخصية المبهمة في قائمته. تذكر ثانيةً اليوم الذي جلس في المعبد والدهشة التي ظهرت على وجه الفتى عندما رآه هناك. لم يكن ذلك الوجه مريحاً ساراً رغم ما فيه من وسامة الشباب، بل كان وجهاً مغروراً قاسياً. لقد جاء الشاب الصغير إلى ذلك المكان لغرض معين. جاء ليقابل شخصاً محدداً، ومن المنطقي القول أن ذلك الشخص كان شخصاً لا يستطع الشاب مقابلته أو لا يرغب بمقابلته بالطريقة العادية. كان ذلك في الواقع لقاءً لا ينبغي له أن يلفت الأنظار؛ لقاءً يلفّه الشعور بالذنب. أتكون له علاقة بجريمة القتل؟

واصل بوارو تأملاته. شاب كان يقيم في بيت الشباب؛ أي أنه سيقيم في تلك المنطقة مدة ليلتين على أقصى تقدير. هل كان مجيئه إلى هناك عرضياً؟ أكان واحداً من أولئك الطلبة الكثيرين الذين يزورون بريطانيا؟ أم أنه جاء هناك لغرض خاص، للقاء شخص ما؟

قال بوارو في نفسه: إنني أعرف الكثير. في يدي قطع كثيرة جداً من هذه الصورة المقطعة ولديّ فكرة عن نوع هذه الجريمة، ولكن لا بد أنني لا أنظر إليها بالطريقة الصحيحة.

قلب صفحة من دفتر ملاحظاته وكتب: **«هل طلبت الليدي ستبس من الآنسة برويس أن تأخذ الصينية لمارلين؟ وإن هي لم تفعل ذلك فلماذا تزعم الآنسة برويس أنها فعلته؟»**.

فكر في هذه النقطة. من المحتمل تماماً أن تكون الآنسة برويس نفسها قد فكرت في أخذ الكعك وعصير الفواكه إلى الفتاة. ولكن لو كان الأمر كذلك فلماذا لم تقل ذلك ببساطة؟ لماذا تكذب وتقول إن الليدي ستبس هي التي طلبت منها فعل ذلك؟ أيكون ذلك لأن الآنسة برويس ذهبت إلى سقيفة القوارب فوجدت مارلين مقتولة؟ إن هذا يبدو أمراً بعيد الاحتمال ما لم تكن الآنسة برويس هي التي ارتكبت جريمة القتل؛ فهي لم تكن امرأة عصبية ولا خيالية، ولو أنها وجدت الفتاة مقتولة لكان من شأنها بالتأكيد أن تبلغ عن ذلك فوراً؟

حدق ببصره بعض الوقت في السؤالين اللذين كتبهما. لم يملك إلاّ أن يشعر بأن في مكان ما من هذه الكلمات مؤشراً حيوياً على الحقيقة التي فاتته. ثم كتب بعد أربع أو خمس دقائق من التفكير شيئاً آخر: **«يقول إتيان دي سوزا إنه كتب رسالة لابنة عمه قبل ثلاثة أسابيع من وصوله بيت ناسي، فهل هذا الادعاء صدق أم كذب؟»**.

يكاد بوارو يشعر بأنه واثق من كذب هذا الادعاء. تذكّر ذلك المشهد على طاولة الإفطار فلم يجد أي سبب معقول يدعو السير جورج أو الليدي ستبس للتظاهر بالدهشة (إضافة إلى الفزع الذي

ظهر على الأخيرة) دون أن يشعرا حقيقة بذلك. لم يستطع أن يرى غرضاً يهدفان إليه من وراء ذلك. ولكن إذا سلّمنا بأن إتيان دي سوزا قد كذب فلماذا كذب؟ ليعطي انطباعاً أن زيارته كانت معلنة وكانت موضع ترحيب؟ هذا ممكن، ولكنه مبرر تكتنفه الشكوك. لم يكن ثمة دليل بالتأكيد على أن هذه الرسالة قد كُتبت أو استُلمت أبداً. هل كان ذلك محاولة من جانب دي سوزا لترسيخ مصداقيته؛ لجعل زيارته تبدو طبيعية بل متوقعة؟ لقد استقبله السير جورج بالتأكيد استقبالاً حسناً رغم أنه لم يكن يعرفه.

توقف بوارو إذ توقفت أفكاره عند هذه النقطة. لم يكن السير جورج يعرف دي سوزا، وزوجته -التي كانت تعرفه- لم تره. أيمكن أن يكون في هذه النقطة شيء؟

أيمكن ألاّ يكون إتيان دي سوزا الذي وصل ذلك اليوم إلى المهرجان هو إتيان دي سوزا الحقيقي؟ قلّب هذه الفكرة في ذهنه، ولكنه لم يستطع ثانية أن يرى لذلك معنى. ما الذي سيجنيه دي سوزا من مجيئه وتقديم نفسه بصفته دي سوزا إن لم يكن هو دي سوزا حقاً؟ إن دي سوزا لا يحصل في كل الأحوال على أية فائدة من وفاة هاتي؛ إذ أنها -كما أكدت الشرطة- لم يكن لديها مال يخصها إلا ما كان يمنحه لها زوجها.

حاول بوارو أن يتذكر بالضبط ما قالته في ذلك الصباح: «إنه رجل سيء، يفعل أشياء سيئة»، وحسب كلام بلاند فقد قالت لزوجها إنه «يقتل الناس». كان في ذلك شيءٌ ذو مغزى وأهمية يمكن للمرء الإحساس بهما الآن بعد رؤية كل الحقائق... يقتل الناس!

في يوم مجيء إتيان دي سوزا إلى بيت ناسي قُتلت واحدة بصورة مؤكدة، وربما اثنتان. وقد قالت السيدة فوليات إن على المرء ألاّ يلتفت لملاحظات هاتي الميلودرامية تلك. قالت ذلك بإلحاح شديد. السيدة فوليات...

قطب هيركيول بوارو جبينه ثم ضرب بقبضته بقوة على ذراع الكرسي: إنني دائماً، دائماً، أرجع إلى السيدة فوليات. إنها مفتاح الأمر كله. لو كنت أعرف ما الذي تعرفه! لم أعد أستطيع البقاء هكذا جالساً على كرسي أفكر فقط؛ نعم، يجب أن آخذ قطاراً وأذهب ثانية إلى ديفون وأزور السيدة فوليات.

* * *

وقف هيركيول بوارو لحظة خارج البوابة الحديدية الضخمة لبيت ناسي ونظر أمامه على طول الممر المنحني الذي يوصل إلى البيت. لم يعد الفصل صيفاً، فأوراق الشجر الذهبية البنية كانت ترفرف بلطف وهي تتساقط عن الأشجار، وبالقرب منه كانت المساحات العشبية مكسوة بأزهار بنفسجية زاهية.

تنهد بوارو، فقد أعجبه جمال بيت ناسي رغماً عنه. لم يكن من المعجبين بالطبيعة كما تتجلى بشكلها البدائي، فقد كان يحب الأشياء مشذبة مرتبة، ومع ذلك لم يملك إلا أن يعجب بالجمال البرّي البدائي للأشجار والشجيرات الكثيفة.

كان عن يساره بيت البواب الصغير ذو الرواق الأبيض. وكان الجو عصر ذلك اليوم رائعاً، ولكن ربما لا تكون السيدة فوليات في

البيت؛ فمن شأنها أن تكون خارجة في مكان ما حاملة سلتها، أو ربما كانت تزور بعض الأصدقاء في الجوار. فلديها أصدقاء عديدون، إذ أن هذا كان بيتها وبيت عائلتها منذ سنوات طويلة. ما الذي قاله ذلك الرجل العجوز على الرصيف؟ لقد قال إن عائلة فوليات ستكون موجودة دوماً في بيت ناسي.

طرق بوارو باب البيت بلطف، وبعد بضع لحظات سمع وقع أقدامٍ في الداخل. بدت لمسمعه خطوات بطيئة تكاد تكون مترددة. ثم فتح الباب ووقفت السيدة فوليات وقد أطّرها الباب، وقد فوجئ عندما رأى مدى ما يظهر عليها من كبر وضعف. حدقت به غير مصدقة لبضع لحظات ثم قالت: السيد بوارو؟ أنت!

ظن لحظة أنه رأى الخوف يقفز إلى عينيها، ولكن ذلك ربما كان مجرد تخيل منه. قال بأدب: هل تسمحين لي بالدخول يا سيدتي؟

- بالطبع؟

كانت قد استعادت كامل سمتها المسيطر الآن. أومأت إليه بإشارة من يدها ليدخل وقادته إلى غرفة جلوسها الصغيرة التي كان فيها كرسيّان وُضع عليهما غطاء مطرز بأشكال جميلة، وطاولة صغيرة عليها كوب من الشاي، كما صُفّت على رف الموقد بعض الأشكال الخزفية الصغيرة.

قالت السيدة فوليات: سأحضر كوباً آخر.

رفع بوارو يده باعتراض خفيف، ولكنها تجاهلت اعتراضه قائلة: لا بد أن تشرب شيئاً من الشاي.

خرجت من الغرفة فنظر حوله مرة أخرى. كان على الطاولة قطعة من قماش مطرزة بدقة لتكون مقعداً لكرسي، وقد غُرزت فيها إبرة، وعند الحائط خزانة كتب، كما عُلِّقت مجموعة من التحفيات الصغيرة على الحائط، بالإضافة إلى صورة باهتة في إطار فضي لرجل يلبس الزي العسكري ذي شارب منتصب وذقن يوحي بقلة الحزم.

عادت السيدة فوليات إلى الغرفة وبيدها كوب وصحن. قال بوارو: أهذا زوجك يا سيدتي؟

- نعم.

وعندما لاحظت أن عيني بوارو انتقلتا إلى أعلى خزانة الكتب وكأنه يبحث عن صور أخرى قالت بسرعة: أنا لا أحب الصور؛ فهي تجعل المرء يعيش في الماضي كثيراً. يجب أن يتعلم المرء النسيان، عليه أن يقطع الشجرة الميتة.

تذكر بوارو أول مرة رأى فيها السيدة فوليات وهي تجزّ شجيرة على ضفة النهر بمقص الأغصان، وتذكر أنها قالت وقتها شيئاً عن الشجر الميت. نظر إليها متأملاً محاولاً فهم شخصيتها. رأى فيها امرأة محيِّرة، امرأة في شخصيتها جانب يمكن أن يكون قاسياً رغم ما يبدو عليها من لطف وضعف، امرأة يمكنها أن تقطع الخشب الميت... ليس من نباتاتها فحسب، بل من حياتها الخاصة أيضاً!

جلست وملأت فنجاناً من الشاي وهي تسأل: حليب؟ سكر؟

- ثلاث قطع من فضلك يا سيدتي.

قدمت إليه فنجان الشاي وقالت تحادثه: لقد فوجئت برؤيتك؛ لم أتصور أنك ستمر بهذه المنطقة مرة ثانية.

- أنا لست أمرّ مروراً بالضبط.

سألته وهي ترفع حاجبيها قليلاً: حقاً؟

- إن زيارتي لهذه المنطقة مقصودة.

ظلت تنظر إليه متسائلة فقال: لقد جئت إلى هنا جزئياً لرؤيتك يا سيدتي.

- حقاً؟

- قبل كل شيء: ألا يوجد أخبار عن الليدي ستبس؟

هزت فوليات رأسها بالنفي وقالت: عثروا على جثة قبل أيام في كورنوول. ذهب جورج هناك ليرى إن كان يستطيع التعرف إليها، ولكنها لم تكن جثتها. إني آسفة جداً له؛ فقد كان وقع الصدمة عليه كبيراً جداً.

- أما زال يعتقد بأن زوجته قد تكون على قيد الحياة؟

هزت فوليات رأسها ببطء وقالت: أظن أنه فقد الأمل، فلو كانت هاتي على قيد الحياة لما استطاعت أن تخفي نفسها بنجاح مع كل البحث الذي جرى عنها، ولو حدث لها شيء مثل فقدان الذاكرة فإن الشرطة كانوا سيجدونها بالتأكيد خلال هذه المدة.

- يبدو هذا صحيحاً، نعم. أما زال الشرطة يبحثون؟

- أظن ذلك.

- ولكن السير جورج فقد الأمل.

- إنه لا يقول ذلك. أنا لم أره طبعاً في الآونة الأخيرة؛ فهو يقضي معظم وقته في لندن.

- وماذا عن الفتاة القتيلة؟ ألم تظهر أية تطورات في قضيتها؟

- لا علم لي بأية تطورات بشأنها. تبدو جريمة بلا معنى، لا هدف لها أبداً. يا للطفلة المسكينة!

- أرى أن تفكيرك فيها لا يزال يزعجك يا سيدتي.

لم تجبه السيدة فوليات للحظات، ثم قالت: عندما يتقدم المرء في السن فإن وفاة أي إنسان صغير تزعجه أكثر من الحد الطبيعي. نحن كبار السن نتوقع الموت، أما تلك الطفلة فقد كانت الحياة كلها أمامها.

- ربما لا تكون حياة بالغة الأهمية والإثارة.

- ربما لا تكون كذلك من وجهة نظرنا نحن، ولكنها ربما كانت مهمة مثيرة في نظرها.

- ورغم ما قُلتِهِ من أننا -معشر كبار السن- نتوقع الموت، إلاّ أننا في الحقيقة لا نريد الموت. أنا على الأقل لا أريده؛ فما زلت أرى الحياة ممتعة مهمة.

- لا أظنني أراها مثلك.

كانت فوليات تتحدث إلى نفسها أكثر مما تتحدث إليه، وقد تهدل كتفاها أكثر من ذي قبل: إني متعَبة جداً يا سيد بوارو، وعندما تحين منيتي فلن أكون مستعدة فقط، بل ممتنة أيضاً.

نظر إليها نظرة سريعة وتساءل (كما تساءل من قبل) إن كانت المرأة التي تجلس أمامه امرأة مريضة، امرأة ربما كان لديها معرفة أو حتى يقين باقتراب أجلها. إنه لا يستطيع -بغير ذلك- تفسير ذلك السأم الشديد في موقفها؛ فقد أحس بأن ذلك السأم لم يكن في الحقيقة من صفات تلك المرأة. شعر بأن إيمي فوليات امرأة ذات شخصية وطاقة وعزم. لقد استمرت رغم المتاعب الكثيرة، وتجاوزت مِحَنَ فقدان بيتها، وفقدان ثروتها، ووفاة أبنائها. أحس أنها صمدت واستمرت رغم كل هذه المشكلات. لقد قطعت «الخشب الميت» كما عبّرت عن ذلك بنفسها، لكن في حياتها شيئاً الآن لا تستطيع أن تقطعه، ولا أحد يستطيع قطعه لها. فإن لم يكن ذلك الشيء مرضاً جسدياً فإن بوارو لم يكن يرى ما عساه يكون.

ابتسمت ابتسامة صغيرة مفاجئة وكأنها تقرأ أفكاره وقالت: ليس عندي في الحقيقة الكثير مما أعيش لأجله يا سيد بوارو. لدي أصدقاء كثيرون، ولكن ليس لي أقرباء، ولا أسرة.

قال بوارو من وحي اللحظة: لديك بيتك.

- تقصد ناسي؟ نعم.

- إنه بيتك أنت وإن كان رسمياً ملكاً للسير جورج ستبس،

أليس كذلك؟ والآن ذهب السير جورج ستبس إلى لندن وأنت تحكمين بدلاً منه.

مرة أخرى رأى نظرة خوف حادة في عينيها، وعندما تكلمت كان في صوتها نبرة عدائية حادة: لا أعرف تماماً ما الذي تقصده يا سيد بوارو. إني ممتنة للسير جورج على تأجيري هذا البيت الصغير، ولكني أستأجره منه بالفعل، وأدفع له أجرة سنوية مع حقي في المشي في أراضي البيت.

نشر بوارو ذراعيه وقال: أعتذر يا سيدتي؛ لم أقصد أية إساءة.

قالت السيدة فوليات ببرود: لا أشك أنني أسأت فهمك.

- إنه مكان جميل، بيت جميل وأراضٍ جميلة. إن فيه هدوءاً رائعاً وسكينة عظيمة.

أشرق وجهها وقالت: نعم، كنا نحس بذلك دائماً. أحسست بذلك عندما جئت هنا أول مرة وأنا طفلة.

- ولكن، أما زال فيه الآن نفس الهدوء والسكينة يا سيدتي؟

- ولم لا؟

- جريمة قتل لم يلقَ فاعلها عقاباً وسفك دماء بريئة. وإلى أن تزول تلك الظلال، لن تكون سكينة. أظن أنك تعرفين ذلك يا سيدتي كما أعرفه.

لم تجبه السيدة فوليات. لم تتحرك ولم تتكلم. جلست ساكنة هادئة، ولم يعرف بوارو فيم كانت تفكر. مال إلى الأمام قليلاً

وتحدث ثانية: سيدتي، أنت تعرفين الكثير... وربما تعرفين كل شيء عن جريمة القتل هذه. تعرفين من قتل تلك الفتاة، وتعرفين لماذا. تعرفين من قتل هاتي ستبس، وربما تعرفين أين ترقد جثتها الآن.

عندها تكلمت السيدة فوليات، وكان صوتها مرتفعاً يكاد يكون خشناً: لا أعرف شيئاً، أبداً.

- ربما استعملتُ الكلمة غير الصحيحة. أنت لا تعرفين، ولكني أظن أنك تخمنين يا سيدتي. أنا متأكد تماماً أنك تخمنين.

- اسمح لي بأن أقول إن كلامك هذا سخيف!

- ليس سخيفاً، بل هو شيء مختلف تماماً؛ إنه خطير.

- خطير؟ على من؟

- عليك يا سيدتي. فما دمت تحتفظين بما تعرفينه لنفسك فأنت في خطر. أنا أعرف القتلة أكثر منك يا سيدتي.

- لقد سبق وقلتُ لك: ليس عندي علم.

- إذن شكوك؟

- ليست عندي شكوك.

- اسمحي لي أن أقول إن هذا غير صحيح يا سيدتي.

- إن الحديث انطلاقاً من الشكوك وحدها عمل خاطئ، بل شرير في الحقيقة.

مال بوارو إلى الأمام وقال: أهو شرير كالذي جرى هنا قبل أكثر من شهر؟

انكمشت فوليات إلى الوراء على كرسيها وقد تقبضت على نفسها، وهمست بصوت خافت: لا تتحدث معي في ذلك. ثم أضافت وهي تزفر زفرة طويلة مرتعدة: وعلى أية حال فقد انتهى الأمر الآن، انتهى.

- كيف تستطيعين الجزم بذلك يا سيدتي؟ إنني أقول لك من معرفتي الخاصة إن الأمور لا تنتهي أبداً بالنسبة لقاتل.

هزت رأسها بالنفي وقالت: لا، لا؛ إنها النهاية. وعلى أية حال فلا يوجد ما أستطيع أنا عمله أبداً.

نهض ووقف ينظر إليها، وقالت بلهجة كادت تكون ساخطة: حتى الشرطة نفضوا أيديهم.

هز بوارو رأسه بالنفي وقال: لا يا سيدتي؛ أنت مخطئة في ذلك. الشرطة لا ينفضون أيديهم من شيء، وأنا أيضاً لا أنفض يدي. تذكري ذلك يا سيدتي. أنا -هيركيول بوارو- لا أنفض يدي أبداً.

كانت عبارته الأخيرة تلك خاتمة نموذجية لكثير من مشاهده.

* * *

الفصل السابع عشر

بعدما غادر بوارو بيت ناسي ذهب إلى القرية حيث وجد بقليل من الاستفسار البيت الذي تسكنه عائلة تاكر. وقد تطلب الأمر بعض الوقت قبل أن يُستجاب لدقاته على الباب بعد أن تاهت وسط صوت السيدة تاكر العالي وهي تصيح في الداخل: أين كنتَ شارداً يا جيم تاكر وأنت تدخل البيت وتدوس على فرش الأرض بحذائك؟ لقد نبهتك أكثر من ألف مرة. كنت أنظفه طوال الصباح، والآن انظر إليه كيف أصبح.

أظهر السيد تاكر رد فعله على هذه الملاحظة بهمهمة ضعيفة كانت تهدف عموماً إلى الاسترضاء، وأضافت السيدة تاكر: ليس لديك سبب للنسيان. كل هذا بسبب لهفتك على سماع أخبار الرياضة في الراديو، مع أن الأمر لا يأخذ أكثر من دقيقتين لنزع حذائك. وأنت يا غاري، انتبه لما تفعله وأنت تأكل تلك الحلوى؛ لن أسمح بتلويث إبريق الشاي الفضي بأصابعك الدبقة. ميريلين، بالباب أحد يدق، اذهبي وانظري من هو.

فُتح الباب بقوة وأطلت منه طفلة في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمرها ونظرت إلى بوارو بارتياب. كانت فتاة بدينة ذات

عينين زرقاوين صغيرتين وكان أحد خدّيها منفوخاً بحبة حلوى كانت في فمها. صاحت: إنه رجل يا أمي.

جاءت السيدة تاكر إلى الباب وخصلات شعرها تتدلى على وجهها الغاضب، سألت بحدة: ما الأمر؟ لسنا بحاجة لـ...

سكتت بعد أن ظهر على وجهها أثر باهت من تعرف على الزائر: دعني أتذكر الآن. ألم أرك مع الشرطة في ذلك اليوم؟

- أنا آسف يا سيدتي لأنني أعدت ذكريات مؤلمة.

قالها بوارو وهو يخطو بإصرار إلى داخل البيت. ألقت السيدة تاكر نظرة متألمة سريعة على قدميه، ولكن حذاء بوارو الجلدي اللامع لم يكن قد خطا إلاّ على الطريق العام فلم يكن به -لذلك- شيء من الوحل ليسقط على الفرش النظيف لأرضية بيت السيدة تاكر.

قالت وهي تتراجع من أمامه وتفتح باب غرفة عن يمينها: تفضل يا سيدي.

تبعها بوارو إلى غرفة استقبال صغيرة شديدة الترتيب تنبعث فيها رائحة المواد الملمِّعة للأثاث والنحاسيات، وكان فيها طقم مقاعد كبير، وطاولة مدوّرة، وحوضا ورد، وسياج مدفأة نحاسي محكم الصنع، إضافة إلى عدد كبير منوع من التحفيات الصينية.

قالت: أرجوك أن تجلس يا سيدي. لا أستطيع تذكر اسمك، بل ولا أظنه ذُكر أمامي أبداً.

قال بوارو بسرعة: اسمي هيركيول بوارو. وجدت نفسي مرة

أخرى في هذه المنطقة فجئت لأقدم لك تعازيّ وأسألك إن ظهرت تطورات. أظن أن قاتل ابنتك قد تم اكتشافه.

قالت السيدة تاكر بشيء من المرارة: ليس له أثر، وهذا أمر مخزٍ بكل ما في الكلمة من معنى. إني أرى الشرطة لا يزعجون أنفسهم عندما يتعلق الأمر بأناس مثلنا. ومن هم الشرطة على أية حال؟ إن كانوا جميعاً من أمثال بوب هوسكيتز فإنني أستغرب ألاّ يكون البلد كله مسرحاً للجرائم. كل ما يفعله بوب هوسكيتز هذا أنه يقضي وقته ينظر في السيارات الواقفة في الشارع الخلفي للقرية.

عند هذه النقطة ظهر السيد تاكر قرب الباب وقد نزع حذاءه وهو يمشي في جوربه. كان رجلاً ضخماً أحمر الوجه ذا ملامح هادئة مسالمة. قال بصوت أجش: الشرطة لا بأس بهم؛ إن لديهم مشكلاتهم مثل أي شخص آخر. ليس من السهل العثور على المهووسين هنا.

ثم أضاف وهو يوجه حديثه لبوارو مباشرة: إنهم يبدون تماماً مثلك أو مثلي.

ظهرت الفتاة الصغيرة التي فتحت الباب لبوارو من وراء ظهر والدها وبرز رأس صبي في الثامنة من عمره من جانب كتفها. كانوا جميعاً يحدقون إلى بوارو باهتمام شديد. قال بوارو: أظن أن هذه ابنتكم الصغيرة.

قالت السيدة تاكر: هذه ميريلين. نعم، وذاك غاري. تعال سلم على الضيف يا غاري وكن حسن السلوك.

تراجع غاري مبتعداً. قالت أمه: إنه يخجل.

قال السيد تاكر: إنه لطف كبير منك يا سيدي أن تأتي لتسأل عن مارلين. لقد كان ذلك أمراً فظيعاً.

قال بوارو: كنت قبل قليل في زيارة السيدة فوليات، ويبدو أنها أيضاً تشعر بهذا الشعور.

قالت السيدة تاكر: لقد بدا عليها المرض منذ تلك الحادثة. إنها سيدة عجوز، وكان الأمر صدمة كبيرة لها، خاصة وأنه حدث في بيتها.

لاحظ بوارو مرة أخرى أنّ لدى الجميع افتراضاً لا شعورياً بأن «ناسي» ما زال ملكاً للسيدة فوليات.

قال السيد تاكر: هذا يجعلها تشعر بالمسؤولية عن الحادث بطريقة ما، رغم عدم وجود علاقة لها بالأمر.

قال بوارو: من الذي اقترح أن تلعب مارلين دور الضحية؟

قالت السيدة تاكر فوراً: السيدة القادمة من لندن، التي تكتب القصص.

قال بوارو باعتدال: لكنها كانت غريبة هنا، حتى إنها لم تكن تعرف مارلين أصلاً.

- السيدة ماسترتن هي التي كانت تجمع الفتيات، وأظنها هي من طرح اسم مارلين للقيام بذلك الدور، وأظن أن مارلين كانت مسرورة بهذه الفكرة.

أحس بوارو ثانية أنه وصل إلى طريق مسدود، ولكنه عرف الآن ما الذي أحست به السيدة أوليفر عندما أرسلت في طلبه أول مرة. كان شخص يعمل في الخفاء، شخص طرح رغباته الخاصة مستخدماً في ذلك شخصين معروفين: السيدة أوليفر والسيدة ماسترتن.

قال بوارو: كنت أتساءل يا سيدة تاكر إن كانت مارلين تعرف من قبل ذلك الـ... المهووس القاتل.

قالت السيدة تاكر بعفة: ما كانت لتعرف أحداً كهذا.

- نعم، ولكن معرفة هؤلاء المهووسين -كما لاحظ زوجك قبل قليل- صعبة جداً. إنهم يبدون تماماً مثلك ومثلي. ربما تحدث شخص مع مارلين في المهرجان أو حتى قبله وتصادق معها بطريقة مسالمة تماماً، وربما أعطاها هدايا.

- آه، كلا يا سيدي. لم يحدث شيء من هذا؛ فما كانت مارلين لتأخذ هدايا من غريب. لقد ربيتها على أفضل من ذلك.

أصر بوارو وقال: لعلها لم ترَ ضرراً في هذا. افترضي أن التي قدمت لها الهدايا سيدة لطيفة.

- تقصد امرأة مثل السيدة ليغ التي تعيش في البيت المسمى ميل؟

- نعم، امرأة كهذه.

- لقد أعطت مارلين أحمر شفاه ذات مرة. وقد أطار ذلك صوابي، وقلت لمارلين: "إنني لن أسمح لك أن تضعي هذه القذارة على وجهك. فكري فيما يقوله والدك حين يراك". وقالت بغرورها المعتاد إن السيدة التي تعيش في ذلك البيت هي التي أعطتها إياه،

وقالت إنها أخبرتها أن أحمر الشفاه يناسبها كثيراً. طلبتُ إليها ألاّ تصغي لكلام سيدات لندن لأن هذا يناسبهن جداً؛ أن يصبغن وجوههن وأجفانهن وكل شيء آخر، وقلت لها: لكنك فتاة محتشمة، وعليك أن تكتفي بغسل وجهك بالماء والصابون حتى تكبري أكثر بكثير مما أنت عليه الآن.

قال بوارو وهو يبتسم: ولكني أظنها لم توافقك الرأي.

- حين أقول شيئاً فإنني أعنيه.

ضحكت الصغيرة البدينة ميريلين فجأة، ورماها بوارو بنظرة حادة، ثم سأل مضيفته: هل أعطت السيدة ليغ لمارلين شيئاً آخر؟

- أظن أنها أعطتها وشاحاً. وهو وشاح لم يعد ينفعها، مبهرج ولكنه ليس عالي الجودة. أنا أعرف النوعيات الجيدة حين أراها. كنت أعمل في بيت ناسي عندما كنتُ فتاة، وكان النساء يلبسن ملابس عالية الجودة في تلك الأيام، ليس فيها كل هذه الألوان المبهرجة وكل هذا النايلون والريون، بل حرير طبيعي جيد. لقد كان من شأن بعض فساتين التفتة التي كُنّ يلبسنها أن تقف لوحدها من جودة قماشها.

قال السيد تاكر متساهلاً: الفتيات يحببن قليلاً من الملابس المزركشة. أنا شخصياً لا أمانع في لبس بعض الألوان البراقة، ولكني لا أسمح بأحمر الشفاه القذر هذا.

قالت السيدة تاكر وقد دمعت عيناها فجأة: كنت حادة معها قليلاً. وقد رحلت بتلك الطريقة الفظيعة! تمنيت بعدها لو أنني لم

أتحدث معها بهذه القسوة. آه، ما عاد لدينا مؤخراً إلاّ المتاعب والجنائز. يقولون إن المتاعب لا تأتي فرادى، وهذا صحيح.

سأل بوارو بأدب: هل فقدتم أحداً آخر؟

شرح السيد تاكر: والد زوجتي. كان يعبر النهر على قاربه قادماً من الحانة في وقت متأخر من الليل، ولا بد أن قدمه قد زلت به وهو يصعد الرصيف فسقط في النهر. كان عليه طبعاً أن يلزم بيته في مثل هذه السن، ولكنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً بكبار السن... كان دائماً يتسكع قرب الرصيف.

- كان والدي مولعاً دوماً بمهنة القوارب. وقد اعتاد العناية بها للسيد فوليات في الماضي، كان ذلك قبل سنوات طويلة.

ثم أضافت بابتهاج: لم يكن والدي خسارة كبيرة، فقد تجاوز التسعين وكان مُتعِباً في كثير من تصرفاته ويهذي دوماً بكلام فارغ. لقد آن له أن يرحل، ولكن كان علينا أن ندفنه بمستوى لائق بالطبع. وجنازتان في وقت متقارب تكلفان كثيراً من المال.

مرت هذه الأفكار الاقتصادية على بوارو مرور الكرام؛ إذ كانت تتحرك في داخله ذكرى ضعيفة باهتة. قال: رجل عجوز... على الرصيف؟ أتذكّر أنني تحدثت معه. هل كان اسمه...؟

- ميرديل يا سيدي؛ هذا هو اسم عائلتنا.

- لقد كان والدُك -إن أسعفتني الذاكرة- كبيرَ البستانيين في البيت ناسي، أليس كذلك؟

- لا ، بل كان ذاك أخي الأكبر. كنت أصغر واحدة في العائلة ، وكنا أحد عشر فرداً.

ثم أضافت السيدة تاكر مفتخرة: كان يوجد دوماً أفراد من عائلة ميرديل يعملون في ناسي منذ سنوات طويلة ، ولكنهم تفرقوا الآن. كان والدي آخرنا.

قال بوارو بهدوء: ستكون عائلة فوليات دائماً في بيت ناسي.

- ماذا قلت يا سيدي؟

- أكرر العبارة التي قالها والدك العجوز لي فوق الرصيف.

- آه، كان والدي يتحدث بكلام فارغ كثير، وكنت أضطر لإسكاته كثيراً وبقسوة.

- إذن فقد كانت مارلين حفيدة ميرديل. نعم، بدأت أفهم.

سكت بعض الوقت وفي صدره يجيش انفعال بالغ ، ثم قال: هل قلتِ إن والدك غرق في النهر؟

- نعم يا سيدي. شرب كثيراً، ولا أعرف من أين أتى بالنقود؟ كان بالطبع يحصل على إكراميات من وقت لآخر وهو يساعد الناس على الرصيف في الحصول على القوارب. كان بارعاً في إخفاء النقود عني. أظن أنه شرب كثيراً، ثم زلت قدمه عندما كان يصعد الرصيف من القارب فسقط وغرق وانتُشلت جثته من هيلماوث في اليوم التالي. ويمكن للمرء أن يعجب كيف لم يحدث ذلك معه من قبل، رجل في الثانية والتسعين من عمره ونصف أعمى.

- الحقيقة تبقى أن هذا لم يحدث من قبل.

- نعم، ولكن الحوادث تقع عاجلاً أم آجلاً.

- حادث؟ إني أتساءل...

نهض بوارو وهو يتمتم قائلاً: كان يجب أن أخمن ذلك، وأن أخمنه منذ وقت طويل. لقد كادت الطفلة تخبرني بذلك!

- ماذا قلت يا سيدي؟

- لا شيء. مرة أخرى أقدم لكم تعازيّ بوفاة ابنتكم ووفاة والدك.

صافحهما وغادر البيت. قال في نفسه: لقد كنت غبياً، غبياً جداً! نظرت إلى كل شيء بالمقلوب.

- يا سيد...

كانت تلك همسة حذرة. نظر بوارو حوله فرأى الطفلة البدينة ميريلين تقف في ظل حائط البيت. أومأت إليه بيدها ليأتي عندها، وتحدثت معه همساً: والدتي لا تعرف كل شيء. مارلين لم تأخذ ذلك الوشاح من السيدة التي تعيش هناك في ذلك البيت.

- من أين حصلتْ عليه إذن؟

- لقد اشترته من توركيه، واشترت أحمر الشفاه أيضاً وعطراً مصنوعاً في باريس اسمه غريب، اسمه نيوت. واشترت علبة من مساحيق البشرة كانت قد قرأتْ عنها في أحد الإعلانات.

قهقهت ميريلين وقالت: والدتي لا تعرف؛ فقد خبأتها مارلين في مؤخرة الدُرج الذي تضع فيه ملابسها الشتوية. اعتادت أن تدخل إلى المرافق في محطة الحافلات وتجمّل نفسها هناك عندما تذهب إلى السينما.

قهقهت ميريلين مرة ثانية: لم تكن والدتي تعرف ذلك أبداً.

- ألم تجد أمك هذه الأشياء بعد وفاة أختك؟

هزت ميريلين رأسها الأشقر بالنفي وقالت: لا، فأنا أحتفظ بها الآن في درجي. أمي لا تعرف.

نظر بوارو إليها متفحصاً وقال: تبدين فتاة ذكية جداً يا ميريلين.

تبسّمت ميريلين ابتسامة بخجل وقالت: لا ترى الآنسة بيرو فائدة من محاولتي دراسة النحو.

قال بوارو: دراسة النحو ليست كل شيء. أخبريني، كيف كانت مارلين تحصل على النقود لتشتري هذه الأشياء؟

نظرت ميريلين إلى الأرض بإمعان وقالت: لا أعرف.

- بل أظن أنك تعرفين.

أخرج من جيبه نصف شلن ثم أضاف إليه نصفاً آخر ومدّهما لها قائلاً: أظن أن نوعاً جديداً وجذاباً من أحمر الشفاه قد ظهر ويدعى «كارمن كيس».

قالت ميريلين ويدها تمتد لتأخذ النقود: يبدو اسماً رائعاً.

ثم تحدثت بهمس سريع قائلة: كانت مارلين تتلصص في المنطقة قليلاً. اعتادت أن تعرف ما يجري، وكانت تَعِدُهم ألاّ تخبر أحداً فيقدمون لها هدية، هل فهمت؟

أرخى بوارو النقود في يدها وقال: فهمت. ثم أومأ لها برأسه وسار مبتعداً، وما لبث أن تمتم ثانية ولكن بنبرة أشد تركيزاً هذه المرة: فهمت.

وهكذا انتظمت العديد من الأمور في مكانها الصحيح الآن. ليس كل الأمور، ولم تكن كل الأمور واضحة تماماً بعد، ولكنه كان يسير في الطريق الصحيح. كان ذلك طريقاً واضحاً تماماً منذ البداية لو توفرت لديه فقط الفطنة لرؤيته. تلك المحادثة الأولى مع السيدة أوليفر، وبعض الكلمات العارضة من مايكل ويمان، والحديث مع العجوز ميرديل على الرصيف، وإحدى العبارات ذات الدلالة التي قالتها الآنسة بِرويس... ووصول إتيان دي سوزا.

كان بجوار مكتب بريد القرية كشك لهاتف عمومي. دخله بوارو وأدار رقماً، وبعد بضع دقائق كان يتحدث مع المفتش بلاند الذي سأل: حسناً يا سيد بوارو، أين أنت؟

- أنا هنا في ناسكوم.

- ولكن، ألم تكن في لندن مساء أمس؟

- لا يستغرق المجيء إلى هنا إلاّ ثلاث ساعات ونصفاً في قطار جيد. عندي سؤال لك.

- نعم، ما هو؟

- ما نوع يخت إتيان دي سوزا؟

- ربما استطعتُ أن أخمّن ما تفكر فيه يا سيد بوارو، ولكني أؤكد لك عدم وجود شيء من ذلك. لم يكن يصلح للتهريب إن كان هذا هو قصدك. لا توجد أماكن سرية فيه للاختفاء أو فتحات سرية صغيرة، وإلاّ كنا قد كشفناها. لم يكن فيه أي موضع لإخفاء جثة.

- أنت مخطئ يا عزيزي؛ فلم أكن أقصد هذا. سألتك فقط عن نوع اليخت، أكان كبيراً أم صغيراً؟

- لقد كان ضخماً وأنيقاً ومصبوغاً بألوان زاهية وفيه وسائل ترفيه. لا بد أنه كلف مالاً كثيراً.

قال بوارو: بالضبط.

بدا مسروراً جداً بحيث دُهش المفتش بلاند كثيراً: ما الذي تريد الوصول إليه يا سيد بوارو؟

- إتيان دي سوزا رجل غني، وهذا يا صديقي له دلالته الكبيرة.

- لماذا؟

- إن ذلك يناسب فكرتي الأخيرة.

- إذن فعندك فكرة؟

- نعم، أخيراً صار عندي فكرة. لقد كنت غبياً جداً حتى وقت قريب.

- تقصد أننا كنا جميعاً أغبياء؟

- لا، بل قصدت نفسي تحديداً؛ فقد توفرت لي فرصة ذهبية كان الطريق فيها واضحاً تماماً أمامي، ومع ذلك لم أره.

- وهل توصلت الآن قطعاً إلى شيء محدد؟

- أظن ذلك، نعم.

- اسمعني يا سيد بوارو...

لكن بوارو وضع السماعة وبحث في جيبه عن قطعة نقدية ليتصل بالسيدة أوليفر على رقمها في لندن. وبعدما طلبها بالاسم من عاملة البدالة سارع إلى القول: ولكن لا تزعجي السيدة لتردّ على الهاتف إن كانت تعمل.

تذكّر بوارو كيف أن السيدة أوليفر قد وبّخته بشدة ذات مرة لأنه قطع سلسلة أفكارها الخلاقة، وتذكّر كيف فقدَ العالم -نتيجة لذلك- لغزاً مثيراً يدور حول سترة صوفية قديمة ذات أكمام طويلة. ومع ذلك فلم تستطع عاملة البدالة أن تقدر وازعه حق قدره إذ سألته: حسناً، أتريد مكالمة شخصية أو لا تريد؟

- بل أريد.

وهكذا ضحى بوارو بعبقرية السيدة أوليفر الخلاقة على مذبح نفاد صبره. ولكنه ارتاح عندما تكلمت؛ فقد قطعت عليه اعتذاراته قائلة: رائع جداً أنك اتصلت بي. كنت سأخرج من فوري لألقي محاضرة عنوانها «كيف أكتب قصصي»، والآن يمكنني أن أطلب من سكرتيرتي الاتصال لتعتذر بسبب ظروف قاهرة منعتني من الحضور.

- ولكن يا سيدتي، يجب ألاّ تدعيني أمنعك...

قالت أوليفر بمرح: إنها ليست مسألة منع. لو ذهبت فإنني سأجعل من نفسي أضحوكة للناس؛ أقصد: ماذا تستطيع أن تقول في كيفية كتابة القصة؟ ما أعنيه هو أن عليك أولاً أن تفكر في شيء، وحين تفكر فيه تجبر نفسك على الجلوس لتكتبه... هذا كل ما في الأمر. كان شرح ذلك سيستغرق مني ثلاث دقائق فقط، ثم تنتهي المحاضرة ويشعر الجميع بالسأم. لا أستطيع أن أتصور لماذا يحرص الجميع كل هذا الحرص على جعل الكتّاب يتحدثون عن الكتابة. كنت أظن أن وظيفة الكاتب هي أن يكتب لا أن يتحدث!

- ومع ذلك فإن سؤالي لك يتعلق بالكيفية التي تكتبين بها.

- يمكنك أن تسأل، ولكني قد لا أعرف الإجابة. أقصد أنني أجلس وأكتب. لقد لبست قبعة سخيفة جداً قبل نصف دقيقة لأذهب بها إلى المحاضرة ويجب أن أنزعها الآن؛ إنها تحك جبيني.

ساد الصمت على خط الهاتف لحظة ثم عادت السيدة أوليفر لتكمل بشيء من الارتياح: القبعات -في الحقيقة- مجرد رمز في هذه الأيام، أليس كذلك؟ أقصد أن المرء لم يعد يلبسها لأسباب معقولة، كأن يحفظ رأسه دافئاً أو لتحميه من الشمس أو تخفي وجهه عن أناس لا يريد أن يقابلهم... ماذا يا سيد بوارو؟ هل قلتَ شيئاً؟

قال بوارو: كان مجرد صوت فقط... ثم أضاف والرهبة تملأ صوته: أمر غريب جداً؛ أنت دائماً توحين إليّ بالأفكار، وكذلك كان صديقي هيستينغز الذي لم أره منذ سنوات طويلة. لقد أعطيتني

للتوّ مفتاحاً لحل جزء آخر من مشكلتي. ولكن لا داعي لمزيد من هذا الحديث الآن، دعيني أطرح عليك سؤالي: هل تعرفين عالِمَ ذرةٍ يا سيدتي؟

ردّدت أوليفر بصوت مدهوش: هل أعرف عالم ذرة؟ لا أدري، ربما كنت أعرف... أقصد أنني أعرف بعض الأساتذة وبعض الأمور، ولكني لست متأكدة تماماً ما الذي يفعلونه عملياً.

- ومع ذلك جعلتِ عالم ذرة أحدَ المشتبه بهم في مسابقتك «البحث عن القاتل»؟

- تقصد ذلك؟ لقد فعلته من باب مجاراة الحداثة، فعندما ذهبت لشراء الهدايا لأبناء أخي في العيد الماضي لم يكن من شيء أشتريه لهم إلا الروايات العلمية وألعاب الفضاء، إضافة إلى الألعاب العلمية المتطورة. وهكذا فكرت -حين بدأت العمل في مسابقة البحث عن المجرم- أن من الأفضل أن أكون عصرية وأضع عالم ذرة ليكون المشبوه الرئيسي، ولو احتجت إلى بعض الكلمات الفنية لأضعها على لسان ذلك العالم لكان بوسعي دوماً الحصول عليها من أليك ليغ.

- أليك ليغ؟ زوج سالي ليغ؟ هل هو عالم ذرة؟

- نعم، إنه عالم ذرة. ليس في هازويل، بل في مكان ما من ويلز، لا أدري إن كان كارديف أم بريستول؟ والبيت الذي يسكنانه في هيلم هو لقضاء العطلة فقط. نعم، وهكذا فإنني بالطبع أعرف عالم الذرة.

- وربما كان لقاؤك به في «ناسي» هو الذي وضع فكرة عالم ذرة في رأسك، أليس كذلك؟ ولكن زوجته ليست يوغسلافية.

- نعم؛ سالي إنكليزية أباً عن جد. لا بد أنك أدركتَ ذلك.

- إذن فما الذي وضع فكرة الزوجة اليوغسلافية في رأسك؟

- في الحقيقة لا أعرف. ربما اللاجئون؟ الطلاب؟ هؤلاء الفتيات الأجنبيات في بيت الشباب ممن يتجاوزن أراضي ناسي من خلال الغابة ويتحدثن لغة إنكليزية مشوّهة.

- فهمت. نعم، لقد فهمت الآن كثيراً من الأمور.

- وقد آن لك ذلك.

- عفواً، ماذا قلت؟

- قلت: آن لك ذلك، أعني أن تفهم الأمور. فحتى الآن يبدو أنك لم تفعل شيئاً.

كان في صوتها تأنيب فقال بوارو يدافع عن نفسه: لا يمكن للمرء أن يصل إلى الأمور كلها في لحظة واحدة. لقد حيّر هذا الأمر الشرطة تماماً.

- آه، يا للشرطة! لو كانت امرأة على رأس سكوتلانديارد...

أسرع بوارو لمقاطعتها وهو العارف بهذه العبارة المشهورة: لقد كانت المسألة معقدة، معقدة جداً، ولكني الآن -وهو سرّ بيني وبينك- قد وصلت!

بقيت السيدة أوليفر غير متأثرة وقالت: ربما، ولكن وقعت في غضون ذلك جريمتا قتل.

صحح بوارو قولها: بل ثلاث.

- ثلاث جرائم؟ من هو الثالث؟

- عجوز يدعى ميرديل.

- لم أسمع بتلك الجريمة. هل ستُنشر في الصحف؟

- لا؛ فحتى الآن لا يظنونها غير حادث عارض.

- وهي لم تكن حادثاً عارضاً؟

- نعم؛ لم تكن حادثاً عارضاً.

- حسناً، أخبرني مَن الذي ارتكبها... أعني من الذي ارتكب تلك الجرائم جميعاً. أم أنك لا تستطيع قول ذلك في الهاتف؟

- المرء لا يقول مثل هذه الأشياء في الهاتف.

- إذن فسأضع السماعة، لا أستطيع أن أحتمل ذلك.

- انتظري لحظة. لديّ شيء آخر أردت أن أسألك عنه، ولكن دعيني أتذكره، فقد نسيته.

- هذه علامة على كبر السن، وهي تصيبني أنا أيضاً.

- كان عندي شيء، نقطة صغيرة أقلقتني. كنتُ في سقيفة القوارب...

أعاد بوارو ذاكرته إلى الوراء، إلى تلك الكومة من المجلات الهزلية وعبارات مارلين المخربَشة على الهامش. كان قد شعر بأن فيها شيئاً ناقصاً، شيئاً يجب أن يسأل عنه السيدة أوليفر.

سألته أوليفر: هل ما زلت على الخط يا سيد بوارو؟

في تلك اللحظة طلبت عاملة البدالة مزيداً من القطع النقدية، وبعدما وضع بوارو ما هو مطلوب تحدّث ثانية: أما زلت على الخط يا سيدتي؟

- أجل. دعنا لا نضيع نقودنا ونحن نسأل بعضنا إن كنا ما نزال موجودين أم لا... ما هو سؤالك؟

- إنه شيء مهم جداً. هل تذكرين مسابقة البحث عن القاتل؟

- أتذكّرها بالطبع. ألم تكن المسابقة -عملياً- موضوع حديثنا قبل قليل؟

- لقد أخطأتُ خطأً جسيماً واحداً. لم أقرأ أبداً مختصراتك التي كتبتِها للمتسابقين؛ فهي لم تبدُ ذات أهمية في خضم اكتشاف جريمة القتل. ولكني كنت مخطئاً، فهي مهمة فعلاً. أنت امرأة ذات حس مرهف -يا سيدتي- يؤثر بك الجو المحيط وشخصيات الناس الذين تلتقين بهم، وهذا التأثير يجد صداه في أعمالك. صحيح أن ذلك لا يكون واضحاً، ولكن ما حولك يشكل مصدر الإلهام الذي يغرف منه عقلك الخصب إبداعاته.

- هذه لغة جميلة ملونة، ولكن ما الذي تعنيه بالضبط؟

- أقصد أنك كنت دائماً تعرفين عن هذه الجريمة أكثر مما كنت تدركين. والآن لنعد إلى السؤال الذي أريده... وهما سؤالان عملياً، ولكن الأول مهم جداً: هل كنت تقصدين -عندما بدأت أول مرة التخطيط لمسابقتك- أن يتم اكتشاف الجثة في سقيفة القوارب؟

- لا، لم أقصد ذلك.

- أين كنت تريدين لها أن تُكشف؟

- في ذاك البيت الصيفي الصغير المدسوس بعيداً بين شجيرات الورد قرب المنزل، فقد رأيت فيه المكان المناسب تماماً. ثم جاء شخص (لا أذكر من هو بالضبط) وبدأ يلحّ على أنها يجب أن تُكشف في «الحماقة»... أقصد في «مبنى المعبد». كانت تلك بالطبع فكرة سخيفة! فقد كان من الممكن أن يذهب أي شخص إلى ذلك المكان بطريقة غير مقصودة فيعثر صدفة على الجثة دون أن يتبع أي مفتاحٍ واحد للغز. الناس أغبياء جداً! وأنا لم أوافق على تلك الفكرة بالطبع.

- فقبلتِ بسقيفة القوارب بدلاً من ذلك؟

- نعم، هذا ما حدث تماماً. لم يظهر -في الواقع- أي اعتراض على سقيفة القوارب، رغم أني بقيت على رأيي بأن من شأن البيت الصيفي أن يكون أفضل.

- نعم، هذا هو الأسلوب الذي أوضحتِه لي في ذلك اليوم الأول. بقي أمر آخر: هل تذكرين أنك قلت لي شيئاً بشأن مفتاحٍ أخيرٍ للّغز مكتوبٍ على إحدى المجلات الهزلية التي أُعطيت لمارلين لتتسلى بها؟

- نعم، بالطبع.

- فأخبريني: هل كان ذلك المفتاح شيئاً مثل...

رجع بوارو بذاكرته إلى اللحظة التي وقف يقرأ فيها عبارات مخربشة عديدة، حتى إذا تذكرها قال للسيدة أوليفر: مثل «جورجي بورجي يقبّل السائحات في الغابة» و«بيتر يقرص الفتيات في السينما»؟

قالت السيدة أوليفر وكأنها صُدمت قليلاً: يا إلهي! لا، لم يكن شيئاً سخيفاً كهذا. لا، كان ما وضعتُه مفتاحاً صريحاً للّغز. كان ما يلي (ثم خفضت صوتها وتحدثت بنبرات غامضة): فتّش حقيبة السائح.

صاح بوارو: مدهش! مدهش! ومن الطبيعي أن المجلة الهزلية التي عليها هذه العبارة قد أُخذت من السقيفة حتماً؛ إذ كان من شأنها أن تعطي أحداً أفكاراً كثيرة!

- وقد كانت الحقيبة على الأرض طبعاً، بجانب الجثة، و...

- ولكن الحقيبة التي أفكر فيها غير هذه الحقيبة.

تذمرت السيدة أوليفر وقالت: أنت تربكني بكل هذه الحقائب. كانت في مسابقتي حقيبة واحدة فقط، ألا تريد أن تعرف ماذا كان فيها.

- أبداً.

ثم استدرك بأدب: أعني أنني أتوق لسماع ذلك بالطبع، ولكن...

اندفعت السيدة أوليفر للتعليق على «ولكن». قالت باعتزاز الكاتبة: أظنها كانت فكرة عبقرية؛ ففي حقيبة مارلين التي يُفترَض أنها كانت حقيبة الزوجة اليوغسلافية إن كنت تفهم ما أعنيه...

قال بوارو وهو يستعد مرة ثانية للضياع في متاهات سردها: نعم، نعم.

- كان فيها زجاجة دواء فيها سم استعمله مالك الأراضي ليقتل زوجته. وكانت الفتاة اليوغسلافية هناك تتدرب كممرضة، وكانت في البيت عندما سمَّ الكولونيل بلانت زوجته الأولى للحصول على مالها، وقد وجدت الممرضة الزجاجة فأخذتها بعيداً ثم عادت لابتزازه. هذا هو بالطبع سبب قتله لها. هل يتطابق هذا يا سيد بوارو؟

- يتطابق؟ مع ماذا؟

- مع أفكارك.

- على الإطلاق.

ولكنه سارع إلى القول: ورغم ذلك تقبّلي تهنئتي يا سيدتي. أنا واثق أن مسابقتك كانت من العبقرية بحيث لم يفُزْ أحد بالجائزة.

- لكنهم فازوا في وقت متأخر جداً، في الساعة السابعة تقريباً. سيدة عجوز عنيدة جداً يُفترض أنها خرفت تماماً وصلتْ إلى جميع

المفاتيح، ووصلت إلى سقيفة القوارب فَرِحة، ولكن الشرطة كانوا هناك طبعاً. ثم سمعت بجريمة القتل، وأظنها كانت آخر إنسان في المهرجان كله يسمع بها.

ثم أضافت أوليفر راضية: وعلى أية حال فقد أعطوها الجائزة. أما ذلك الشاب المنمش الوجه الذي زعم أنني أشرب كثيراً فلم يصل إلى أبعد من حديقة الكاميليا.

- يوماً ما -يا سيدتي- ستحكين لي قصتك هذه.

- في الحقيقة أنا أفكر في كتابتها كرواية؛ فسوف سيكون من المؤسف تضييع هذه الفرصة.

ولعل مما يجدر ذكره هنا أن هيركيول بوارو قرأ بعد ذلك بنحو ثلاث سنين رواية «امرأة في الغابة» للكاتبة أيريادن أوليفر، وقد تساءل وهو يقرؤها لماذا بدت له بعض الشخصيات والأحداث مألوفة على نحو غامض.

* * *

الفصل الثامن عشر

كانت الشمس تغرب عندما وصل بوارو إلى ما كان يسمى رسمياً «البيت ميل» فيما يسميه أهل المنطقة البيت الوردي قرب من خليج لودر. طرق الباب ففُتح بشكل مفاجئ سريع جعله يجفل ويرتد للوراء. حدق إليه الشاب الغاضب الذي فتح الباب دون أن يعرفه، ثم ضحك ضحكة قصيرة وقال: أهلاً، رجل التحري! تفضل يا سيد بوارو، إني أحزم متاعي.

قبل بوارو الدعوة ودخل البيت. كان أثاثه رديئاً وبسيطاً، وكانت أمتعة أليك ليغ الشخصية في تلك اللحظة تشغل مساحة كبيرة؛ فقد تناثرت الكتب والصحف وقطع الثياب في الغرفة، ووُضعت على الأرض حقيبة ملابس مفتوحة.

قال أليك ليغ: إنه الانفصال النهائي للأسرة؛ لقد رحلت سالي، وأظنك تعرف ذلك.

- لا، لا أعرف ذلك.

ضحك أليك ليغ ضحكة صغيرة: يسعدني أنه يوجد شيء

لا تعرفه. نعم، لقد سئمت الحياة الزوجية. إنها ذاهبة لتربط حياتها مع ذلك المعماري التافه.

- يؤسفني سماع ذلك.

- لا أرى سبباً يدعوك للأسف.

قال بوارو وهو يبعد كتابين وقميصاً من زاوية إحدى الأرائك ويجلس عليها: أنا آسف لأنني لا أظنها ستسعد معه مثلما كانت ستسعد معك.

- لم تكن شديدة السعادة معي في الأشهر الستة الأخيرة.

- إن الستة الأشهر ليست هي كل الحياة، بل هي فترة قصيرة جداً من حياة زوجية ربما كانت طويلة وسعيدة.

- أنت تتحدث كالوعّاظ، أليس كذلك؟

- ربما. هل لي أن أقول -يا سيد ليغ- إن زوجتك إن لم تكن سعيدة معك فربما كان هذا خطأك أكثر منه خطأها هي.

- إنها ترى ذلك بالتأكيد؛ أحسب أن كل الأخطاء أخطائي.

- ليس كل الأخطاء، وإنما بعضها.

- آه، ضع اللوم كله عليّ. ربما كان من الأفضل أن أُغرق نفسي في النهر لينتهي الأمر.

نظر بوارو إليه متأملاً وقال: يسعدني أن أراك الآن أكثر انشغالاً بمشكلاتك الخاصة منك بمشكلات العالم.

قال ليغ: فليذهب العالم إلى الجحيم. ثم أضاف بمرارة: يبدو أنني جعلت من نفسي مغفلاً طوال الوقت.

- نعم؛ أظن أن الأحرى أن يقال عن سلوكك إنه مؤسف أكثر مما هو سلوك يستحق التأنيب.

حدق أليك ليغ إليه وقال: من استأجرك للتجسس عليّ؟ هل هي سالي؟

- ولماذا تظن ذلك؟

- لم يحدث شيء رسمي، ولذلك استنتجتُ أنك تبعتني إلى هنا بناء على تكليف خاص.

- أنت مخطئ؛ لم أكن أتجسس عليك في أي وقت. وعندما جئتُ إلى هنا لم يكن لديّ علم بوجودك في هذه الدنيا.

- إذن فكيف تعرف إن كان سلوكي مؤسفاً أو أنني جعلت من نفسي مغفلاً أو غير ذلك؟

- بالملاحظة والتفكير. هل لي أن أخمن شيئاً ثم تخبرني أهو صحيح هو أم لا؟

- خمّنْ ما تشاء، ولكن لا تتوقع مني أن ألعب اللعبة معك.

- أظن أنك كنت -قبل بضع سنوات- تتعاطف مع حزب سياسي ككثير من الشباب الذين لهم ميول علمية. وفي مثل مهنتك فإن العواطف والميول السياسية يُنظَر إليها بعين الريبة. لا أظن أنك قد تعرضت أبداً للكشف والفضيحة بشكل خطير، ولكني أظن أنك

تعرضت إلى ضغط لتعزيز موقعك في ذلك الحزب بطريقة لم ترغب أنت فيها. حاولت الانسحاب فقوبلت بالتهديد، وضُرب لك موعد للقاء شخص ما. لا أظن أنني سوف أعرف أبداً اسم ذاك الشاب، سيبقى بالنسبة لي دائماً «الفتى صاحب قميص السلاحف».

انفجر أليك ليغ ضاحكاً فجأة وقال: لعل ذلك القميص كان دعابة صغيرة. لم أكن أرى الأشياء ممتعة كثيراً في ذلك الوقت.

واصل هيركيول بوارو: وبسبب قلقك على مصير العالم، وقلقك لمأزقك الخاص، أصبحت رجلاً يستحيل على أية امرأة أن تعيش سعيدة معه. أنت لم تكن تثق بزوجتك وتطلعها على متاعبك، وكان هذا أمراً مؤسفاً بالنسبة لك لأنني أحسب أن زوجتك امرأة مخلصة، ولو أنها أدركت كم أنت حزين وبائس لوقفت إلى جانبك من كل قلبها. ولكنها بدلاً من ذلك بدأتْ تقارنك -مقارنة ليست في صالحك- بصديق سابق لها هو مايكل ويمان.

نهض على قدميه وأكمل يقول: أنصحك يا سيد ليغ أن تكمل حزم أمتعتك في أسرع وقت، وأن تتبع زوجتك إلى لندن وتطلب منها أن تسامحك وتخبرها بكل ما مر بك من مصاعب.

- إذن فهذه هي نصيحتك. وما شأنك أنت بكل ذلك؟

قال بوارو: لا شأن لي. ثم تراجع ناحية الباب وقال: ولكني على حق دائماً.

سادت لحظة صمت، ثم انفجر أليك ليغ في ضحكة عنيفة مدوية وقال: أتعرف؟ أظنني سآخذ بنصيحتك؛ فالطلاق مكلف جداً.

وعلى أية حال فإن أنت أمسكت بالمرأة التي تريدها ثم لم تستطع الاحتفاظ بها فسيكون ذلك مخزياً، أليس كذلك؟ سأذهب إلى شقتها في تشيلسي، وإن وجدت مايكل هناك فسأمسك به من ربطته التافهة وأخنقه بها، وسوف أستمتع بذلك. نعم؛ سوف أستمتع كثيراً!

ثم أضاء وجهه فجأة بابتسامة جذابة جداً وقال: إنني آسف على مزاجي البذيء، وشكراً جزيلاً لك.

ضرب بيده على كتف بوارو، فترنح بوارو من قوة الضربة وكاد يقع، وشعر بأن صداقة أليك ليغ كانت أشد إيلاماً بالتأكيد من عداوته.

قال بوارو وهو يغادر البيت وقدماه تؤلمانه وهو ينظر إلى السماء التي أخذت تظلم: والآن، أين أذهب؟

* * *

الفصل التاسع عشر

رفع قائد الشرطة والمفتش بلاند بصرهما بفضول شديد عندما أطلّ بوارو عليهما من الباب.

لم يكن رئيس الشرطة في أحسن حالات مزاجه، فقد ألحّ عليه بلاند حتى جعله يلغي موعد عشاء له في ذلك المساء، وقد قال بكثير من الغيظ: أعرف يا بلاند، أعرف. ربما كان هذا البلجيكي أعجوبة في زمانه، ولكن أيامه انتهت بالتأكيد. كم عمره الآن؟

تملص بلاند بلباقة من الإجابة عن هذا السؤال الذي لم يكن يعرف إجابة له أصلاً؛ فقد كان بوارو نفسه متحفظاً دائماً في مسألة سنه. وكان بلاند قد قال له: المهم يا سيدي أنه كان هناك، في موقع الجريمة. ونحن لا نصل إلى أية نتيجة بالطرق الأخرى. لقد وصلنا إلى طريق مسدود تماماً.

زفر رئيس الشرطة غاضباً وقال: أعرف، أعرف. هذا يجعلني أبدأ في تصديق نظرية السيدة ماسترتن عن الانحراف الإجرامي، بل إنني مستعد لاستخدام الكلاب البوليسية إن كان من مكان لاستخدامها فيه.

- الكلاب البوليسية لا تستطيع اتباع أثر فوق الماء.

- نعم، أعرف شكوكك الدائمة في دي سوزا يا بلاند. ولعلي أميل إلى الموافقة على رأيك، ولكن لا يوجد دافع أبداً لديه، ولا حتى أثر بسيط لدافع.

- ربما يكون الدافع خارج البلاد في الجزر.

- هل تقصد أن هاتي ستبس كانت تعرف شيئاً عن دي سوزا هناك؟ أظن أن هذا أمر ممكن ومعقول إذا ما أخذنا عقليتها بعين الاعتبار. الجميع متفقون على أنها كانت ساذجة، وكان ممكناً أن تبوح بما تعرفه لأي امرئ وفي أي وقت. أهكذا ترى الأمر؟

- شيء من هذا القبيل.

- إن كان الأمر كذلك فقد انتظر الرجل وقتاً طويلاً قبل أن يعبر البحر ويأتي ليعالج الموضوع.

- حسناً، لعله يا سيدي لم يعرف ماذا حل بها بالضبط. كانت روايته أنه رأى خبراً في إحدى المجلات الاجتماعية عن البيت ناسي وعن سيدته الجميلة... وكما قلت فقد مر زمن طويل على افتراق الاثنين، وربما كانت روايته صحيحة، ولم يكن يعرف حتى ذلك الحين أين كانت أو من الذي تزوجته.

- أتعني أنه عندما عرف جاء مسرعاً في يخت لكي يقتلها؟ هذا مستبعَد يا بلاند، مستبعد جداً؟

- ولكنه ممكن يا سيدي.

- وما الذي كانت المرأة تعرفه؟

- تذكّر ما قالت لزوجها: «إنه يقتل الناس».

- وهل تذكّرت جريمة قتل وقعت عندما كانت هي في الخامسة عشرة؟ من المؤكد أن مثل هذا الاحتمال مضحك.

قال بلاند معانداً: نحن لا نعرف الحقائق. أنت نفسك تعرف كيف أن المرء حين يعرف مَن الذي ارتكب جرماً فإنه يستطيع البحث عن دليل، وإيجاده أيضاً.

- لقد أجرينا تحريات بشأن دي سوزا بطريقة سرية، عبر القنوات المعتادة، ولم نصل إلى شيء.

- هذا هو -يا سيدي- السبب الذي ربما جعل هذا العجوز البلجيكي المضحك يعثر على شيء. لقد كان في البيت، وهذا هو الشيء المهم. لقد تحدثت الليدي ستبس معه، ولعله استرجع في ذهنه بعض الأشياء العشوائية التي قالتها فأصبح لها معنى. وكائناً ما كان الأمر فقد كان في ناسكوم معظم هذا اليوم.

- وقد اتصل بك ليسألك عن نوع اليخت الذي كان يمتلكه إتيان دي سوزا؟

- عندما اتصل أول مرة، نعم. الاتصال الثاني كان لكي يطلب مني ترتيب هذا اللقاء.

نظر رئيس الشرطة إلى ساعته وقال: حسناً، إن لم يأت خلال خمس دقائق...

ولكن هيركيول بوارو ظهر في تلك اللحظة تحديداً. لم يكن مظهره شديد التأنق والترتيب كعادته، فقد تهدل شاربه من أثر هواء ديفون الرطب، وكان حذاؤه الجلدي مغطى بالوحل، وهو يعرج بمشيته منفوش الشعر.

صافحه رئيس الشرطة وهو يقول: حسناً، ها أنت يا سيد بوارو. إننا نقف على أمشاط أرجلنا ترقباً لسماع ما تريد قوله لنا.

كانت الكلمات تحمل نبرة خفيفة من السخرية، ولكن رغم إرهاق بوارو جسمياً فهو لم يكن في مزاج يسمح له بإظهار أي كلل عقلي. قال: لا أستطيع أن أتصور لِمَ لمْ أبصر الحقيقة من قبل.

سمع رئيس الشرطة هذه الجملة بفتور: هل نفهم من هذا أنك ترى الحقيقة الآن؟

- نعم، ما زالت بعض التفصيلات خافية، لكن الإطار العام واضح.

قال رئيس الشرطة بجفاء: نريد أكثر من إطار عام؛ نريد دليلاً. هل حصلت على دليل يا سيد بوارو؟

- يمكنني أن أخبرك أين تجد الدليل.

تكلم المفتش بلاند: حسناً، أين؟

التفت بوارو إليه وسأله سؤالاً: أظن أن إتيان دي سوزا قد غادر البلد، أليس كذلك؟

قال بلاند بمرارة: قبل أسبوعين، ولن تكون إعادته سهلة.

- ربما أمكن إقناعه.

- إقناعه؟ ألا يوجد دليل يكفي لإصدار مذكرة لتسليمه لنا؟

- إنها ليست مسألة مذكرة تسليم... إذا ذُكرت الحقائق.

تكلم رئيس الشرطة غاضباً: أية حقائق يا سيد بوارو؟ ما هي هذه الحقائق التي تتحدث عنها بكل هذا الإسهاب؟

- حقيقة أن إتيان دي سوزا جاء هنا في يخت فاخر جداً ليظهر ثراء عائلته، وحقيقة أن العجوز ميرديل كان جد مارلين تاكر؛ الأمر الذي لم أعرفه حتى هذا اليوم، وحقيقة أن الليدي ستبس كانت مولعة بارتداء ذلك النوع من القبعات الصينية العريضة، وحقيقة أن السيدة أوليفر -رغم خيالها الجامح الذي لا يوثق به- هي امرأة بعيدة النظر في الحكم على الناس دون أن تدري هي بذلك، وحقيقة احتفاظ مارلين تاكر بأحمر شفاه وقناني عطر في مؤخرة درج ملابسها، وحقيقة قول الآنسة برويس إن الليدي ستبس هي التي طلبت منها أن تأخذ صينية المرطبات إلى مارلين في سقيفة القوارب...

حدق إليه رئيس الشرطة قائلاً: حقائق؟ هل تسمي هذه حقائق؟ ليس فيها شيء جديد.

- أتفضّل دليلاً، دليلاً محدداً مثل... جثة الليدي ستبس؟

كان بلاند هو الذي حدق إليه الآن قائلاً: أَوَقَدْ وجدت جثة الليدي ستبس؟

- لم أجدها عملياً، ولكني أعلم مخبأها. ستذهبون إلى

المكان، وحين تجدونها هناك، عندها ستجدون دليلاً، كل الأدلة التي تحتاجونها؛ لأن شخصاً واحداً فقط هو الذي يستطيع أن يخبئها هناك.

- ومن هو هذا الشخص؟

ابتسم هيركيول بوارو، ابتسامة قطة راضية لعقت صحناً من القشدة، ثم قال بهدوء: إنه الشخص الذي غالباً ما يكون القاتل؛ الزوج. لقد قتل السير جورج ستبس زوجته!

-لكن هذا مستحيل يا سيد بوارو. إننا نعرف أنه مستحيل.

- آه، لا. ليس مستحيلاً أبداً! استمعوا فسوف أخبركم.

* * *

الفصل العشرون

وقف هيركيول بوارو لحظة عند البوابة الحديدية الضخمة ونظر أمامه إلى الممر المنحني الذي يفضي إلى البيت. كانت آخر الأوراق الذهبية قد سقطت عن الأشجار. تنهد، ثم التفت ودق باب البيت الصغير الأبيض.

بعد بضع دقائق سمع وقع أقدام في الداخل، تلك الأقدام البطيئة المترددة. فتحت السيدة فوليات الباب، ولم يجفل هذه المرة من رؤية مدى ما يبدو عليها من كبر وضعف.

قالت: سيد بوارو؟ أنت ثانية؟

- هل لي أن أدخل؟

- بالطبع.

تبعها إلى الداخل. قدمت له كوب شاي فرفضه، ثم سألته بصوت هادئ: لماذا جئت؟

- أظنك تستطيعين تخمين ذلك يا سيدتي.

كان جوابها غير مباشر، إذ قالت: أنا متعبة جداً.

- أعرف. لقد وقعت الآن ثلاث وَفيات: هاتي ستبس، ومارلين تاكر، والعجوز ميرديل.

قالت محتدة: ميرديل؟ كان ذلك حادثاً فقد سقط عن الرصيف. كان رجلاً طاعناً في السن كبيراً وشبه أعمى، وكان قبلها يشرب في الحانة.

- لم يكن حادثاً؛ كان ميرديل يعرف كثيراً.

- ماذا كان يعرف؟

- لقد ميّز وجهاً، أو طريقة في المشي، أو صوتاً... شيئاً من هذا النوع. لقد تحدثتُ إليه في أول يوم جئت به إلى هنا وأخبرني -آنذاك- كل شيء عن عائلة فوليات؛ عن والد زوجك وزوجك وولديك اللذين قتلا في الحرب. إلا أنهما... لم يُقتلا كلاهما، أليس كذلك؟ لقد غرق ابنك هنري في سفينته، لكن الابن الثاني جيمس لم يُقتل، بل فرّ من الجيش. ربما تم التبليغ عنه أولاً بأنه «مفقود ويُظن أنه مقتول»، وبعد ذلك أخبرتِ الجميع أنه قتل بالفعل. لم يكن من شأن أحد أن يكذّب ذلك التصريح، ولماذا يكذبونه؟

توقف بوارو قليلاً ثم تابع: لا تظني أنني لا أتعاطف معك يا سيدتي. أعلم أن الحياة كانت قاسية عليك. لم تكن لديكِ أية أوهام بشأن مدى سوء ابنك الأصغر، ولكنه كان ابنك، وكنت تحبينه. لقد فعلت كل ما بوسعك لتعطيه حياة جديدة. لقد توليت مسؤولية فتاة صغيرة ضعيفة الذكاء، لكنها كانت غنية جداً. نعم، كانت غنية.

ونشرتِ بين الناس أن والديها قد فقدا كل ثروتهما وأنها فقيرة وأنك نصحتِها بالزواج برجل غني يكبرها بسنوات عديدة. فلماذا يكذّب أي امرئ قصتك؟ مرة أخرى: لم يكن هذا من شأن أحد. لقد قُتل والداها وأقرباؤها المقربون، وعملت شركة محامين فرنسية في باريس حسب توصيات محامين في سان ميغيل، وكانت الترتيبات تقضي بأن تتولى السيطرة على ثروتها عند زواجها. كانت -كما قلتِ لي- سهلة الانقياد رقيقة وسهلة التأثر بآراء الناس، توقّع كل ورقة يطلب زوجها منها أن توقعها. ربما تم تبديل السندات المالية وإعادة بيعها عدة مرات، وفي النهاية تم الوصول إلى النتيجة المالية المطلوبة، فقد أصبح السير جورج ستبس (وهي الشخصية الجديدة التي انتحلها ابنك) غنياً جداً وأصبحت زوجته معدمة. إن تسمية المرء نفسَه بلقب «سير» لا يُعَدّ جريمة قانونية إلا إذا تم انتحال هذا اللقب للحصول على مال تحت حجج كاذبة. واللقب يمنح الثقة، وإذا لم يوحِ بكرم المحتد فهو بالتأكيد يوحي بالغنى. وهكذا عمد السير جورج ستبس الغني (الذي غدا أكبر سناً وغيّر شكله وأطلق لحيته) إلى شراء البيت ناسي وجاء ليعيش في بيته القديم الذي لم يسكنه منذ كان صبياً. وبعد كل ما ألحقته الحرب من خراب لم يبق أحد يمكن له التعرف على ابنك. ولكن العجوز ميرديل تعرف إليه، وقد احتفظ بهذه المعرفة لنفسه. وهكذا فحين قال لي خلسة إن عائلة فوليات ستكون دائماً حاضرة في بيت ناسي كانت تلك نكتته الخاصة التي يحتفظ بها لنفسه.

إذن فقد تم كل شيء على ما يرام، أو هكذا ظننتِ. أعتقد تماماً أن خطتك توقفت عند تلك النقطة؛ فقد حصل ابنك على الثروة وعلى بيت أسلافه. ورغم أن زوجته كانت ناقصة الذكاء إلا

أنها كانت جميلة وسهلة الانقياد، وكنتِ تأملين أن يكون لطيفاً معها وأن تكون هي سعيدة.

قالت السيدة فوليات بصوت خافت: هكذا ظننتُ الأمور ستجري؛ إذ سوف أعتني بهاتي وأقوم على رعايتها. لم أحلم أبداً...

- لم تحلمي أبداً، كما أن ابنك حرص على عدم إبلاغك حين تزوج بأنه كان أصلاً متزوجاً. نعم؛ لقد راجعنا السجلات بحثاً عما كنا نعرف أنه موجود دون شك. لقد تزوج ابنك بفتاة في مدينة تريستا الإيطالية، فتاة من عالم الجريمة السفلي كان قد اختبأ عندها بعد فراره من الخدمة العسكرية. وهي ما كانت لتقبل أن تنفصل عنه، ولم تكن لديه -هو نفسه- أية نية للانفصال عنها. لقد قبل الزواج بهاتي كوسيلة للوصول إلى الثروة، ولكنه كان يعلم في قرارة نفسه من البداية ما الذي كان يعتزم فعله.

- لا، لا؛ لا أصدق ذلك، لا أستطيع تصديقه! السبب هو تلك المرأة، تلك المخلوقة الشريرة.

واصل بوارو حديثه بعناد: لقد اعتزم -منذ البداية- ارتكاب جريمة قتل. لم يكن لهاتي أي أقرباء، وليس لديها إلاّ القليل من الأصدقاء. وبعد عودتهما إلى إنكلترا أحضرها فوراً إلى هنا. لم يكد الخدم يرونها في أول ليلة لها هنا، ولم تكن المرأة التي رأوها صباح اليوم التالي هي هاتي، بل زوجة ابنك الإيطالية التي انتحلت شخصية هاتي وراحت تتصرف كما كانت هاتي تفعل تقريباً. وربما كان من شأن الأمر أن ينتهي عند هذه النقطة مرة أخرى. كان من شأن هاتي المزيفة أن تعيش حياتها على أنها هاتي الحقيقية، وكانت

قواها العقلية ستتحسن دون شك بطريقة غير متوقعة، وكان يمكن لذلك التحسن أن يُبرَّر بما يُسمَّى «المعاملة الجديدة». لقد أدركت السكرتيرة الآنسة برويس من قبل أن في قدرات الليدي ستبس العقلية شيئاً غير طبيعي.

ولكن شيئاً لم يكن متوقعاً أبداً حدث في ذلك الوقت؛ فقد كتب ابنُ عم لهاتي رسالة يخبرها فيها أنه قادم إلى إنكلترا في رحلة باليخت. ورغم أن ابن عمها هذا لم يكن قد رآها منذ سنوات عديدة إلا أنه ما كان لينخدع بامرأة أخرى تنتحل شخصيتها.

قال بوارو وهو يقطع سرده فجأة: والغريب في الأمر أن فكرة قد خطرت في بالي مفادها أن دي سوزا قد لا يكون دي سوزا الحقيقي، ولكن رغم ذلك لم يخطر ببالي أبداً أن الحقيقة تكمن في الاتجاه المعاكس؛ أي أن هاتي هي التي لم تكن هاتي الحقيقية.

استمر في حديثه: كان بالإمكان مواجهة هذه الحالة بعدة طرق مختلفة. كان يمكن للّيدي ستبس أن تتجنب لقاءه بدعوى المرض، ولكن إن كان دي سوزا ينوي البقاء في إنكلترا لفترة طويلة فسيصعب عليها مواصلة تجنب اللقاء به. ثم ظهر تعقيد آخر للقضية؛ فالعجوز الثرثار ميرديل اعتاد أن يثرثر مع حفيدته، وربما كانت هي الشخص الوحيد الذي يهتم بالإصغاء إليه، ولكن حتى هي لم تكن تأخذ كثيراً من أقواله على محمل الجد لأنها كانت تظنه «معتوهاً». ومع ذلك، فإن بعضاً مما قاله عن رؤيته «جثة امرأة في الغابة» وأن «السير جورج ستبس هو في الحقيقة السيد جيمس» قد أحدث لديها انطباعاً كافياً ليجعلها تلمّح بذلك مترددة أمام السير جورج. وبالطبع فإنها -بفعلها

هذا- وقّعت على شهادة وفاتها. لم يكن السير جورج وزوجته ليجازفا بالسماح بانتشار قصص من هذا النوع، وأظن أنه سلمها مبالغ قليلة لإسكاتها ثم تابع رسم خططه.

رسما خطتهما بعناية شديدة. كانا يعرفان من قبل موعد وصول دي سوزا إلى هيلماوث، وصادف ذلك نفس الموعد المحدد للمهرجان. رتبا خطتهما بحيث تُقتل مارلين وتختفي الليدي ستبس في ظروف من شأنها أن تلقي ظلال الشك على دي سوزا، ومن هنا جاء القول إنه «رجل شرير» والاتهام بأنه «يقتل الناس».

كان المخطط يقضي بأن تختفي الليدي ستبس بشكل دائم وأن تأخذ مكانها شخصية جديدة (وربما كان من شأن السير جورج أن يدّعي لاحقاً التعرف إلى جثة تشوهت ملامحها مدعياً أنها لزوجته). وكان من شأن «هاتي» الجديدة أن تكتفي باستئناف العيش بشخصيتها الإيطالية. كل ما كان مطلوباً منها هو أن تلعب دوراً مزدوجاً فترة لا تزيد كثيراً عن أربع وعشرين ساعة، وكان ذلك سهلاً مع تستر السير جورج عليها. وفي اليوم الذي وصلتُ أنا فيه كان يُفترض أن تبقى «الليدي ستبس» في غرفتها حتى قبيل ساعة تناول الشاي. لم يرها أحد هناك في غرفتها سوى السير جورج، ولكنها -عملياً- انسلّت خارجة وركبت حافلة أو قطاراً إلى إيكزيتر ثم سافرت من هناك بصحبة طالبة أخرى (فالعديد من الطالبات يسافرن في مثل هذا الوقت من السنة)، وقد أسرّت لتلك الصديقة بقصة صديقة أخرى لها أكلت لحم العجل الفاسد. وصلت إلى بيت الشباب وحجزت حجرتها، ثم خرجت لكي تستطلع. وعندما حانت ساعة تناول الشاي كانت الليدي ستبس في غرفة الاستقبال، وبعد العشاء ذهبت لتنام

مبكراً، لكن الآنسة برويس لمحتها وهي تنسل خارج البيت بعد ذلك بوقت قصير. قضت الليلة في بيت الشباب، ولكنها خرجت منه مبكرة وعادت إلى بيت ناسي بصفتها الليدي ستبس لتناول الإفطار.

ومرة أخرى قضت الصباح في غرفتها وهي تتظاهر «بالصداع»، وقد تمكنت هذه المرة -بعد خروجها من البيت- أن تمثل دور فتاة تتجاوز على أراضي البيت فيما السير جورج يصدها من نافذة غرفة زوجته وهو يتظاهر بالالتفات للحديث مع زوجته في الغرفة. لم يكن تبديل الثياب أمراً صعباً، حيث يمكن ارتداء بنطال وقميص تحت الأثواب السابغة المتأنقة التي كانت الليدي ستبس تحب ارتداءها. مساحيق بيضاء كثيرة لدور الليدي ستبس مع قبعة صينية عريضة لكي تغطي وجهها، ووشاح ريفي زاهي الألوان، وبشرة مسفوعة من الشمس، وجدائل شعر برونزية لدور الفتاة الإيطالية. ما كان أحد ليحلم أن هاتين الاثنتين كانتا امرأة واحدة.

وهكذا تم عرض الدراما النهائية: فقبل الساعة الرابعة تماماً طلبت الليدي ستبس من الآنسة برويس أخذ صينية شاي إلى مارلين في السقيفة. وسبب ذلك هو أنها كانت تخشى من احتمال أن تخطر مثل هذه الفكرة ببال الآنسة برويس أصلاً ودون توصية من أحد، وعندها سيكون ظهور الآنسة برويس على نحو غير ملائم في اللحظة الحرجة أمراً قاتلاً، وربما كان لها أيضاً متعة خبيثة في ترتيب أمر وجود الآنسة برويس في مسرح الجريمة في وقت ارتكابها تقريباً. ثم بعد أن اختارت لحظتها تسللت إلى خيمة قراءة الكف الفارغة وخرجت من مؤخرها لتدخل في البيت الصيفي خلف الشجيرات حيث كانت تخفي حقيبة الرحلات الخاصة بها وفيها الملابس التي

تستخدمها لتمثيل شخصيتها الأخرى. تسللت خلال الغابة، ونادت مارلين لتُدخِلها السقيفة، ثم خنقت الفتاة البريئة هناك. بعد ذلك ألقت بالقبعة الصينية الكبيرة في النهر، ثم غيرت ملابسها لترتدي ملابس السائحة، ووضعت على وجهها المساحيق وحزمت فستانها الحريري والحذاء ذا الكعب العالي في حقيبة ظهرها، وسرعان ما انضمت -على شكل طالبة إيطالية من بيت الشباب- إلى صديقتها الهولندية في العروض التي كانت تجري فوق المرجة، وغادرت معها في الحافلة المحلية حسب الخطة. ولا أدري أين هي الآن. أشك بأنها في سوهو حيث توجد لها دون شك علاقات إجرامية مع أبناء جنسيتها الذين يمكنهم تزويدها بالأوراق اللازمة. وفي كل الأحوال فإن الشرطة لا يبحثون عن فتاة إيطالية، بل عن هاتي ستبس، الساذجة ناقصة الذكاء.

ولكن المسكينة هاتي ميتة كما تعرفين جيداً يا سيدتي، وقد كشفتِ عن تلك المعرفة عندما تحدثتُ معك في غرفة الاستقبال يوم المهرجان. كانت وفاة مارلين صدمة عنيفة لك، إذ لم تكن لديك أية فكرة عما تم التخطيط له. لكنك كشفت بوضوح تام نقطةً كنتُ في غاية الغباء إذ لم أفهمها في ذلك الحين، وهي أنك حين كنت تتحدثين عن «هاتي» فإنما كنت تتحدثين في الواقع عن شخصيتين مختلفتين: الأولى امرأة تكرهينها وكان من «الأفضل أن تموت» وقد حذرتِني منها عندما قلت لي: "لا تصدق كلمة واحدة مما تقوله". والثانية هي تلك التي كنت تتحدثين عنها باستعمال الفعل الماضي والتي دافعتِ عنها بحرارة وحب. أظن يا سيدتي أنك كنت تحبين المسكينة هاتي حباً جماً.

ساد الغرفة صمت طويل. جلست فوليات ساكنة تماماً في كرسيها، وأخيراً رفعت رأسها وتحدثت، وكان صوتها بارداً كالثلج: قصتك كلها غريبة تماماً يا سيد بوارو. أظن حقاً أنك مجنون دون ريب. كل هذا لا يوجد إلاّ في خيالك، وليس لديك دليل واحد عليه.

ذهب بوارو ناحية إحدى النوافذ وفتحها قائلاً: أصغي يا سيدتي، ماذا تسمعين؟

- أنا صماء قليلاً. ماذا عساي أسمع؟

- ضربات فأس. إنهم يكسرون الأسس الإسمنتية لمبنى المعبد، ويا له من مكان رائع لدفن جثة! لقد تم اقتلاع شجرة بحيث أصبحت الأرض محفورة مضطربة، ثم بعد ذلك بوقت قصير -وكي يكون كل شيء آمناً- تم صبّ الإسمنت فوق الأرض التي دُفنت فيها الجثة في موضع الشجرة، وفوق الإسمنت أقيم المبنى الفاخر: «الحماقة»!

ثم أضاف بوارو بهدوء: «حماقة» السير جورج، مالك بيت ناسي.

زفرت السيدة فوليات زفرة طويلة مرتجفة، وقال بوارو: إنه مكان جميل، ولكن به شيئاً شريراً واحداً، ألا وهو الرجل الذي يملكه!

جاءت كلماتها بصوت خشن: أعرف. كنت أعرف دائماً، حتى عندما كان طفلاً كان يخيفني؛ كان قاسي القلب لا يرحم ولا يملك

ضميراً. لكنه كان ابني وكنت أحبه. كان عليّ أن أتكلم بعد وفاة هاتي، ولكنه كان ابني فكيف أكون أنا من يسلمه إلى الشرطة؟ وهكذا، بسبب سكوتي، قُتلت تلك الفتاة السخيفة المسكينة، وبعدها قُتل العجوز العزيز ميرديل. أين كان سينتهي الأمر؟

- إن الأمر لا ينتهي بالنسبة لقاتل.

أحنت رأسها، وبقيت كذلك بضع لحظات ويداها تغطيان عينيها. وبعد ذلك اعتدلت السيدة فوليات، سيدة بيت ناسي وابنة السلالة الطويلة من الرجال الشجعان، اعتدلت في جلستها. نظرت بشكل مباشر إلى بوارو وجاء صوتها بارداً عميقاً: شكراً لك يا سيد بوارو لأنك جئت لتخبرني بهذا الأمر بنفسك. هلاّ تركتني الآن وحدي؟ إن من الأمور ما ينبغي على المرء أن يواجهه وحده تماماً.

* * *

مَبنَى الرَّجل المَيِّت

يقيم السير ستبس في أراضيه احتفالاً... احتفالاً من نوع مختلف. أريادني أوليفر، الكاتبةُ المشهورةُ لقصص التحري، ستنظِّم الحدثَ الأساسيَّ في الاحتفال: "مسابقة البحث عن المجرم". وهي قد رتّبت جميعَ التفاصيل بعبقريتها المألوفة. لقد أُعِدَّ المشهدُ للجريمة!

ولكن أريادني أوليفر غيرُ مرتاحة؛ شيءٌ ما غير صحيح... وليتها تعرف ما هو هذا الشيء. لذلك تتصل بصديقها القديم، هيركيول بوارو، طلباً للمساعدة.

رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتبَر أعظم مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَن كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجِمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبع منها ألفَيْ مليون نسخة!

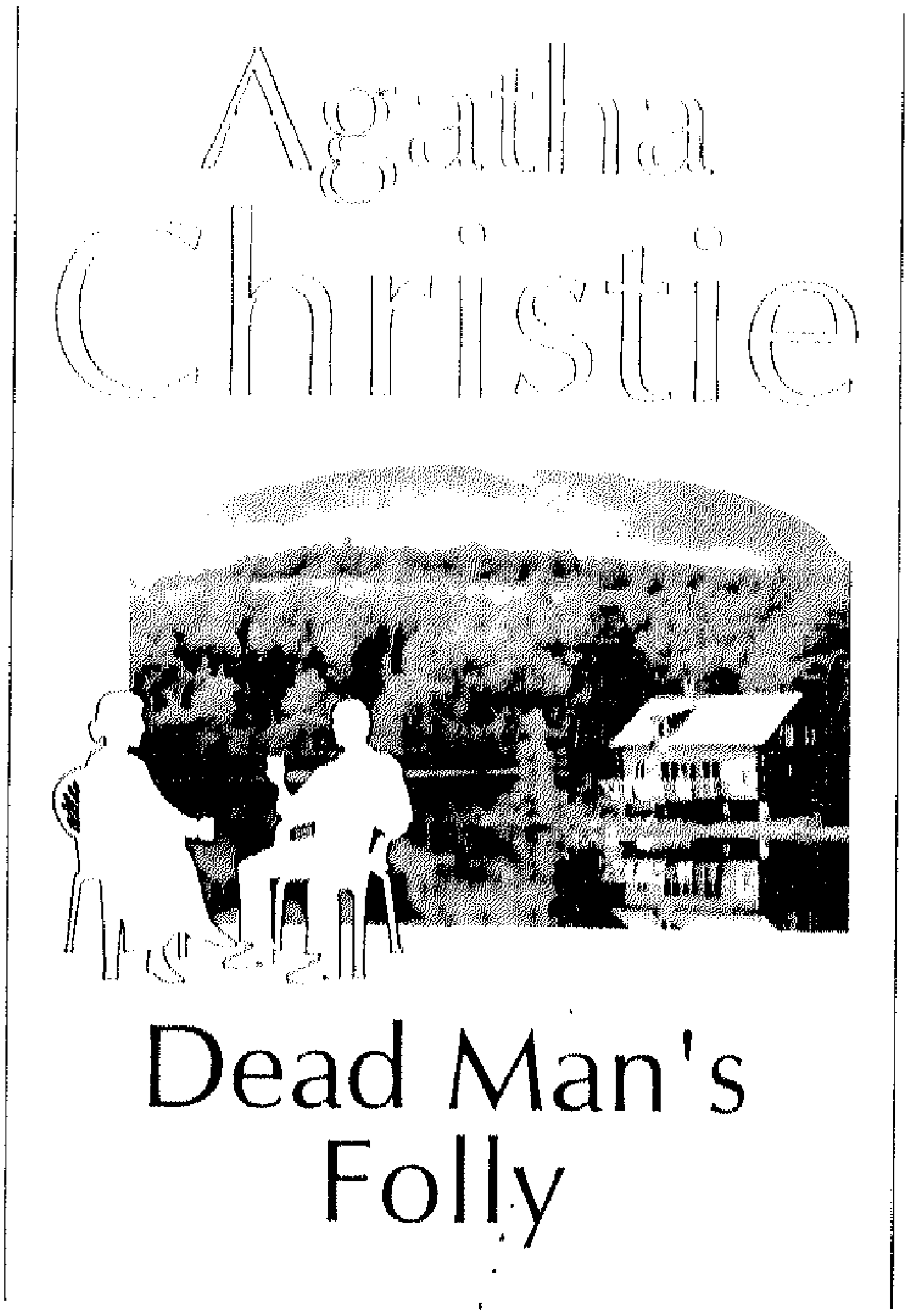

POIROT

هيركيول بوارو

رقم هذه الرواية حسب
صدور الروايات بالأئحة

ISBN 2-1957-2569-0

9782195725692

الناشر وصاحب
بالطبعة العربية في

الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

توزيع دار الألف
٦ شارع حسين فهمي من عباس العقاد
ت: ٢٧٢٥٣٣٥ – موبايل: ٠١٢/١٠٣٣١٦٠